

حاشية
البناجوري على البركة

تأليف

شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري

على

بردة المصريح

لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

رحمهما الله تعالى

وبها مشها : شرح البردة

للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى

رحمه الله آمين

الطبعة الرابعة

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

حاشية
الباجوري على البركة

تأليف

شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري

على

بردة المربع

لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

رحمهما الله تعالى

وبها مشها : شرح البردة

للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى

رحمه الله آمين

الطبعة الرابعة

١٣٧٠ - ١٩٥١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

(ترجمة مؤلف الحاشية)

هو : العالم الفاضل الفريد ، والإمام الكامل الوحيد ، الذي اشتهر صيته في الآفاق ، وشهد بفضله جميع الناس بالاتفاق ، مولانا :

الشيخ إبراهيم الباجوري ابن الشيخ محمد الجيزاوي

ولد رحمه الله سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة الباجور وهي قرية من قرى مصر المحروسة على مسافة اثنتي عشرة ساعة منها .

نشأ في حجر والده السعيد وقرأ عليه القرآن المجيد ، فلما ترعرع ونما انتقل إلى الجامع الأزهر الأسامي وسنه إذ ذاك أربعة عشر كما مع من رحمه الله واشتهر . ثم لما تغلبت الفرنسية على البلاد المصرية سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية ارتحل من مصر إلى بر الجيزة وأقام بها مدة وجيزة ولما أخرجت الفرنسية من تلك البلاد وقرت عيون أهلها بالصلاح بعد الفساد عاد الشيخ إلى الجامع الأزهر للنيف وبذل جهده في تحصيل العلم الشريف ففاق أهل زمانه وسما على أقرانه واستفاد العلوم النافعة وأفاد وكان كمن قال وأجاد :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكرم والإقداما

وكان قد أدرك الأفاضل الأعلام المعروفين بجلالة القدر بين الأنام منهم : الفاضل الجليل الشهير الشيخ محمد الأمير الكبير والعالم العامل مغفور المساوي الشيخ عبد الله الشرفاوي والإمام الحافظ الراوي الشيخ داود القلعاوي ، وغيرهم ممن كان في ذلك العصر الزاهر من ذوى الكمالات والمظاهر إلا أن أكثر تحصيله كان على شيخه ذى المعالي الشيخ محمد الفضالي والخبر الهمام ذى الجذبة الإلهية الشيخ حسن القويسني الشهير بفضائله البهية واستمر على ذلك الحال إلى أن ظهرت عليه أمارات نجاح الآمال فامتلا وطابه من نفائس العلوم وتفجرت أنهار إفادته من تلك القيوم وفاح ندى فضله في كل ناد وطار ذكره في جميع البلاد وألف التأليف العديدة الفريدة وقصدته الطلبة من البلاد القريبة والبعيدة فهو نارة يشنف السامع بدرر الفوائد ونارة يزين سطور الطروس بمحاسن الفرائد وتأليفه مشحونة بالتحقيقات السنية ، ومن جملتها : هذه الحاشية البهية .

وقد انتهت إليه رئاسة الجامع الأزهر وم حفل الدين الأنور وتقلدها في شهر شعبان المعظم سنة ألف ومائتين وثلاث وستين من هجرة سيد الأولين والآخرين ، لاغرو وهو ابن بجدتها والقائم بوظائف نجلتها وفي أثناءها قرأ كتاب الفخر الرازي في تفسير القرآن وحضره أفاضل الجامع الأزهر الأعيان لكن لم يقدر له الإتمام فإنه أصابه مرض الحما ولم يزل ملازما له إلى أن توفي رحمه الله يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ألف ومائتين وست وسبعين فيكون عمره قد ناهز الثمانين وصلى عليه بالأزهر وكان يوما مشهودا لم يكن لغيره من المشايخ معهودا ودفن بالفراقة الكبرى المشهورة بالمجاورين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله مستحق التحميد
والتكبير والتهيل والتسبيح والصلاة
والسلام على سيدنا محمد صاحب الوجه
المليح واللسان الفصيح والقدر الرجيح
وعلى آله وأصحابه أولى الاقتباس والتضمين
والحل والعقد والتليح فيقول العبد
الفقير إلى مولاه الغني خالد بن عبد الله
الأزهري قد سألتني أيها الأخ النجيب
أن أضع شرحا لطيفا على بركة المديح
للشيخ الإمام شرف الدين محمد البوصيري
رحمه الله تعالى مشتملا على بيان لغاتها
وإعراب أبياتها وإيضاح معانيها أتم
توضيح فأجبتك لما سألت على وفق
ما اخترت مقتصرًا على القول الصحيح .
قال ناظم هذه القصيدة سبب نظمها
أنني أصابني خلط فالج عجز عن علاجه كل
معالج إذا بطل نصفي وتخريفه وصفي فلما
أيست من نفسي وقاربت حلول رمسي
تذكرت في ساعة سعيدة أن أصنع قصيدة
في مدح خير البرية فصيح العزم والنية
وسرعت في امتداح المصطفى ورجوت
به البرء والشفاء فأعاني ربّي ويسر عليّ

حمدا لمن شرح بمدح نبية قلوب أوليائه ووشحهم بريدة محاسنه وطيب سنائه
وصلاة وسلاما على من خصه بخواص هباته وكله بأكل عناياته .
[أما بعد] فيقول راجي عفو ربه الكريم عبده الباجوري إبراهيم: اعلم أن مدحه
صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه خول الشعراء المتقدمين لأن كماله صلى الله عليه وسلم
لا تحصى وشماله لا تستقصى فالمداحون لجناحه العلى والواصفون لكمالته الجلى مقصرون
عما هنالك قاصرون عن أداء ذلك كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول
ولا يستطاع إليه الوصول فلو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لمجزوا عن ضبط
ما حباه مولاه من مواهبه وقد أحسن من قال :

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ الثني عليه وأكثرا
إذا الله أننى بالذى هو أهله عليه فامقدار ما تمدح الورى

فكل علو في حقه تقصير ولا يبلغ البليغ إلا قليلا من كثير لكن المتأخرون رأوا
مدحه بالشمال والكمالات من أعظم القرب والطاعات لأجل التعلق بجناحه الشريف
والتبرك بمقدمة قدره النيف فأكثرُوا من مدحه وتغنوا فيه فنونا كثيرة ومن أجلهم
الإمام السكامل والممام العالم العامل البليغ الأديب أشعر العلماء وأفصح الحكماء
الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ومما صاغه صوغ الذهب الأحمر
ونظمه نظم الدرر والجواهر قصيدته المشهورة بالبردة وإنما اشتهرت بذلك لأنه لما نظمها
بقصد البرء من داء الفالج الذي أصابه فأبطل نصفه حتى أعجز الأطباء رأى النبي صلى الله
عليه وسلم في منامه فمسح بيده عليه ولفه في بردته فبرئ لوقته كما ذكره الناظم في تعليقه.
وقال بعضهم : الأولى أن يقال لهذه القصيدة برأة لأن المؤلف يرى بها والتي حقها أن
يقال لها بردة بانت سعاد التي هي قصيدة كتب بن زهير لأن النبي صلى الله عليه وسلم
أجازها عليها بردة حين أنشدها بين يديه . وقد سألت بعض الإخوان أصلح الله لوله الحال
والشان أن أكتب عليها حاشية تبين مقصودها وتبرز مرادها فأجبتك لذلك وإن كنت

لست أهلاً لما هنالك فالتقطت بعض العبارات واجتفيت بعض الثمرات فقلت وبالله التوفيق لأقوم طريق: قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو:

الحمد لله منشى الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم

وهو ليس منها لأنه وإن كان ثناء حسناً في ذاته إلا أن ابتداء القصائده غير مستحسن عند الأدباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الأحبة وديارهم ومقاساة الأحزان والأشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلاً وتشبيهاً ويعدون هذا الصنيع من حسن المطلع لاهتمامهم بشأن العشق واغتمامهم شدائده ولذلك قال بعضهم الشعر لا يبدأ بالبسملة والمجدة وقد جرت عادة الشعراء بأنهم يجردون من أنفسهم شخصاً يحاورونه دلالاً وعتاباً وسؤالاً وجواباً إيهاماً لندرة خير يظهرهم رموز العشق عليه وتخيلاً لقلة صديق يضمرون كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من أبلعهم وأفصحهم صنع هذا الصنيع كما ستره إن شاء الله تعالى (قوله أمن تذكر الخ) قد جرد المصنف من نفسه شخصاً مزج دمه الجاري من مقلته بالدم وخاطبه بذلك مستفهماً عن سبب مزج الدمع الجاري من القسلة بالدم ما هو هل هو تذكر الجيران القيمين بذى سلم أو هبوب الريح من جهة كاظمة وإعماض البرق في الليلة الظلماء من إضام وعلم من ذلك أن الهمزة للاستفهام ومن للتعليل فهي بمعنى لام الأجل وهي متعلقة بقوله مزجت وقدمها عليه تنبيهاً على أن الشك ليس في نفس المزج إذ هو ثابت مشاهد بل الشك في سببه والتذكر مصدر تذكر مأخوذ من التذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جار وإضافة التذكر إليه من إضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل والأصل تذكرك جيراناً فحذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه والمراد بالجيران المحبوبون لأن من لازم الجوار الذي هو الملاصقة في الأصل المحبوبة فالناظم قد أطلق اسم المألوم وأراد اللازم على سبيل المجاز المرسل والباء للظرفية فهي بمعنى في والمراد بذى سلم موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد وهو محل هنالك أيضاً والمزج الخلط وقيل أخص منه لأنه لا يكون إلا قياً يصير بعد الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فإنه لا يخلص بذلك وكفى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء والدمع ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الفرزية عند حادث سرور أو حزن ويكون بارداً للسرور وساخنًا للحزن فيكون حينئذ كالماء الشديد الحرارة إذا فارق النار القوية لا يبرد إلا بعد حين فإذا عظمت الحرارة قلت الرطوبة فيخرج مع الدمع دم لأنه أقرب من غيره لعمومه الأعضاء وسريانه في سائر العروق فإذا طال البكاء جف الدم فيبيض الدمع ويقال حينئذ شاب الدمع، والجري السيلان بشدة ولذلك عبر الناظم بجري دون سال والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدة التي هي السواد الذي في وسط العين وتلك الحدة فيها الناظر ولشدة صفائه كانت العين كالمرآة إذا استقبلها شخص رأى صورته فيها وأفرد الناظم القسلة لأن العرب قد يطلقونها ونظائرهما مفردة ويريدون بها المثني كما قال بعضهم بكت عيني وحق لها بكاهها * ويحتمل أنه بنى أمره على الرجاء والخوف فإذا نظر بمقلة الخوف بكى وإذا نظر بمقلة

طلبي فلما ختمتها رأيت في منامى المصطفى التهامي قد أتى إلى * ومريده الباركة على فعوفيت لوقتي وعدت لما كان من نعتي انتهى بمعناه فدونك بردة قد غزلت من نعوت المصطفى ونسجت على نيري الإخلاص والصفا واشتملت أولاً على براعة المطلع وهي أن تفتح القصيدة بذكر ما يلائم المقصود ثم على أسلوب آخر مشتمل على معنيين أولهما التلهف والأحزان والاعتراف بالمقلة والعصيان وثانيهما التمسك بالموعظة الحسنة والجدال بالبرهان ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين على المدح والصفات وعلى الآثار والمعجزات ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين على تصحيح الاعتقاد وتحقيق وظائف المبدأ والمعاد وعلى الدعاء والمناجاة بالابتهال وإظهار الخوف والرجاء في العاقبة والمآل. ولما أراد ناظمها براعة المطلع جرد من نفسه شخصاً مزج دمه بدمه فسأله عن علة ذلك فقال مخاطباً له:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بَذَى سَبَلِ
مَزَجْتُ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ نِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

التذكر مصدر تذكر والجيران جمع جار بمعنى مجاور من الجوار وهو القرب في المنزل وذى سلم موضع بين مكة والمدينة والرجح الخلط والدمع اسم جنس جمعى واحده دمعة وهو ما يقطر من العين وجرى سال والمقلة شحمة العين التي هي السواد والبياض وهبت الريح هاجت وتلقاء بمعنى حذاء بالذال (٦) المعجمة وكاطمة اسم طريق إلى مكة وأومض لمع وإضم واد دون المدينة

الرجاء سر . قال الشاعر :

ينام باحدى مقتلتيه ويتقى بأخرى النايافهو يقظان نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهي متعلقة بجرى واعترض بأن هذه الجملة حشو لافائدة فيها لأن الدمع لا يكون إلا كذلك . وأجيب بأنها ليست حشوا بل للاحتراز عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من أنه مزج الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس مرادا وفي هذا الجواب نظر لأن هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والأظهر في الجواب أنها تأكيد والدم أحد الأمشاج الأربعة التي خلق منها الإنسان والباء الداخلة عليه للتعدية بالنظر لقوله مزجت وللصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد تنازعه كل منهما والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج ما يحتمله الكلام لولا هذا التقدير من أنه مزج الدمع بعد انفصاله بدم أجنبي والتوين في قوله جيران ودمعا ومقلة ودم إما للتعظيم وإما للتوزيع وفي هذا البيت براعة استهلال لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة الشريفة وفيه أيضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فإنهما مختلفان بزيادة العين وقصائنها (قوله أم هبت الريح الخ) لما كانت الهمزة لا بد لها من معادل أتى المصنف بما يعادلها فقال أم هبت الريح الخ فأتم متصلة وهي حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين وجملة هبت الريح في تأويل الفرد أى أم هبوب الريح وكذا جملة أومض البرق أى وإيماض البرق فكل من الفعلين مؤول بمصدر وإن لم يكن هناك سابق لأن وجود السابق أمر أغلبي وإلا فقد لا يوجد كما في قولهم تسمع بالمعدي خير من أن تراه فإن الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابق على بعض الأقوال وواو العطف إما على حقيقة كما هو المتبادر فيكون الترديد بين الشيء والشيئين أو بمعنى أو فيكون الترديد بين ثلاثة أشياء على سبيل منع الخلو فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الريح من جهة كاطمة وإيماض البرق من إضم سبب للبكا وموجب للافراط فيه ، أما التذكر فلا أنه يحصل به التحسر على ماضى من وصل الأحبة ومؤانستهم ولقد أحسن من قال :

تذكرت أياما لنا ولياليا مضت فحرت من ذكرهن دموع
ألهل لنا يوما من الدهر أوبة وهل إلى أرض الحبيب رجوع

وأما

[الإعراب] أمن الهمزة للاستفهام ومن بكسر الميم حرف تعليل وجر متعلقة بمزجت تذكر مجرور بمن جيران بكسر الجيم مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله بعد حذف فاعله والأصل بتذكرك جيرانا بذى جار ومجرور نعت جيران سلم بفتحتين مضاف إليه مزجت بفتح التاء فعل وفاعل دمعا مفعول به جرى فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على دمعا والجملة نعت له من مقلة متعلق بجرى لإفادة التوكيد لأن الدمع لا يجرى من غير المقلة فهو كقوله تعالى يطير بجناحيه أوللتأسيس نظرا إلى الدم للمزوج بالدمع بدم متعلق بمزجت أيضا والأصل مزجت دمعا بدم أم حرف عطف وهو معادل للهمزة في الاستفهام بهما عن تعيين العلة الحاملة على مزج الدمع بالدم هبت الريح فعل وفاعل في تأويل مفرد معطوف على تذكر من تلقاء بالمد متعلق بهبت كاطمة بالمعجمة مضاف إليها وأومض البرق بالضاد المعجمة فعل ماض وفاعل معطوف على هبت الريح في الظلمات بالمد متعلق بأومض على تقدير موصوف بين الجار والمجرور التقدير في الليلة الظلماء من إضم بكسر الهمزة وفتح المعجمة حال من الظلمات

[وحاصل معنى البيتين] أنه أراد بالجيران الأحبة وبذى سلم وكاطمة وإضم أمكنتهم ومزج الدمع بالدم شدة البكا فاستفهم عن علة مزج الدمع بالدم أهى تذكر الأحبة الغائبين أم هبوب الريح ولعمان البرق من ناحيتهم فأدخل الهمزة على أحد المعادلين وأم على الآخر ووسط بينهما مالا يستل عنه وهو مزج الدمع بالدم فهو كقوله تعالى - أنتم أشد خلقا أم السماء ، لا أن الناظم جعل أحد المعادلين جملة كقوله تعالى - قل إن أدرى أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا -

فَاَلْعَيْنِيكَ اِنْ قُلْتَ اَكْفَا هُمَا

وَمَا لَقَلْبِكَ اِنْ قُلْتَ اسْتَفْقِيَهُمْ

اكففا احبسا دمعكما ومهما من الهوى وهو الانحدار والسيلان والقلب القواء وهو شكل صنوبرى موضعه وسط الصدر وهو منبع الحياة والتحقيق أنه سر لطيف به يحصل الإدراك ويعبر عنه بهذه الجارحة تقريبا للاذهان واستفقى مرادف أفق ويهم مضارع هرام على وجهه إذا لم يدرك أين هو .

[الاعراب] فما الفاء عاطفة وما اسم استفهام فى موضع رفع على الابتداء لعينيك بالثنية خبر مبتدأ إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط قلت بفتح التاء فصل الشرط فى محل جزم اكففا بضم الفاء الأولى وفتح الثانية فعل أمر وفاعل والجملة فى موضع نصب بقلت همتا فصل ماض وفاعل والأصل هميتا قلبت الياء ألفا فصار هماتا حذف الألف لالتقاء الساكنين وهما الألف وتاء التأنيث وتحريكها لأجل الألف عارض والجملة جواب الشرط وما اسم استفهام مبتدأ لقلبك خبره إن قلت بفتح التاء شرط استفقى مقول قلت بهم جواب الشرط والأصل بهم حذف الياء لالتقاء الساكنين الياء واليم للجزم وتحريكها بالكسر عارض لحرف الروى

[ومعنى البيت] فيامنكر الحب أى شئ حصل لعينيك حتى إنك إن قلت لهما احبسا الدموع سالت دموعهما وأى شئ حصل لقلبك حتى إنك إن قلت له أفق من غمرة العشق هام فيه أليس كل من سيلان الدمع وهيام القلب من آثار الحب ثم الفت من الخطاب إلى الغيبة فقال :

وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن الحب دائما يفكر فى محاسن محبوبه فإذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل أنها حملت روائحه إليه وأما إيماض البرق من إضم فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأجرة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وأيضا الحب يتخيل عند لمعان البرق أنه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجانها والريح جسم لطيف شفاف غير مرئى يهب بمقدار مخصوص فى وقت مخصوص وإذا أتت مفردة فالغالب أنها للعذاب وإذا أتت مجموعة فالغالب أنها للرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لأن ريح العذاب واحدة وهى الدبور وعليها خزنة فتعت عليهم فخرجت من مقدار خاتم فأهلكك عادا ولو خرجت من مقدار أنف ثور لأهلكك الدنيا وأفردها الناظم هنا لأن الحب وإن كان عذبا لكنه محتلط بعذاب وتلقاء بمعنى حذاء وكاظمة اسم موضع كما قاله الجوهري وقال غيره اسم ماء والايماض اللعان الخفيف وإن أطلقه بعضهم عن التقييد بالخفيف والبرق عند أهل السنة أجنة ملك يسوق بها السحاب وقيل ضحكك فقد تقل الشافعى فى الأم عن الثقة عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق أجنحته وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعث الله السحاب فنطقت أحسن النطق وضحكك أحسن الضحك فالرعد نطقها والبرق ضحكها أى لمعان النور من فيها وأما قول بعض الشارحين إنه صوت ملك يزجر السحاب إلى الجهة التى يريد بها الله تعالى ففيه نظر وأما عند أهل الهيئة فهو نار تحدث عند شدة اصطكاك الهواء بعضه مع بعض ولذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة إلى البرودة وعكسه والظلماء صفة لموصوف محذوف والتقدير فى الليلة الظلماء أى ذات الظلمة وإنما خص الليلة الظلماء بالذكر لأن الضوء فى الظلمة أجلى وقد اختلف فى الظلمة فقيل أمر وجودى يضاد النور قائم بالهواء وقيل أمر عدى وإضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة اسم لجبل وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة . وفائدة هذين البيتين أنهما يكتبان فى جام أى قراز ويمحيان بيماء الطر ويسقى المحو للهيئة التى صعب تعليمها وتذليلها فإذا شربت ذلك ذلت واتقادت وتعلت بسرعة وإذا كان عندك عبد أعجمى وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين فى رق غزال ثم علقه على عضده الأيمن فإنه يتكلم بالعربية فى أسرع وقت (قوله فما لعينيك الخ) لماسأل الناظم عما ذكر ولم يرد عليه المستول جوابا لأن من شأن المحبين أن يكتبوا الحب فى أول الأمر بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرّة نزل الناظم المستول منزلة المنكر وتعجب من حاله على فرض صدقه فى الإنكار فقال فما لعينيك الخ أى إذا صدقت فى إنكارك الحب فأى شئ ثبت لعينيك أوجب لهما أنك إن قلت لهما اكففا همتا وأى شئ ثبت لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفقى بهم فالقاء للأفصاح وجعلها بعضهم للعطف لكن الأول أظهر وما فى الموضعين اسم استفهام مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده وجملة قوله اكففا فى محل نصب مقول القول وكذلك جملة قوله استفقى ومعنى اكففا أمساكا عن البكا ومهما بمعنى سالتا مأخوذ من الهميان وهو السيلان فأصله هميتا قلبت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف لالتقاء ساكنة مع التاء التى أصلها السكون وإن

أَيْحَسِبُ الصَّبُّ أَنْ الْحَبَّ مِنْكُمْ مَا يَنْ مَنَسَجِمٍ مِنْهُ وَمَضْطَرِمٍ

يَحْسِبُ يَظُنُّ وَالصَّبُّ الْعَاشِقُ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْعَشَقُ بَكَى فَيَنْصَبُ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَالْحَبُّ الْحُبَّةُ وَمَنْعَكُمُ مُسْتَوْرٌ وَمَنْعَجُمُ هَاطِلٌ مُنْعَدِرٌ وَمَضْطَرِمٌ مُلْتَهَبٌ مُشْتَلٌ [الاعراب] أَيْحَسِبُ الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِي وَيَحْسِبُ مُضَارِعٌ حَسْبُ التَّعْدِي لِاثْنَيْنِ الصَّبُّ فَاعِلٌ أَنْ يَفْتَحَ الْهَمْزَةُ وَتَشْدِيدُ النُّونِ حَرْفٌ (٨) تَوْكِيدٌ يَنْصَبُ الْاسْمُ وَيَرْفَعُ الْحَرْفُ الْحَبُّ بِضَمِّ الْمَهْمَلَةِ اسْمُهُا مِنْكُمْ خَبَرُهَا

وَأَنْ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ سَادٍ مَسْدٌ مَفْعُولٌ يَحْسِبُ مَا زَائِدَةٌ بَيْنَ مَنْصُوبٍ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ السَّكَنِيَّةِ مَنْسَجِمٌ مُضَافٌ إِلَيْهِ عَلَى تَقْدِيرِ مَوْصُوفٍ بَيْنَ التَّضَايِفِينَ مِنْهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْسَجِمٍ وَالْمَاءُ ضَمِيرُ الصَّبِّ وَمَضْطَرِمٌ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ وَالطَّاءُ الْمَهْمَلَةُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْسَجِمٍ عَلَى تَقْدِيرِ مَوْصُوفٍ بَيْنَ الْعَاطِفِ وَالْمَعْطُوفِ

[وَمَعْنَى الْبَيْتِ] أَيْظُنُّ الْعَاشِقُ انْكِتَامَ الْحُبَّةِ عَنِ النَّاسِ وَهُوَ مَا بَيْنَ دَمْعٍ هَاطِلٍ وَقَلْبٍ مُلْتَهَبٍ ثُمَّ التَّفْتُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ فَقَالَ :

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تَرُقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ
الهُوَى بِالْقَصْرِ مَصْدَرٌ هَوَى بِالْكَسْرِ إِذَا أَحَبَّ وَتَرَقَّ تَصَبَّ وَالدَّمْعُ مَا يَسِيلُ مِنَ الْعَيْنِ وَالطَّلَلُ مَا شَخَصَ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ أَيْ ارْتَفَعَ وَأَرَقْتَ سَهَرْتَ وَالْبَانَ شَجَرَ الْخَلَّافِ بِالْتَخْفِيفِ وَاحِدُهُ بَانَةٌ وَالْعَلَمُ اسْمُ جَبَلٍ وَالرَّادُ بِهِمَا هَهُنَا مَوْضِعَانِ بِالْحِجَازِ

[الاعراب] لَوْلَا حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الشَّيْءِ لَوْجُودِ غَسِيرِهِ الْهُوَى بِالْقَصْرِ مَبْتَدَأٌ حَذَفَ خَبْرُهُ وَجُوبًا لَسَدَ جَوَابُ لَوْلَا مَسْدٌ لَكُونُهُ كَوْنًا مُطْلَقًا وَالتَّقْدِيرُ لَوْلَا الْهُوَى مَوْجُودٌ لَمْ تَرُقْ بِضَمِّ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ جَازِمٌ وَجَزُومٌ دَمْعًا مَفْعُولٌ بِهِ عَلَى طَلَلٍ بَطَاءُ مَهْمَلَةٌ وَلَامٌ

عَرَضَ تَحْرِكُهَا لِلْمُنَاسِبَةِ الْأَلْفَ وَفِي كَلَامِهِ حَذَفَ التَّمْيِيزَ الْحَوْلَ عَنِ الْفَاعِلِ أَيْ هُمَا دَمْعًا وَالْأَصْلُ هُمَا دَمْعُهُمَا خَوْلَ الْإِسْنَادِ عَنِ الدَّمْعِ إِلَيْهَا وَأَتَى بِهِ تَمْيِيزًا لَكِنْ حَذَفَهُ النَّازِمُ وَالْقَابُ لَحْمٌ صُنُورِي الشَّكْلِ أَيْ شَكْلُهُ عَلَى شَكْلِ الصُّنُورِ لِأَنَّهُ دَقِيقٌ الْأَسْفَلُ غَلِظُ الْأَعْلَى كَهَيْئَةِ قَمْعِ السَّكْرِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْقَلْبُ سِرٌّ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ اللَّحْمَةِ فَتَسْمِيَّتُهَا قَلْبًا لِحُلُولِهِ فِيهَا وَالسَّيْنُ وَالتَّاءُ فِي اسْتَفْقَ زَائِدَتَانِ فَمَعْنَاهُ أَفْقٌ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ وَقَوْلُهُ يَهْمُ مُضَارِعٌ هَامٌ يَهْمُ إِذَا قَامَ بِهِ الْهَيَامُ وَهُوَ دَاءٌ كَالْجُنُونِ يَنْشَأُ مِنَ الْعَشَقِ وَغَيْرِهِ وَفِي هَذَا الْبَيْتِ الطَّبَاقُ لِأَنَّهُ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ فِي كُلِّ مِنَ الشَّطْرَيْنِ أَمَّا الشَّطْرُ الْأَوَّلُ فَجَمَعَ فِيهِ بَيْنَ قَوْلِهِ أَكْفَفَا وَقَوْلِهِ هُمَا وَأَمَّا الشَّطْرُ الثَّانِي فَجَمَعَ فِيهِ بَيْنَ قَوْلِهِ اسْتَفْقَ وَقَوْلِهِ يَهْمُ (قَوْلُهُ أَيْحَسِبُ الصَّبُّ الْحَ) لِمَا سَأَلَ الْمُنْصِفَ الْخَاطِبُ السُّؤَالَ الْمُسَكَّتَ وَأَلْزَمَهُ الْإِثْرَامَ الْمُبْهَتَ رَجَعَ إِلَى تَغْلِيظِهِ فِي الْإِنْكَارِ فَقَالَ أَيْحَسِبُ الصَّبُّ الْحَ وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي وَيَحْسِبُ بِكَسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا أَيْ يَظُنُّ وَكَانَ مُقْتَضًى مَا سَبَقَ أَنْ يَعْبُرَ الْمُنْصِفُ بِتَاءِ الْخُطَابِ لَكِنَّهُ التَّفْتُ إِلَى الْغَيْبَةِ لَمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْأَدْبَاءِ مِنْ تَغْيِيرِ كَلَامِهِمْ مِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ آخَرَ تَسْكُمًا وَخَطَابًا وَغِيَّةً تَنْشِيطًا لِلْسَّامِعِ وَالصَّبُّ الْعَاشِقُ مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَّ الْمَاءُ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ كَثِيرَ الْبَكَاءِ فَكَأَنَّهُ يَصُبُّ الدَّمْعَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مِنَ الصَّبَابَةِ وَهِيَ رَقَّةُ الْعَشَقِ وَحَرَارَتُهُ وَجَمَلَةٌ أَنْ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا سَدَّتْ مَسْدٌ مَفْعُولٌ يَحْسِبُ وَالْحَبُّ عَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ صَفَاءُ الْحَالِ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحُبُوبِ وَقَوْلُهُ مِنْكُمْ أَيْ مُسْتَرٌّ وَمَا مِمَّ مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي فِي مَحَلِّ نَصَبٍ عَلَى أَنَّهُ بَدَلَ مِنَ الْحَبِّ أَوْ صِفَةٌ لَهُ وَصَدَرَ الصَّلَاةُ مَحْذُوفٌ أَيْ الْحَبُّ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْحَ كَذَا قَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ جَعْلِ بَعْضُهُمْ مَا زَائِدَةً وَجَمَلَهُ بَيْنَ ظَرَفَا لِقَوْلِهِ مِنْكُمْ وَكُلٌّ مِنْ مَنْسَجِمٍ وَمَضْطَرِمٍ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ وَالتَّقْدِيرُ بَيْنَ دَمْعٍ مَنْسَجِمٍ مِنْهُ وَقَلْبٍ مَضْطَرِمٍ وَالْمَنْسَجِمُ السَّائِلُ مِنْ قَوْلِهِمْ انْسَجِمَ الْمَاءُ سَالَ وَالْمَضْطَرِمُ الْمُسْتَعْلَقُ مِنْ قَوْلِهِمْ اضْطَرَمَّتِ النَّارُ اشْتَعَلَتْ وَالْمَعْنَى لَا يَظُنُّ الْعَاشِقُ أَنَّ الْحَبَّ مُسْتَرٌّ عَنِ النَّاسِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ دَمْعٍ سَائِلٍ وَقَلْبٍ مُسْتَعْلَقٍ مِنَ نَارِ الْحَبِّ وَكُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ آثَارِ الْحَبِّ مَعَ كَوْنِهِمَا ظَاهِرَيْنِ وَحِينَئِذٍ فَانْكَارُ الْحَبِّ غَلَطٌ (قَوْلُهُ لَوْلَا الْهُوَى الْحَ) لَمَّا غَلَطَ الْمُنْصِفُ الْمُسْتَوَّلُ فِي إِنْكَارِهِ الْحَبَّ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِأَدَلَّةٍ فَقَالَ لَوْلَا الْهُوَى الْحَ وَالْهُوَى مَصْدَرٌ هَوَى بِكَسْرِ الْوَاوِ إِذَا أَحَبَّ فَهُوَ بِمَعْنَى الْحَبِّ وَهُوَ مَبْتَدَأٌ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَيْ مَوْجُودٌ وَلَوْلَا حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الْجَوَابِ لَوْجُودِ الشَّرْطِ فَالْمَعْنَى امْتِنَاعُ عَدَمِ إِرَاتِكَ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ لَوْجُودِ الْهُوَى وَقَوْلُهُ لَمْ تَرُقْ دَمْعًا أَيْ لَمْ تَصْبِهِ يَقَالُ أَرَاقُ الْمَاءِ أَيْ صَبُّهُ وَيَقَالُ هَرَاقُ أَيْضًا بِمَعْنَاهُ وَكَانَ مُقْتَضًى قَوْلُهُ أَيْحَسِبُ الْحَ أَنْ يَقُولَ لَمْ يَرُقْ بَيَاءُ الْغَيْبَةِ لَكِنَّهُ التَّفْتُ إِلَى الْخُطَابِ لَمَّا تَقَدَّمَ وَالطَّلَلُ مَا بَقِيَ مِنْ آثَارِ الدَّارِ مَرْتَفَعًا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ

مَرْتَفَعًا
مَفْتُوحَتَيْنِ مُتَعَلِّقَتَيْنِ بِتَرَقٍّ وَجَمَلَةٌ لَمْ تَرُقْ وَمَعْمُولُهَا جَوَابُ لَوْلَا لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ لِأَنَّهَا جَوَابُ شَرْطٍ غَيْرِ جَازِمٍ وَلَا أَرَقْتَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحُ التَّاءِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جَوَابِ لَوْلَا وَلَا زَائِدَةٌ لَنَا كَيْدُ النَّبِيِّ لَكَرَّ مُتَعَلِّقٌ بِأَرَقْتَ الْبَانَ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَالْعَلَمُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَاللَّامُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْبَانَ [وَمَعْنَى الْبَيْتِ] لَوْلَا مَحَبَّتُكَ وَهُوَ الْكَلَامُ بِكَيْتٍ عَلَى آثَارِ دِيَارِ الْأَحْيَابِ وَمَا ذَهَبَ نَوْمُكَ بِذِكْرِ أَشْجَارِ الْبُؤَادَى وَجِبَالِ الْمَنَازِلِ وَفِي الْبَيْتِ مِنَ الْبَدِيعِ الْجَنَاسِ الشَّيْبَةُ بِالشَّقِ فِي قَوْلِهِ لَمْ تَرُقْ وَأَرَقْتَ

مرتفعاً بأن كان ملتصقاً بالأرض كان رسماً وعلى الداخلة عليه للتعليل أى لأجل طلل
 هذا إن لم يقدر وقوفه على الطلل كما هو التبادر وإلا كانت بمعنى فى وقوله ولا
 أرتق الخ عطف على قوله لم ترق الخ وأرتق بكسر الراء بمعنى سهرت بلبان شجر
 طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان والعلم يطلق على معان منها الجبل
 والرمح أى ولاسهرت لذكر البان والعلم الكاثنين بمحل المحبوب وعلى هذا فالبان
 والعلم باقيا على معناهما ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما فى طيب الرائحة وحسن الهيئة
 وطول القامة وإنما أوردته ذكرهما السهر لأن النوم إنما يكون من الرطوبة الصاعدة
 من المعدة إلى الدماغ والمحب تنكسر حرارته فتنتفى عنه الرطوبة وحينئذ فلا ينام
 وتلك الرطوبة تنشأ غالباً عن كثرة الطعام والشراب والمحب يلهيه حبه عن أكله
 وشرابه فتنتفى رطوبته وتتضاعف حرارته لاسياً عند ذكر معاهد الأحباب أو ما هو
 شبه بالأحباب وفى هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وأرتق (قوله ولا
 أعارتك الخ (١)) لما ذكر المصنف دليلين أردفهما بدليل ثالث على ما فى بعض
 النسخ الذى شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك فى كثير من النسخ وهو
 معطوف على قوله لم ترق الخ ومعنى أعارتك أعطتك على سبيل العارية وقوله لوى عبرة
 وضنا معمول لأعارتك وفاعله ذكرى الخ والمراد باللونين هنا النوعان والعبرة بفتح
 العين الدموع والضنا للرض فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك
 لون العبرة ورقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنا
 وفى الكلام استعارة بالسكينة وتخيل لأنه شبه لوى العبرة والضنا بلباسين بجامع
 الزينة فى كل أما فى المشبه به فظاهر وأما فى المشبه فلا أن آثار الحب زينة عند الحب
 فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبيهاً مضمرافى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه
 بشئ من ملامحاته وهو الإعارة وقوله ذكرى الحيام وذكرى الحيام أى تذكر
 الحيام وتذكرى الحيام فالتذكرى فيها معنى التذكر وكل من الحيام والحيم جمع
 خيمة وهى بيت تتخلله العرب من عيذان الشجر وحذفت النون من ساكنين للإضافة
 ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله فكيف تنكر الخ) لما أقام المصنف على
 المسئول الأدلة على حبه مع حجة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك على الإنكار فقال
 فكيف تنكر الخ والفاء للانصاح لأنها أفصح عن شرط محذوف والتقدير إذا
 قامت عليك الأدلة فكيف تنكر الخ وكيف حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام
 على وجه الإنكار ومعنى تنكر تجحد والجحد هو النى بعد العلم بخلافه قبله وقوله
 حيا معمول لتنكر وبعد ظرف له وما يحتمل أن تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل
 بعدها وهو شهدت مؤول بمصدر والضمير فى به عائد على الحب والتقدير على هذا
 بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ويحتمل أن تكون اسم موصول بمعنى
 الذى وحيلة شهدت صلة والضمير فى به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذى شهدت
 به عليك الخ وفى شهدت استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة
 بجامع الوضوح فى كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة
 شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو

كما فى قوله تعالى قال إني لعملكم من القالين.

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

(١) قول الحشى قوله ولا أعارتك الخ

هذا بيت لم يكتب عليه الشيخ خالد

وهو

ولا أعارتك لوى عبرة وضنا

ذكرى الحيام وذكرى ساكنى الحيم

وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيءَ عَمْرٍ وَضَيَّ مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَمْرُ

الانكار ضد الاعتراف والحب ضد الغضب وشهدت أخبرت والعدول جمع عدل بمعنى عادل والمراد بالجمع هنا الاثنان بدليل ما بعده إلا أن يريد بالدمع الدموع وبالسقم الأسقام فيكون الجمع على بابه والسقم إطالة المرض والوجد الحزن وخطي ثنية خط والعبرة البكا والضنا الضعف والهزال والبهار ورد أصفر طيب الرائحة والغم ورد أحمر [الاعراب] فكيف استفهام ومعناه هنا التعجب متعلق بتكر بضم التاء الفوقية فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت حبا بضم الحاء مفعول به بعد منصوب بتكر ماموصول حر في شهدت فعل ماض وتاء تأنيث به عليك متعلقان بشهدت عدول فاعل شهدت الدمع مضاف إليه والسقم بفتحين معطوف على الدمع وحيلة شهدت (١٠) وما بعدها صلة ما وما وصلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة بعد

الماء الجاري من العين والسقم بفتحين المرض ويقال فيه سقم بضم بضم فسكون لكن في غير النظم كما قاله شيخ الإسلام وإضافة عدول للدمع والسقم للبيان أو من إضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع في الاثنان كما هنا كثير شائع. واعترض هذا الجمع بأن العدل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع. وأجيب بأن محل قولهم إن المصدر لا يثنى ولا يجمع إذا اعتبرت مصدرية وهنا قد اعتبر ما نقل إليه وإنما ذكر كونهم عدولا للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم (قوله وأثبت الوجد الخ) أي وبعد ما أثبت الوجد الخ فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب وإسناد الأثبات إلى الوجد مجاز عقلي من قبيل الإسناد إلى السبب كما في قولك سرتني رؤيتك وقوله خطي عبرة بفتح العين كما تقدم أي خطين من الدموع وقوله وضنا عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف أي وأثر ضنا وقوله مثل البهار الخ صفة لكل من خطي العبرة ومن الضنا لكن على اللف والنشر المشوش لأن البهار بفتح الباء الموحدة ورد أصفر وأثر الضنا صفرة الوجه فأثر الضنا مثل البهار في الصفرة والغم بفتح العين والنون شجر له أغصان حمراء وقيل ورد أحمر والخطان من العبرة أحمران لامتراج الدمع بالدم فالخطان من العبرة مثل الغم في الحمرة وقوله على خديك متعلق بأثبت فتقدير البيت وأثبت الوجد على خديك خطي عبرة مثل الغم وأثر ضنا مثل البهار والمعنى وكيف تنكر حبا بعد ما أثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب فكل من رآك يعرف الحب في وجهك. وفائدة الأبيات الخمسة التي أولها فما لعينيك أن الرجل إذا اتهم زوجته أوبنته أو عيلته كتب هذه الأبيات في ورقة من ورق الأترج ووضعها على يد النهم اليسرى وهونائم ويجعل أذنه على فمه فإنه ينطق بجميع ما ضله في غيبته خيرا أو شرا وكذلك إذا سرق له شيء واتهم أحدا أو شك في أحد فليكتب هذه الأبيات في جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع ويصره في الجلد المذكور ويعلق ذلك الجلد في في عنق النهم فإنه يقر في ساعته لدهشته (قوله نعم سرى الخ) لما اتضح حال المسئول

إليها والتقدير بعد شهادة عدول الدمع والسقم وأثبت فعل ماض معطوف على شهدت الوجد فاعل أثبت خطي بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة وسكون الياء مفعول أثبت وحذفت النون للإضافة عبرة بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة مضاف إليها وضنا بالمعجمة والقصر معطوف على خطي مثل بالنصب نعت خطي وضنا البهار بفتح الموحدة مضاف إليه على خديك في موضع الحال من خطي وضنا والغم بفتح العين المهملة والنون معطوف على البهار [ومعنى البيتين] كيف تنكر أيها المخاطب المحبة بعد ما شهد بها عليك عدول من الدموع الماطلة والأسقام المتنوعة وبعد ما أثبت الوجد أمرين كائنين على خديك أحدهما صفرة الحدود والوجنت الناشئة عن الضنا وثانيهما حمرة قطرات العبرات الناشئة عن البكا وقد حكم قاضي الهوى بموجب ذلك وفيه لف ونشر مشوش فإنه شبه خطي العبرة بالغم في الحمرة وشبه الضنا بالبهار في الصفرة ولما أثبت تكون

بما

المخاطب محبا وكان هو المخاطب في المعنى رجع عن التجريد واعترف بالحب فقال :

نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِّنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

نعم حرف تصديق في الخبر وسرى سار ليلاً والطيف الخيال في النوم والهوى المحبة والعشق وأرقني أسهرني والحب المحبة ويعترض يحول بينه وبين مراده واللذات بالمعجمة جمع لذة وهي ما يبتغى به والألم الوجع [الاعراب] نعم حرف جواب سرى فعل ماض طيف بفتح الهملة وسكون الياء التحتية فاعل سرى من بفتح اليم اسم موصول في موضع جرب لإضافة أهوى فعل مضارع مسند إلى التكلم والجملة صلة من وعاندها محذوف أي أهواه فأرقني معطوف على سرى وفاعله مستتر فيه يعود على طيف والحب بضم الحاء المهملة مبتدأ يعترض بفتح التحتية وكسر الراء وبإضاد المعجمة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه جوازا يعود على الحب اللذات

عما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل الى الانكار أقر واعترف بذلك حيث قال نعم
الح هكذا قال بعض الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى التكلم وقال
بعضهم لما انكشف كون المسئول محبا وكان هو التكلم في المعنى رجع من التجريد
الى التكلم واعترف بالحب حيث قال نعم الح والأول أقرب ونعم حرف إيجاب لما سبق
فكانه قال صدقت أيها السائل فيما نسبتني إليه من الحب وأن سبب مزج الدمع
الجاري من القلة بالدم تذكر المحبوبين كما هو الشق الأول من السؤال السابق فقال
له السائل وما سبب تذكرك لهم فقال سري الح وصلة سري محذوفة والتقدير سري
الى أي سار الى لئلا لأن السري هو السير لئلا وقوله طيف من أهوى أي خيال من
أحب فالطيف خيال المحبوب وأهوى مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف
هوى بفتح الواو فانه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال أن النفس إذا ولعت بشيء حصلت
صورته في القوة الخيلة فتري خياله في المنام كثيرا وقوله فأرقتني أي أسهرتني لأنه لما
تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم وقوله
والحب يعترض اللذات بالألم أي يدفعها بالألم يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به فالألم هنا
بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمى ويحتمل أن المراد أن الحب يجعل الألم
عرضة في اللذات فيصير الألم كالخشبة المعترضة في النهر ويحتمل أيضا أن المعنى أن الحب
يغيب اللذات بالألم فإنه يقال عرض الشيء إذا غيبه والمراد باللذات ما كان فيه من
النوم والتسلي عن المحبوبين وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد . وحاصل المعنى
أنه صدقه فيما نسب إليه من الحب بقوله نعم ثم ذكر له سبب تذكره للمحبوبين بقوله
سري طيف من أهوى وذكر أنه أسهره بقوله فأرقتني وذكر أنه بعد أن كان في لذة
صار في ألم ولذلك قال : والحب يعترض اللذات بالألم . وبعضهم في هذا المعنى :

وزارني طيف من أهوى على حذر من الوشاة وداعى الصبح قد هتما
فكدت أوقظ من حولي به فرحا وكاد يهتك سراحي بي شغفا

[وفائدة هذا البيت] أن من كرهه بعد صلاة العشاء حتى يغيب عليه النوم فانه يرى
المصطفى صلى الله عليه وسلم في منامه إن شاء الله تعالى (قوله بالانمى الح) لما أقر
المسئول بالحب لانه السائل فيه فرجع المسئول على السائل بوجه في لومه عليه فيه فقال
بالانمى الح وهذا كما ترى مبنى على بقاء التجريد وأما على أن الناظم رجع عن التجريد
الى التكلم فيكون المصنف قد استشعر لائما عليه لأن الحب إذا أقر بالحب لام عليه غيره
فوجه المصنف على لومه عليه وقوله في الهوى العذري بالذال المعجمة أي الهوى المنسوب
الى بنى عذرة بضم العين وهم قبيلة مشهورة باليمن يؤدي بهم العشق الى الموت لصدقهم
في الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة التشبيه فالمراد أن هواه مشبه لهوى بنى
عذرة وقيل الهوى العذري هو الحب الذي من شأنه أن يقبل عذر صاحبه عند كل
أحد لكونه مفرطا وقوله معذرة أي أعذر معذرة أو أقدم معذرة فهو بالنسب على
أنه مفعول لفعل محذوف ويصح قراءته بالرفع على أنه مبتدأ خبره قوله منى اليك أي
صادرة منى اليك أو على أنه خبر مبتدؤه محذوف والتقدير هذه معذرة ومكون
الاشارة راجعة لقوله سابقا سري طيف الح فالعذرة على هذا خصوص ذلك بخلافه

مفعول به بالألم متعلق بيعترض

[ومعنى البيت] صدقت ولكن لشدة

كفنى بمحبوبى لما رأيت خياله فى النوم
انتهت فرقا فجاءنى الأرق وهذا شأن
الحب يحول بين المحب ولذاته بالألم من
جهة ما ينشأ عنه من عدم الوصل من
المحبوب ثم اعتذر فقال :

يَا لَانْمَى فِي الْهَوَى الْعُذْرَى مَعْدِرَةً

مَنْى إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلِمْ

عَدَّتْكَ حَالِي لَا مِرِّي بِمُسْتَرٍ عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمٍ

اللاثم العاذل والعذري نسبة الى بنى عذرة بالذال المعجمة قليلة قد اشتهرت رجالهم بوفور العشق ونساؤهم بفرط العفاف ومعذرة مصدر عذرتة إذا صفحت عنه ومحوت إساءته (١٢) والمعذرة أيضا ما يدفع به الإنسان عن نفسه مما عيب عليه فعله

على ما قبله فإنه يحتمل أن تكون هي ذلك وأن تكون قوله الآتي لاسرى بمسستر عن الوشاة ولادائي بمنحسم وأن تكون معذرة معروفة في الخارج وهي أن يقول الحب للعاذل إني محب والحب لا يلام سبها من كان حبه عذريا وقوله ولو أنصفت لم تلم أي لأن الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهري ولا يلام إلا على الأمر الاختياري كما قال القائل : وعيب الفتى فيما أتى باختياره ولا عيب فيها كان خلقا مكرها

لكن كون الحب ليس اختياريا بل قهري بعد تحككه وإلا فببدؤه اختياريا أو لأن اللوم على الهوى لا يكون إلا بمن ذاته والمخاطب لم يذقه ولذلك قال بعض الصوفية لا ينبغي للشخص أن يتكلم على حال إلا إذا ذاقها وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله : دع عنك تعني وذوق طعم الهوى وإذا عشقت فبعد ذلك عذف

[فائدة هذا البيت وما بعده] أنك إذا رأيت منكرا ولم تقدر على إزالته فاكتبها في ورقة برعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت إمامة فتعوى على إزالته باذن الله تعالى وإذا أردت أن تقهر نفسك على إقامة شعار الدين نواظب على قراءتهما خلف كل صلاة (قوله عدتكم حالي الخ) لما أبدى له المعذرة في الهوى ووجهه في اللوم عليه فلم يرجع عن اللوم استعطفه بالدعاء له فقال عدتكم حالي الخ أي جاوزتكم حالي كما يقول الشخص لغيره لا أراك الله حالي وعلى هذا فالجملته دعائية ويحتمل أنها استهزامية بتقدير همزة الاستهزام وعليه فالمعنى أجاوزتكم حالي فلم تعذروني ويحتمل أيضا أنها خبرية وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله ولم يصب بمصيبته حتى يعلم قدر ماهو فيه ولا يلومه ولو أصيب لعلم قدر ماهو فيه ولم يلمه . هذا كله ان فسر عدتكم بمعنى جاوزتكم كما تقرر فإن فسر بمعنى تعدت اليك أي وصلت اليك كما قاله بعض الشارحين كان القصد الدعاء عليه لاله أو الاستهزام عن ذلك بتقدير همزة الاستهزام والمعنى عليه أو وصلت اليك حالي حتى تلومني وقوله لاسرى بمسستر عن الوشاة مستأنف استئنافا بيانيا لأنه واقع في جواب سؤال مقدر فكان اللاثم قال له وما حالك التي استعظمتها فأجاب بذلك والسر ما يكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع واش وهو الذي يثني الحديث بين المحب والمحبوب أي يزيه ويزخرفه لأجل الفساد بينهما ومن العلوم أن الوشاة أعداؤه فاطلاعهن على سره يسيئه وقوله ولادائي بمنحسم أي ولادائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته كما هو شأن المحب فإنه إذا اشتد عليه الحال وواصله المحبوب وآنسه انقطع داؤه لكن هذا أمر أغلبي وإلا فهناك من يزيد عليه الحال بوسل المحبوب ومؤانسته (قوله محضتي النصح الخ) لما لم يفد معه الاستعفاف فلم يرجع عن اللوم اعترف له بأنه أخلص له في النصح من باب التسليم الجذلي ليستريح منه فقال محضتي النصح الخ أي أخلصت لي

وأنصفت أي عذلت بالذال المعجمة عدتكم أي واللوم العذل بالذال المعجمة عدتكم أي بلغتكم وجاوزتكم حالي أي أمرى والسر الشيء المكتوم والوشاة جمع واش وهو الكذاب والداء المرض وللنحسم النقطع [الاعراب] يا حرف نداء لائمي منادى مضاف الى ياء التكلم منصوب بفتحة مقدرة على اليم في الهوى متعلق بلائمي العذري بالذال المعجمة نعت الهوى معذرة بالنصب بفعل محذوف تقديره أعتذر إن كان المراد بها المصدر أو أقول إن كان المراد بها الكلام الذي يعتذر به فهي في معنى الجملة مني اليك متعلقان بمعذرة ولو حرف شرط أنصفت بفتح التاء فعل الشرط لم تلم بفتح التاء الفوقية وضم اللام جواب الشرط عدتكم فعل ومفعول مقدم حالي بالمهملة فاعل مؤخر لا حرف نفي سري بكسر السين المهملة اسم لا العاملة عمل ليس مضاف لياء التكلم بمسستر خبرها في موضع نصب عن الوشاة بضم الواو متعلق بمسستر ولا نافية دائي اسمها بمنحسم بمهملتين خبرها.

[ومعنى البيتين] يا من تلومني ويعذلي في محبة منسوبة الى قوم من بنى عذرة ولو كان لك إنصاف لم يكن منك ملامة فقد بلغتكم حالي وتحفت لوعتي وغرامي فليس سري مكتوما عن الواشين ولا مرضى مقطوعا وفي البيت الأول من البديع رد العجز على الصدر في قوله لائمي وتلم وفيه أيضا الجاس الشبه المشتق في قوله العذري معذرة ، ثم اعترف بالنصح فقال :

النصح

:

مَحْضَتِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أُمْتَمُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْمُدَّالِ فِي صَمَمٍ

المحض الخالص والنصح ضد الفش والعدل جمع عاذل أي اللوام والصمم ضد السمع واتهمت من التهمة وهي الحمل على غير المقصود والشيب بياض الشعر والتهم جمع تهمة [الاعراب] محضتي فعل وفاعل ومفعول أول النصح مفعول ثان لكن حرف ابتداء

النصح عن الاغراض كالالتفات الى المحبوب فإذا كان اللام له الالتفات الى المحبوب لم يخلص
النصح عن الاغراض بل له فيه غرض وهو اختصاصه بالمحبوب بخلاف ما إذا كان
ليس له الالتفات الى المحبوب فإنه قد أخلص النصح وما هنا من هذا القبيل على التسليم
الجدلي وقوله لكن لست أسمعه استدراك على قوله محضتي النصح والنتي إنما هو صماع
القبول والافقد يسمعه بل قد يتلذذ به وقوله ان الحب الخ تعليل لقوله لكن لست
أسمعه فكأنه قال إنما أسمعه لأن الحب الخ وفي الحديث حبك للشيء يعنى ويصم أى
يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله عن العذل على تقدير مضاف أى عن
نصحهم والعذل جمع عاذل وهو اللأم في الحب وقوله في صم لا يخفى ما فيه من المبالغة لأنه
بالغ في الصم حتى كأنه محيط بالحب وجعله ظرفا له والصم ضعف في قوة السمع فوق
الوقر ودون الطرش ودون الصنج أيضا كما علم بالأولى ولذلك قال الثعالبي يقال في أذنه
وقر فإن زاد فهو صم فإن زاد فهو طرش فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج وإنما
خص المصنف الصم بالذكر دون غيره وإن كان كل من الطرش والصنج أعلى منه لأنه
هو الذى تستقيم عليه القافية (قوله إني اتهمت الخ) لما اعترف له على طريق التسليم الجدلي
بأنه محضه النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه في عذله فكأن السائل قال له كيف تتهمنى في العذل
فقال له إني اتهمت الخ أى فإذا اتهمت نصيح الشيب في عذله على في الهوى والحال أن
الشيب أبعد عن التهم في النصح فكيف بالعاذل الذى ليس أبعد عن التهم في النصح بل
من شأنه أن يتهم فيه والاضافة في قوله نصيح الشيب للبيان أى نصيحا هو الشيب أو من
إضافة الصفة للموصوف أى شيئا ناصحا وإنما كان الشيب ناصحا لأنه يدل على قرب الأجل
وحصول الموت الوجوب لترك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى
وإنما دل على ذلك لأنه ليس بعد بياض الزرع إلا حصاده فهو ناصح بلسان الحال وقد
قيل في قوله تعالى وجاءكم النذير إبه الشيب وقوله في عذل متعلق باتهمت أى اتهمته
في لومه على في الهوى ودواعي الشباب وهو بفتح الدال المعجمة لغة في العذل بسكونها
وقوله : والشيب أبعد في نصح عن التهم أى والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح
فالواو للحال [وفائدة هذين البيتين] أنك إذا أحببت شخصا في الحلال وتستحي منه
ومن الناس أن تكلمه فاكتهما في ساعة الزهرة في صحفة من نحاس وامح تلك الصحفة
بماء الطر واشربها فإنك تقوى على المحبوب وتجتنب به ولا تحتشى من أحد أبدا وتخشى
إليه سررك وتبلغ منه مقصودك إن شاء الله تعالى (قوله فإن أمارتى الخ) هذا تعليل
لابت قبله فكأنه قال إنما اتهمت نصيح الشيب في العذل ولم أقبل نصحه لأن أمارتى الخ.
واستشكل قوله أمارتى بأن فيه اتحاد الأمر والمأمور لأن نفس الشخص هو .
وأجيب بجوابين أحدهما أن النفس باعتبار تعلقها بالخالفة أمر وباعتبار تعلقها بالصواب
مأمور فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما أن الأمر النفس والمأمور البدن فالنفس
مستولية بسلطانها على البدن فتصرفه في شهواتها والأماراة من أنواع النفس وهى
التي تأمر بالخالفة فلا يلوح لها طمع إلا فعلته ولا برزت لها شهوة إلا قضتها فلم تسلك
سبيل الرشاد ولم تضى بنور السداد وقد ذكرها الله في قوله تعالى : إن النفس
لأماراة بالسوء ، ومنها اللوامة وهى التى ترجع باللوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع

إني اتهمت نصيح الشيب في عذل
والشيب أبعد في نصح عن التهم
واستدراك لست بضم التاء ليس واسمها
أسمعه فصل وفاعل ومفعول والجملة في
محل نصب خبر ليس إن الحب إن واسمها
عن العذل بالدال المعجمة متعلق بضم
فإن قلت معمول المصدر لا يتقدم عليه قلت
ذلك في غير الظروف والمجرورات على
الأصح في صم خبر إن إلى إن واسمها اتهمت
خبرها نصيح مفعول اتهمت الشيب
مضاف إليه في عذل بفتح الدال المعجمة
اسم مصدر متعلق باتهمت والشيب
مبتدأ أبعد خبره في نصح عن التهم
متعلقان بأبعد وهو اسم تفضيل وفصل بينه
وبين المفعول المجرور عن الجار والمجرور
قبله والجملة حال مرتبطة بالواو.

[ومعنى البيتين] قد نصحتني أيها
الناصح نصيحة خالصة لكنى من عظم
محبتى لست أسمع نصح ناصح فإن العاشق
أصم عن استماع نصح العذل كما قيل : حبك
الشيء يعنى ويصم فإني اتهمت كل ناصح
حق اتهمت الشيب في نصحه لى والحال
أن الشيب أبعد النصحاء عن مواقع
التهم فإن العاذل غيره قد يتهم بالحمد
والطمع والغيرة وغيرها والشيب لا يتصور
شئ من ذلك فيه وفي البيت الثانى من
المبديع رد العجز على الصدر وهو من
القسم الذى جعل فيه أحد اللفظين
التجانسين في حشو المصراع الأول وهو
جناس الاشتقاق في قوله إني اتهمت والتهم
وفيه أيضا التكرار في لفظى الشيب.
فإن أمارتى بالسوء ما انعمت
من جهلها بنذير الشيب والحرم

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى ضَيْفِ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
لَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ أُنَى مَا أَوْقَرَهُ كُنْتُ سِرًّا بَدَالِي مِنْهُ بِالْكُتْمِ

أما قرى مبالغة أى نفسى الأمانة والسوء اسم جامع للقبائح واتعظت مطاوع وعظ يقال وعظته فاعظ أى نصحته وذكرته في العواقب
والنذير للبلغ ولا يستعمل إلا في التخويف (١٤) والهرم كبر السن وأعدت أى ادخرت واجتعلل الحسن والقرى بكسر

القاف والقصر مصدر قرى الضيف أحسنت
إليه وألم حل وزل ومحتشم أى مستح
وأوقره أعظمه وأحترمه وكنمت أخفيت
والكتم بفتح التاء نبت يخضب به كالحناء
[الاعراب] فان الفاء تمليلية لعدم
قبول النصح وان حرف توكيد أمارتى
اسمها بالسوء بضم السين متعلق بأمارتى
ما حرف فى اتعظت فعل ماض وفاعله ضمير
مستتر فيه يعود إلى أمارتى والجملة خبر إن
من جهلها متعلق باتفعت على أنه علة له بنذير
متعلق باتفعت الشيب مضاف إليه على معنى
من والهرم بفتح حين معطوف على الشيب
ولا أعدت بسكون التاء معطوف على اتعظت
من الفعل متعلق بأعدت الجميل نعت الفعل
قرى بكسر القاف وفتح الراء بلا تنوين لأنه
مضاف منصوب على الفعولية بأعدت
ضيف مجرور بإضافة قرى إليه ألم بفتح
الميم المشددة فعل ماض وفاعله والجملة نعت
ضيف برأسى متعلق بألم غير بالنصب على
الحال من فاعل ألم المستتر فيه محتشم مضاف
إليه لو حرف شرط كنت بضم التاء فعل
ماض ناقص والتاء اسمه وجملة أعلم خبره
أنى بفتح الهززة حرف توكيد وباء التكلم
اسمها مانافية وجملة ما أوقره من الفعل
والفاعل والمفعول خبرها وأن ومعمولاها
سدت مسد مفعولى أعلم والهاء للشيب
كنمت بضم التاء فعل وفاعل جواب لو سراً
مفعول كنمت بدافع ماض وفاعله ضمير
مستتر يعود على سراً والجملة نعتلى منه متعلقان

في المعصية لسابقة القضاء ، ومنها المطمئنة وهى التى اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله
فهى دائماً موقفة للطاعة مصدقة بقاء الله تعالى وقد ذكرها الله تعالى في قوله تعالى
يا أيها النفس المطمئنة الآية وقوله بالسوء متعلق بأمارتى والسوء القبيح وقوله ما اتعظت
خبر إن أى ما قبلت الوعظ وقوله من جهلها أى من أجل جهلها فهو تعليل لقوله
ما اتعظت وإعما ونح نفسه على عدم الاتعاظ بسبب جهلها لأنه قادر على دفع الجهل
بتحصيل أسباب العلم وقوله بنذير متعلق باتفعت أو بجهلها ونذير إما بمعنى الانذار
فيكون مصدراً وعلى هذا فالإضافة في قوله نذير الشيب والهرم من إضافة المصدر
لفاعله أو بمعنى المنذر فيكون اسم فاعل وعلى هذا فالإضافة في قوله نذير الشيب والهرم
من إضافة الصفة للموصوف أو للبيان وكان عليه أن يقول بنذيرى الشيب والهرم إلا
أن يقال الإضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد أو أنه حذف من الثانى لدلالة الأول
والأصل بنذير الشيب ونذير الهرم [وهذا البيت والاثان بعده] خاصيتهما أن من كانت
نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتب الآيات الثلاثة
يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتها ويمحوها بماء الورد ويشربها فإذا شربها استمر
جالساً مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب ويذكر الله تعالى ويكرر هذه
الآيات في بعض الأوقات أيضاً فإنه لا يفارق هذا المجلس إلا وقد اتقادت نفسه وحسن
حاله إن شاء الله تعالى ويوقفه الله للتوبة (قوله ولا أعدت الخ) عطف على قوله
ما اتعظت من قبيل عطف الخاص على العام لأن الاتعاظ يكون بالاثان بالأعمال الحسنة
والاجتناب عن الأعمال القبيحة وأما إعداد القرى فلا يكون إلا بالأول فقط والإعداد
التهيئة يقال أعد واستعد بمعنى هيا وقوله من الفعل الجميل أى من الأعمال الصالحة
وهو بيان مقدم لقوله قرى ضيف مشوب ببعض قرى الضيف بكسر القاف إكرامه
وفيه استعارة مصرحة مرشحة لأنه شبه الشيب بالضيف بجامع الطرود في كل فان سواد
الشعر كان ملازماً للإنسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف في طروءه على الشخص
بعد أن لم يكن واستعار اسم للشبه به فله شبه وذكر القرى ترشيحاً للاستعارة ولما كان
الشيب نذيراً بانقضاء العمر صار بلسان حاله طالباً للأعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة
كما يطلب الضيف قراه تصريحاً أو تلويحاً وقوله ألم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله برأسى
أى فى رأسى فالباء بمعنى فى وقوله غير محتشم أى غير مستحى وهو حال من الضمير الفاعل
بألم وإنما كان غير محتشم لأن من آداب الضيف أن لا يكثر الإقامة عند من أضافه
فن أكثرها عنده كان غير محتشم والشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت فهو غير
محتشم فعلى العاقل أن يستعد بالأعمال الصالحة لضافته فان آخر الاستعداد إلى نزوله
قد لا يتمكن من شئ من الأعمال لسرعة الرحيل وضيق الوقت (قوله لو كنت أعلم الخ)

يبدأ والهاء لسراً بالكتم بفتح الكاف والتاء متعلق بكنمت [ومعنى الآيات الثلاثة] أن نفسى الأمانة بالسوء لم تتعظ من فرط الجهالة لما
بنذير الشيب وكبر السن البعيد من التهمة فان الشيب نذير الموت والهرم دليل القوت ولاهيات من ثمرات الأعمال ومحاسن الحاصل ضيافة
لقدوم ضيف كريم نزل برأسى من نور شيبى فلم أكرمه عند الملامه ولا احتشمته حق احتشامه فلو كنت قبل نزوله عالماً بأنى لأرعى حرمة
النسب لكنمت أول ما بدالى من سر الشيب بخضاب يستر تحت البياض ولا لحقنى زيادة الملامة والاعتراض ثم أراد استرجاع ما فات فقال:

لما بين أن نصح الشيب لا ينبغي أن يهمل واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الأمانة ورأى
من سوء العتاب وتقييح الفعال من الناس ما لم يكن رآه قال لو كنت أعلم الخ والعلم
والمعرفة بمعنى واحد على الصحيح وقوله أي ما أوقره أي أتى ما أعظمه بفعل الجليل
وترك القبيح استحياء منه وقوله كتمت سرا أي أخفيت والنراد بالسر الشيب الذي
يظهر أولا وإعماسى سرا لأنه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذي لم يظهر وقوله
بدالى أي ظهر لى وقوله منه أي من الشيب وقوله بالكم متعلق بكتمت والكم بفتح
التاء نبت يخلط بالحناء ويغضب به الشعر فيبقى لونه كما في القاموس وقد قيل شيان
عجيبان هما أبرد من يخ شيخ يتصابى وصي يتمشيخ ويخ اسم لبئر شديدة البرودة
كذا نقل عن بعض الأشياخ وقال بعض أهل العلم هو اسم لدود يكون في الثلج الذي
هو شديد البرودة وذلك الدود أشد برودة من الثلج وإعماقيد بقوله لى لأنه إذا نزل
الشيب بالشخص ظهر له أولا في الغالب لاهتمامه بشأن نفسه ويحتمل أنه من البيان
بعد الاجمال على حد رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وفي هذا البيت تنبيه على
توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا فقد روى أن أول من رأى الشيب إبراهيم على
نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال ما هذا يارب فقال الله تعالى وقرا يا إبراهيم فقال يارب
زدنى وقارا فأصبح وقد عمه الشيب وفي الحديث القدسي الشيب نورى (قوله من لى
الخ) لما لم تنعظ النفس بواعظ الشيب استفهم على سبيل الاستعطاف عن ينسكف لى
رد جماعها بالمواعظ السنوية والأسرار الربانية فقال من لى الخ أى من ينسكف لى الخ
وقوله برد جماع من غوايتها أى بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالها فالجماع بمعنى
القوة والغلبة والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعنى ضلالها والجار
والمحروور متعلق بمحذوف صفة للجماع أى جماع ناشئ من غوايتها وقوله كما برد
جماع الخيل بالجمع أى ردا مثل رد جماع الخيل بالجمع فى القوة والعنف حيث لم ينفع
وأعظ الشيب فالكاف بمعنى مثل وما مصدرية والجمع جمع لجام ككتب وكتاب
وفي هذا البيت إشارة إلى أن السلوك لا يتم الا بشيخ عارف لأن النفس ربما تستحسن
أمرا فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر [وفائدة هذا البيت والاثنين
بعده] أن من أكثر تلاوتها عند شروعه فى إزالة منكرو مفتتحا تلاوتها عشر مرات
فإنه يرى الهية والقبول بالسكال باذن الله تعالى رآه فلا ترم بالمعاصى الخ لما استفهم
عن برد جماع نفسه ردا عنيفا استشعر شخصا قال له لاجابة الى ردها لأنك
إذا أعطيتها ماتت من المعاصى انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم
بالمعاصى الخ أى لا ترج ولا تتوقع بتمكنها مما تمناه من المعاصى دفع شهوتها لأنها
إذا ألقت المعاصى قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله : إن الطعام يقوى شهوة
النهم أى إن الطعام يزيد فى شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذى هو شديد
الشهوة إلى الطعام فتمكن منه يزيد فى شهوته إليه وكذلك النفس تمكنها من المعاصى
تزيد فى شهوتها اليها . واعترض بأن النهم إنما تقوى شهوته الى الطعام إذا لم يشبع
منه وأما إذا شبع منه فقد أخذ حاجته . وأجيب بأن المعدة تنفتح ابدا لما
يلقى فيها من الطعام إلا لما منع وقوتها الجاذبة لا تزال وإن امتلأت لاسيا معدة النهم

مَنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جَمَاحُ الْخَيْلِ بِالْجَمِّ
فَلَا تَرْمِ بِالْمَعَاصِي كَسَرِ شَهْوَاهَا
إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ

وَالنَّفْسُ كَالطَّافِلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقْطَعُهُ يَنْقَطِعُ

الجماع مصدر جمع الفرس إذا غلب فارسه وجمع الرجل إذا ركب هواه وعسر رده فهو جروح والغواية الضلالة والرد الرجوع والخيل اسم جمع واحد فرس في المعنى والجمع جمع لجام فارسي معرب وهو ما يعمل في فم الفرس والروم الطاب والمعاصي جمع معصية ضد الطاعة والكسر الصرف

(١٦)

والأهمل الترك وشب الفلأم إذا كبر

والرضاع شرب اللبن قبل حولين وقطعت المرأة ولدها فصلته عنها

[الاعراب] من بفتح اللام اسم استفهام

مبتدأ لي خبره برد متعلق بما يتعلق به

المجرور قبله جماع بحجم مكسورة ثم جاء

بمهملة مضاف إليها من غوايتها بفتح

العين المعجمة متعلق برد كما الكاف

جارة ومصدرية برد فعل مضارع مبنى

للمالم يسم فاعله جماع نائب الفاعل

الحيل مضاف إليه بالجمع ضم اللام

والجمع متعلق يبرد فلا حرف نهى ترم

بضم الراء مجزوم بلا الناهية بالمعاصي

متعلق بترم كسر مفعول ترم شهوتها

مضاف إليه إن الطعام إن واسمها يقوى

بضم الياء وفتح القاف وتشديد الواو

المكسورة فعل مضارع وفاعله ضمير

مستتر فيه يعود على الطعام شهوة مفعول

به النهم بفتح النون وكسر الهاء مضاف

إليه وجملة يقوى خبر إن والنفس بسكون

الفاء مبتدأ كالطفل خبره إن تهمله بضم

التاء شرط شب بفتح المعجمة والوحدة

جواب الشرط على حب بضم الحاء

المهملة متعلق بشب الرضاع بفتح الراء

وكسرهما مضاف إليه وإن تقطعه ينقطع

بفتح أولهما شرط وجوابه

[ومعنى الآيات الثلاثة] من برد نفسى

الأمارة بالسوء عماهى عليه من الضلالة

(قوله والنفس كالطفل الخ) شبه النفس بالطفل في عدم المال والسأمة بالاستمرار

على المألوفات فكما أن الطفل أن تركته على ما ألقه من الرضاع دام على حبه وإن منعه

عنه امتنع كما ذكره بقوله أن تهمله الخ كذلك النفس إن تركتها على ما ألقته من

للمعاصي دامت على حبه وإن منعها عنه امتنعت وقوله أن تهمله أى تركه على ما ألقه

من الرضاع وقوله شب على حب الرضاع أى كبر حال كونه مشتملا على حب الرضاع

وإن تقطعه ينقطع أى وإن تفصله وتمنعه عن الرضاع انفصل وامتنع عنه وصار غير

طالب له قال في الصباح قطعت المرأة الرضيع قطعا من باب ضرب فصلته عن الرضاع

فهى فاطمة والرضيع فطيم والجمع فطم بضمين مثل بريد وبرد اه وعلم من ذلك

أن تقطعه بكسر الطاء واعلم أن النفس لطيفة ربانية وهى الروح قبل تعلقها بالأجساد

وقد خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقربه

فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما أمرها الحق أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير

لحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فلذلك احتاجت إلى مذكر قال تعالى

وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين فهى قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها

به تسمى نفسا فلا اختلاف بينهما اعتبارى والطفل بكسر الطاء المهمة الصغير ذكر

كان أو أنى (قوله فاصرف هواها الخ) أى إذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالفاء

فاء الفصيحة وإنما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو مقتضى الظاهر لأنه نظر

لكونها تابعة لهواها لا تخالفه أبدا فلا يمكن صرفها عن هواها وإنما الممكن صرف

هواها بمعنى عدم اتباعه فهى لا تخلو عن هوى أبدا لكن الشخص لا يتبعه وقوله

وحاذر أن توليه أى واحذر أن تعطى هواها الولاية والإمارة عليك لأنه داع إلى

الضلالة غير صالح للإمارة وإنما عبر المصنف بحاذر دون احذر تنبيها على أن النفس

تراقب غفلة الشخص لتقع فى هواها فهى تحاذره كما يحاذرها فالحاذرة من الجانبين

وقد علل ذلك بقوله إن الهوى الخ فهو فى قوة قوله لأنه جائر ظالم وقوله ماتولى ضبطه

شيخ الاسلام بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على أنه مبنى للمفعول والشائع على

الأسنة قراءته بفتحات على أنه مبنى للفاعل وكل صحيح فالمنى على الأول ما ولله

الشخص وعلى الثانى ما صار واليا وما شرطية وقوله يصم بضم الياء وسكون الصاد من

أصميت الصيد إذا رميته فقتلته وقوله أويصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه

إذا عابه فالمعنى أن الهوى إن ولاه الشخص يقتله أويصم وفى هذا الكلام استعارة

بالكناية وتخيل لأنه شبه هوى النفس بإنسان طالب للولاية والإمارة تشبيها مضمرا

في

والغواية بالمواغظ السنية والأسرار الربانية كما يرد الفرس الجموح بالجم

الشديدة فلا تطلب أيها المخاطب كسر شهوة النفس بشيء من المعاصي فإن تناول الأطعمة البذيذة يقوى شهوة الحريص على الأكل

ولو منع نفسه عن ذلك لامتنت فإن النفس تشبه الطفل الرضيع فى أنه إن ترك على الرضاع بلغ أوان الشباب وهو مستمر

على الرضاع وإن فطم امتنع ولم يتضرر من القطم . ثم تم ذلك فقال :

فَاصْرِفْ هَوَاَهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصْمِرْ أَوْ يَصِمِ

وَرَاعِيَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتْ الرِّعَى فَلَا تَسْمُ
كَمْ حَسَنَتْ لَدَةَ الرِّعَى قَانِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنَّ السَّمَّ فِي الدَّسَمِ

الحذر التحذير والتولية الولاية والإمارة وتولى تؤمر ويصم بضم الياء يقتل ويفتحها يصيب وراعها لاحظها والسوم الرعى
في الكلاء اللباس واستحلت المرعى وجدته حلوا والمرعى الكلاء والسّم يقتل السنين الشيء القاتل والسّم الودك كالدهن .
[الأعراب] فاصرف فعل أمر وفاعل هواها مفعوله وحاذر (١٧) بالحاء المهملة والذال المعجمة فعل أمر بمعنى

احذر أن يفتح الهمزة وسكون النون
حرف مصدرى توليه فعمل مضارع
منصوب بأن إن بكسر الهمزة وتشديد
النون حرف تأكيد ونصب الهوى اسمها
ما اسم شرط بمعنى إن تولى فعل ماض
في موضع جزم بما يصم بضم الياء
وسكون الصاد المهملة وكسر الهمزة جواب
الشرط أو حرف عطف لأحد الشيين
يصم بفتح الياء وكسر الصاد المهملة
معطوف على يصم والشرط وجوابه
خبر إن وراعها بفتح الراء وكسر العين
المهملتين فعل أمر وفاعل ومفعول
معطوف على اصرف وهي مبتدأ في
الأعمال بفتح الهمزة متعلق بسائمت سائمت
بسين مهملة خبر البتداء والجملة حالية
مرتبطة بالواو والضمير وان حرف شرط
هي فاعل بفعل محذوف يفسره
استحلت هذا مذهب جمهور البصريين
وزهد الأخفش والكوفيون إلى أن
هي مبتدأ وجملة استحلت الرعى من
الفعل والفاعل والمفعول خبره فلا حرف
نهى تسم بضم التاء وكسر السين مجزوم
بلا النافية وكسر للقافية ومفعوله
محذوف والجملة جواب الشرط وقرنت
بالفاء لأنها طلبية كم خبرية بمعنى كثير
عملها نصب على المصدرية أي كم تحمين
وحسنت بتشديد السين المهملة فعل

في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو منته من الولاية
والإمارة حيث قال: فاصرف هواها وحاذر أن توليه. وورشها بذكر أنه جائر ظالم لأنه إن
تولى قتل أو عاب حيث قال إن الهوى ما تولى يصم أو يصم فهي مرشحة لأنها قرنت
بما يلائم المستعار منه ولما كان الهوى سببا للهلاك أجمع على ذمه العارفون ووردت
بذمه الآيات والأحاديث لأنه ينتج من الأخلاق قبايحها ويظهر من الأفعال فضايحها
ويجعل ستر للرؤية مهتوكا ومدخل للشر مسلوكا وقال ابن عباس الهوى إله يعبد
من دون الله وتلا قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الآية وقال الشعبي إنما
سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه إلى النار وبالجملة فالهوى أصل كل بلية والخلاص منه
عسر جدا إلا بتوفيق من الله تعالى (قوله وراعها وهي الخ) لما كان ظاهر كلامه أن
هوى النفس يصرف حق عن الطاعة شرح الحال بقوله وراعها وهي الخ أي لاحظها
والحال أنها في الأعمال الصالحة سائمت كالبيمة السائمت في الكلاء فالواو للحال وأل في
الأعمال للعهد والعهود الأعمال الصالحة أعم من أن تكون واجبة أو مندوبة وفي
سائمت استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه أخذ النفس في الأعمال واشتغالها بها بسوم
البيمة في الكلاء بجامع عدم معرفة الصلاح في كل واستمرار السوم للأخذ والاشتغال
واشتق منه سائمت بمعنى آخذة ومشتغلة وإنما أمر بملاحظتها وهي مشتغلة بالطاعة لأنه
قد يكون لها حظ فيها كرياضة وحب محبة وشهرة ولذلك قال وإن هي استحلت للرعى
فلا تسم بضم التاء وكسر السين أي وإن هي وجدت الرعى حلوا فلاتبقها فيه لأنها
لا تميل إلى الطاعة لذاتها بل لفرض فيها فتغلب الطاعة بمعصية بل قد تكون أعظم
مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول صاحب الحكم: رب معصية أورت ذلا وانكسارا
خير من طاعة أورت عزا واستكبارا ، وفي بعض الآثار أوحى الله إلى داود عليه
السلام يا داود قل للعاصين الخبتين أبشروا وقل للعابدين المعجيين اخشوا ومن
للعلوم أن أداة الشرط وهي إن هنا من خواص الفعل فقوله وإن هي أصله وإن
استحلت حذف الفعل فانفصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل المحذوف على حد
قوله تعالى وإن أحد من الشركين استجارك وفي قوله فلا تسم استعارة بالكناية وتخيل
لأنه شبه النفس بالبيمة بجامع عدم معرفة الصلاح في كل تشبيها مضمر في النفس
وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاسامة وذكر الرعى
ترشيع (قوله كم حسنت الخ) هذا البيت استشهاد على البيت قبله وكم خبرية بمعنى

(٣ - باجوري - بردة) ماض وفاعله مستتر فيه يعود على النفس لدة بفتح اللام والذال المعجمة مفعول حسنت

للمرء متعلق بحسنت قانلة نعت لدة من حيث بثلاث المثانة متعلق بقاتلة لم يدر جازم ومجزوم أن بفتح الهمزة حرف تأكيد الدسم اسم
أن في الدسم بفتح السين خبرها وأن ومعمولاها مفعول يدر ويذر ومعموله في موضع خفض بإضافة حيث إليه [ومعنى الآيات الثلاثة]
أمسك عنان النفس واصرف هواها عما هي عليه من طلب اللذات والانهماك على الشهوات واجهد في الحذر عن سلطان الهوى
وولايته فإن الهوى مادام واليا على المرء فلما أن يقتله معافضة وإما أن يعيه وأحسن رعى النفس في حال كونها سائمت في رياض

كثيرا ويميزها محذوف والتقدير كم مرة أى كثيرا من المرات وقوله حسنت لذة للمرء قاتلة أى عدت لذة قاتلة حسنة للشخص رجلا كان أو امرأة فلذة مفعول لحسنت وقاتلة صفة لها وهذا الصنيع أولى من جعل لذة تميزا لكم وجعل مفعول حسنت محذوفا وإن جرى عليه بعض الشارحين وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله من حيث لم يدر أن السم فى الدسم أى من جهة وتلك الجهة هى كونه لم يعلم أن السم بتثليث أوله مدسوس فى الدسم الذى هو الدهن وخص السم بالذكر لأنه قاتل وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة فى كلامه استعارتان مصرحتان أما الأولى فلائنه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه وأما الثانية فلائنه شبه صورة الطاعة بالدسم بجامع أن كلا سائر لغيره واستعار اسم المشبه به للمشبه . والحاصل أن النفس لها حظ فى الطاعة كما أن لها حظا فى العصية بل حظها فى الطاعة أشد لأن حظها فى العصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى [وفائدة هذه الآيات الثلاثة التى أولها فاصرف هواها الخ] أن من واطب على قراءتها خلف كل صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله آمنا من الأهواء والبدع (قوله واخش الدسائس الخ) أى خف المكائد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع والدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة والكلام فى الجوع والشبع المفرطين لأن المذموم منهما ليس إلا المفرط وأما المعتدل الذى بين الإفراط والتفريط فمدح كما يشير لذلك قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ويحتمل أن المصنف كنى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لأن قلة العبادة تثول إلى الجوع فى الآخرة وكثرة العبادة تثول إلى الشبع فى الآخرة فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة كالميل إلى الراحة وترك العبادة بالكلية والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمحمدة وهو مفسدة عظيمة لأنه حينئذ يكون قاصدا بالعبادة غير وجه الله تعالى . ولما كان قد يقع فى بادئ الرأى أن الجوع لادسائس فيه لأن العرب والحكماء تمدح بقلة الأكل وتذم بكثرته وحينئذ فلاوجه التحذير من مكاييد الجوع دفع المصنف ذلك بقوله قرب مخمصة شر من التخم فكأنه قال لا تستبعد ذلك إذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل باعتبار الآفات المترتبة عليهما فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الأكل وإن كان فيها كسل ولاشك أن ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها هذا على أن المراد بالجوع والشبع حقيقتهما وأما على أن المراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها فكأنه قال لا تستبعد ذلك إذ رب عمل قليل شر من عمل كثير فإن النفس قد تزين له قليل العبادة كأن تقول له لازم القليل من العبادة وداوم عليه لأن الكثير يضر البدن فيؤدى إلى العجز بالكلية وربما يكون فيه الرياء وقصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة كأن تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك أن تمجد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم كثير منها بل قد ينصلح باطنه فى آخره أمره وقد كان

الأعمال كالأعمال تتباعد وتتأدى فى رعيها فتستحل المرعى وإن استحلته فلا تسماها فيه فتتمرد عليك ولا تطيعك بعد ذلك وإياك وتلبس النفس فكم زينت وجسنت للمرء لذة قاتلة له بحيث لا يعلم أن فيما يلتذ به من الطعام الدسم سما قاتلا لا كاله وفى البيت الأول من البديع الجنس المحرف فى قوله يسم أو يسم وفى البيت الثانى رد العجز على الصدر فى سائمة ونسم وهو من القسم الذى جعل أحد متجانسى الاشتقاق فى آخر المصراع الأول .

وَإِخْشَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
قَرُبَ مَخْمَصَةٍ شَرًّا مِنْ التَّخْمِ

واستخرج الدمع من عين فدا امتلات
 الحشية الخوف والسماس جمع دسيسة وهى الفتنة الخفية من
 من المحارم والزوم يحيطه القدم
 (١٩) الدساسة وهى الكيد والسكر الحفى واخمصة

المجاعة والتخمة جمع تخمة وهي فساد الطعام
في المعدة من الامتلاء واستفرغ من
التفريغ وهو التخلية والمحارم جمع محرم
وهو الحرام والحمية للنعم مما يضر والنم
الأسف .

[الاعراب] واختص الدسائس فعل
أمر وفاعل ومفعول به من جوع ومن
شبع في موضع الحال من الدسائس
ومن لبيان الدسائس قرب حرف جر
محمصة مجرور برب في موضع رفع على
الابتداء شر خبره كقوله :

ورب قتل عار من التخم
بضم التاء العوقية وفتح الحاء المعجمة
متعلق بشر واستفزع الدمع فعل أمر
وفاعل ومفعول من عين في موضع
الحال من الدمع قد حرف تحقيق
امتلاّت فعل ماض وفاعله مستر يعود
الى عيين من الحارم متعلق بامتلاّت
والزم بفتح الزاي فعل أمر معطوف على
استفزع حمية بكسر الحاء المهملة مفعول
به الندم مضاف إليه .

[ومعنى البيتين] واختر المالك
الخفية الحاصل بعضها من الجوع كسوء
الخلق والحمة والدبول وضعف قوى
البدن وغير ذلك وبعضها من الشبع
كالكسل وغلبة الشهوة وإظلام القلب
وغير ذلك وكل من هذه الأمور
مشوش للعبادة وقد تحصل العبادة مع
الشبع دون الجوع فيكون الجوع
شرا من الشبع فانظر في مصلحتك
وأكثر البكاء على خطيئتك وأفرغ
الدموع من عينين قد امتلأت من
نظر لعل الله تعالى يقبل توبتك ويعمل

بعض الشايع يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك أن تصلح بواطنكم . وحكى أن رجلا تعبد سنين ليشتهر بذلك وتودع عنده الأمانات فينتفع بها فلم يودع عنده شيء فمسا طال عليه الأمر وبخ نفسه وتاب الى الله تعالى فلما أصبح أتى بأمانة فقال لصاحبا ما كان بيننا وبينها إلا ظلام الليل اذهب بسلام ورب هنا للتقليل والخمسة المجاعة والتخم بضم التاء وفتح الحاء جمع تخمة وهى فساد المدة بالطعام وقيل فساد الطعام في العدة وفسرت أيضا بأنها ضد الخمصة وهذا قد يقتضيه كلام المصنف وتعقب بأن ضد الخمصة الشبع وإن لم يحصل تخمة [وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما] لأن من قسا قلبه واستولت عليه نفسه وكررها ليلة الجمعة عند السحر فانه لا يصبح إلا وقد رأى رقة في قلبه وكسرا في نفسه ونهوض أعضائه في العبادة وندم على ما فرط وتاب الله عليه (قوله واستفرغ الدمع الح) أى أفرغ الدمع بالبكاء أو اطلب فراقه بذلك فالسين والتاء إما زائدتان وهو الأظهر أول للطلب وقوله من عين قد امتلأت من المحارم من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعا وعند الصوفية وأهل الحب رؤية الأغيار بها ولذلك يقال للعارف أدب عينيك بدمع الندامة إذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على كمال الكبير للتعالي ولم يزل السلف الصالح يكون على ما حصل منهم والبكاء على الحية معظم العزم حتى قال بعضهم لولم يبك الإنسان إلا على ما ضاع من عمره النفيس من غير طاعة لكفاه . وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم طوبى لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء وقيل في قوله تعالى فيهما عيانان تجريان إنيهما لمن له في الدنيا عيانان تجريان وقوله والزم حمية الندم أى والزم حماية الندم لك عن المحارم ويحتمل والزم الندم الحامى لك عن عقاب المحارم والمراد من الندم التوبة المستحكمة للشروط الشرعية وإنما عبر بالندم لأنه العدة في التوبة ولذلك ورد الندم توبة (قوله وخالف النفس والشيطان الح) أى إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء أو نهيتك نفسك والشيطان عن شيء فخالفهما لأنهما عدواك وقوله واعصهما أشار به الى أنه لا يكتفى بمجرد مخالفتهما لأنه قد يخالفهما الى ما يرضيان به بل لابد من عصيانهما وإن خست المخالفة بالمكروه والعصيان بالمحرم كان من عطف المغاير وإن أقيمت المخالفة على عمومها وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص وإنما قدم المصنف النفس على الشيطان لأنها أضرم منه وفتنتها أعظم من فتنته إذ هى العدو فى صورة صديق والإنسان لا يتنبه لمكايد الصديق وأيضا هى العدو من داخل بخلاف الشيطان فإنه العدو ظاهر وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لأنها أعظم حجاب بين الشخص وبين الله تعالى وقد مثل بعض الأسياف عن الإسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى وبالجملة فمخالفة النفس رأس العبادة

الالتزام بالحرام والالتزام
بالبكاء كفارة لذنبك :

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعْمِهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِمَ.

وَلَا تَطِيعُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكْمَ

النفس الروح وقيل الدم وقيل جميع البدن وقيل غير ذلك والشیطان إن كان من شطن فعناه المبعذ وإن كان من شاط فعناه المهلك أو المتهرق ووزنه على الأول فيعال وعلى (٣٠) الثاني فعلان ومعضاك أخلصاك والخصم المنازع والحكم الحكم

[الاعراب] وخالف النفس فعل أمر وفاعل ومفعول والشیطان معطوف على النفس واعصهما فعل أمر وفاعل ومفعول معطوف على خالف النفس والجمع بين المخالفة والعصيان للتأكيد بالمرادف وعطف الجمل في التأكيد خاص بهم كما صرح به الشيخ أبو حيان في الارتشاف وإن حرف شرطهما فاعل فعل محذوف يفسره المذكور والتقدير وإن معضك هما ويجوز عند الكوفيين والأخفش أن يكون مبتدأ معضك فعل وفاعل ومفعول أول النصح مفعول ثان والجمل على الأول لا محل لها لأنها مفسرة وعلى الثاني محلها الرفع لأنها خبر المبتدأ فانهم جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل أمر وحرك بالكسر لموافقة حرف الروي ولا حرف نهى تطع مجزوم بلا الناهية منهما متعلق بتطع وضمير الثانية للنفس والشیطان خصما مفعول تطع ولا حكما بفتحيتين معطوف على خصما وزيدت لا بعد العاطف لإفادة التأكيد في النفي فأنت مبتدأ تعرف خبره كيد مفعول تعرف الخصم مضاف إليه والحكم بفتح الحاء والكاف معطوف على الخصم .

[ومعنى البيتين] أن النفس والشیطان عدوان مبینان لك خالفهما فيما يأمرانك به وينهايانك عنه واعصهما في ذلك وإن أخلصاك النصح فانهمهما فيه ولا تعتقد نصحهما فإن أحدهما خصمك

وأول مراتب السعادة وانظر فعل الشيطان مع أيك وقد أقسم إنه له لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم أنه ليغوينك وقوله وإنهما معضاك النصح فانهم أي وإنهما أخلصاك النصح فيما أدياهك كأن يقول لك تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب أو يقول لك ارفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلا أو نحو ذلك فانهمهما بأن تنسبهما إلى الحيانة لأن مرادهما بذلك الخديعة والسكر وقد تقدم أن أداة الشرط وهى هنا إن من خواص الفعل فقوله وإنهما أصله وإن معضا حذف الفعل فانفصل الضمير والفعل المذكور تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك وعبر المصنف بأن التى للشك إشارة إلى أن إخلاصهما النصح أمر مشكوك فيه بل لا يفرض إلا كما يفرض المحال إذ لا يصدر منهما إلا العنق ولذا قيل إن الشيطان يفتح للإنسان تسعا وتسعين بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر [وخاصية هذا البيت والذي بعده] أن من واطب عليهما غلب نفسه وشیطانه ورزقه الله الحفظ منهما إن شاء الله تعالى (قوله ولا تطع منهما الخ) هذا البيت تأكيد للبيت قبله ومعناه أنه إذا تخاصم العقل مع النفس وجعل الشيطان حكما أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعل النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشیطان لا الخصم ولا الحكم لأن كلا منهما يدعو إلى الشر وأما العقل فيدعو إلى الخير فإذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحكم مع خصم العقل لأنه من ناحيته فلا يحكم إلا بما هو على مراده وقيل صورة كون أحدهما خصما والآخر حكما أن أحدهما يزين لك الأقدام على المعصية وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصما لك ثم بعد الأقدام على المعصية يزين أحدهما لك البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك أجلا بعد أجل كما يفعله الحكم فقد صار حكما في ذلك وبما تقرر علم أن الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ومن في قوله منهما للتبعض والضمير فيه عائد للنفس والشیطان ولا في قوله ولا حكما زائدة لتأكيد النهي وقوله فأنت تعرف كيد الخصم والحكم أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس وكيد النفس والشیطان أشد (قوله أستغفر الله الخ) لما كان المصنف معتقفا بأنه غير عامل بقوله وقد قال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون استغفر من ذلك حيث قال أستغفر الله الخ والمقصود من قوله أستغفر الله الانشاء وهو يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كما هنا ويجوز حذف من نحو أستغفر الله ذنبا أي من ذنب وقوله من قول بلا عمل أي من قول مصحوب بعدم العمل أو متلبس بعدم العمل فالباء للملابسة أو الصاحبة ومن للتعدية أو للتعليل وذلك كأن يأمر ولا يأتمر وينهى ولا يتهى وظاهر كلام المصنف

أن

والآخر حاكم عليك ومثلك لا يخفى عليه مكر الخصم وجور الحاكم التعصب وفي البيت

الثاني من البديع رد العجز على الصدر في تكرير الخصم والحكم . ولما استكمل ما بذل فيه النصح لمخاطبه بطريق التخليص مما أحاط به أثبتة لنفسه حيث لم يعمل بما قاله وطلب الغفران من هذه المقالة فقال :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِي بِلاَ عَمَلٍ أَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِيَذَى عَقْمُ

أن الاستغفار من القول المذكور ووجهه بعضهم بأن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الشخص مؤتمرا بما أمر به منتهيا عما نهى عنه فإن لم يكن كذلك في الواقع كان أمره ونهيه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه وبعضهم جعل الاستغفار منصبا على القيد فقط أعني عدم العمل لأن القول في ذاته طاعة فلا يحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب أهل السنة من أنه لا يتوقف الأمر والنهي على العمل بهما لأن عدم الأمر والنهي معصية وعدم العمل معصية أخرى وتقليل للعاصي مطلوب ما أمكن ولذلك قالوا يجب على مدير الكاس الإنكار على الجلاس ويجب على الزاني بامرأة أن يأمرها بستر وجهها ومن هذا يعلم أن العالم الذي لا يعمل بعلمه خير من الجاهل ، وأما قول صاحب الزبد :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

أمرتك الخير لكن ما انتمرت به
وما استقمتم فما قولي لك استقيم

فمحمول على علماء أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكتموا الحق وقيل إن تعذيبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه أسوأ حالا منهم بل للاسراع بتطهيره وقوله لقد نسبت به نسلا لدى عقم مستأنف استئنافا بيانيا لأنه واقع في جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له لم استغفرت من ذلك القول فقال لقد نسبت به نسلا لدى عقم أي لقد نسبت بهذا القول نسلا وهو الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة في العقم بسكونها وليس جمع عقيم لأن إضافة ذي إليه تمنع من ذلك لا يقال إن المصنف لم يقع منه نسبة نسل لدى عقم فكيف يقول لقد نسبت به نسلا الخ لأننا نقول المعنى على التشبيه أي كأنني قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك أن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الأمر والنهي مؤتمرا منتهيا فذلك القول يتضمن نسبة العمل إلى القائل فإذا كان بلا عمل فقد أشبه نسبة النسل لدى العقم وهو الذي لا يولد لمشبه وذلك كذب يستغفر منه فكذا ما أشبهه وهذا يؤيد أن الاستغفار من القول المذكور وفي ذكر فضل الاستغفار طول يخرجنا عن المقصود ، وما أحسن قول القائل :

ولو أن فرعون لما طغى وقال على الله إفسكا وزورا
أناب إلى الله مستغفرا لما وجد الله إلا غفورا

(قوله أمرتك الخير الخ) هذا البيت بيان للبيت قبله وأمر يتعدى لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة أخرى كما في قولك أمرت زيدا بكذا ومراده بالأمر ما يشمل النهي كما في قولهم أمر السلطان أن لا يؤذى أحد أحدا وأن يحامل في المعاملة فاندفع ما يقال لم يخص الأمر بالذكر مع أنه سبق منه أمر ونهي والمراد أمرتك بفعل الخير ونهيتك عن تركه والخير ماله عاقبة محمودة وقوله لكن ما انتمرت به أي لكن ما عملت به وقوله وما استقمتم أي بفعل الأمور وترك المنهيات لأن الاستقامة هي الاعتدال وعدم الاعوجاج وذلك يكون بفعل الأمور وترك المنهيات وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها في صورة هود وأخواتها قال تعالى فاستقم كما أمرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيعتي هود وأخواتها وقيل قال ذلك لما فيها من الإخبار عن إهلاك الأمم الماضية وقوله فما قولي لك استقم أي فما ثمرة قولي لك استقم حيث

وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أَصَلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصُمْ

الاستخار طلب الغفرة ونسبت عزوت والنسل الولد وعمم مصدر عقلت الرحم أى لم تقبل الولد والأمر الطلب والخير ضد الشر والتمرت أى امتثلت واستقمت اعتدلت والزاد فى الأصل الطعام اتخذ للسفر والمراد هنا الطاعات النافعة فى الآخرة والموت مفارقة الروح الجسد والنافلة الزيادة على الواجبات وسوى بمعنى غير [الاعراب] أستغفر بفتح الهمزة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا الله منصوب بأستغفر من (٢٢) قول متعلق بأستغفر بلا عمل نعمت قول لقد اللام مؤكدة لجواب قسم

لم أستقم والاستفهام إنكارى بمعنى النفي أى لاشعة له ولا فائدة له لأنه لا ينفع غالبا إلا إذا استقام القائل ولذلك قيل فى هذا المعنى :

يأبى الرجل العلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لدى السقام وذى الضنى كىما يصح به وأنت سقيم
أبدأ بنفسك فانها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتنى بالقول منك وينفع التعليم
لأنه عن خلق وثائق مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فان قيل لم يتقدم منه أمر بالاستقامة حتى يظهر قوله لما قولى لك استقم أجيب بأنه تقدم ضمنا لأنه يعلم من كلامه السابق (قوله ولا تزودت قبل الموت الخ) المراد بالتزود هنا العمل وإنما عبر بالتزود نظرا لكون الموت سفرا طويلا محتويا على الأهوال والشاق والسفر المذكور يناسبه التزود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والذي عليه المحققون من المفسرين أن المراد بالتزود أخذ الزاد الذى هو ما يوصلهم لمقصودهم والمراد بالتقوى فى هذه الآية ما يتقى به ذل السؤال وقوله نافلة أى مستقلة فاندفع ما يقال إن الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة مع كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر أن النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض لكن نقل القرطبي فى التذكرة عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن ذلك فيما نقص من الفرائض سهوا وأما ما نقص منها عمدا فلا يجبر بالنافلة وإن كثرت جدا وقوله ولم أصل سوى فرض ولم أصم إنما خص الصلاة والصوم بالذكر لأنهما محض عبادة بدنية وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يتنفل به وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ولم أصم سوى فرض . لا يقال يبعد أنه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كصوم عاشوراء وغيره . لأننا نقول إنما نفي ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة العدم لاتهمه نفسه فى الإخلاص فيه وما قيل من أنه كان إذا صلى نافلة نذرها أو صام نفلًا نذره فهو بعيد [وخاصية هذا البيت والذين قبله] أن من دخله العجب أو الرياء فى علم أو عمل كتبها عند طلوع الفجر وكررها إحدى وسبعين مرة ثم علق ذلك المكتتب على عضده الأيسر مائلا لجهة جنبه فإنه يتواضع حينئذ ويصير آمنا من

محذوف وقد حرف تحقيق والتقدير والله لقد نسبت بفتح المهملة وسكون الموحدة وضم التاء فعل وفاعل به متعلق بنسبت والهاء لقول نسلا مفعول نسبت لدى بكسر اللام والدال المعجمة جار ومجرور متعلق بنسبت عقم بضمين مضاف إليه وأصل القاف السكون وضمها لثة جارية فى الثلاثى المضموم أوله كسر ويسر . أمرتك الخير فعل ماض وفاعل ومفعولان لكن حرف ابتداء واستدراك مانافية اتمرت بضم تاء التكلم فعل ماض وفاعل والأصل اتمرت بهمزتين مكسورة فسا كنة قلبت السا كنة ياء لانكسار ما قبلها به متعلق باتمرت والهاء للخبر وما نافية استقمت بالضم فعل وفاعل لما اسم استفهام مبتدأ قولى بفتح القاف خبره لك متعلق بقولى استقم فعل أمر وفاعل فى موضع نصب على المفعولية لقولى ولا حرف نفي تزودت بالضم فعل وفاعل قبل ظرف زمان منصوب بتزودت الموت مضاف إليه نافلة بالفاء مفعول تزودت ولم حرف نفي أصل فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الباء سوى مفعول أصل لا ظرف مكان فرض مضاف إليه ولم أصم معطوف على أصل ومفعوله محذوف مما قبله والتقدير ولم أصم سوى فرض حذف من الثانى لدلالة الأول عليه

العجب

[ومعنى الآيات الثلاثة] إني أستغفر الله من قولى هذا فإنى عقيم عن تقديم عمل يناسب مقالى فان نتيجة القول العمل فلما لم ينتج قولى عملا فهو كالرحم العقيمة التى لم تنتج ولذا ووالله لقد عزوت بهذا القول الخالى عن العمل ولذا لعقيم فقد أمرتك بالعمل الصالح وما فعلت أنا ما أمرتك به وما اعتدلت بإقامة نفسى على الاستقامة لما فائدة قولى لك اعتدل أنت إذا لم أعتدل أنا وقد قال الله العظيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وما تزودت قبل نزول الموت زادا من النوافل واقتصرت من الصلاة والصوم على الفرض منهما .

المعجب والرياء (قوله ظلمت سنة من الخ) هذا تخلص للشروع في المقصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم ولم يشرع فيه إلا بعد الوعظ والاستغفار والندم تأهيلا لمدح هذا الجنب الشريف ولما أخبر عن نفسه بما أخبر من كثرة التفريط وأخبر بأنه لم يتزود من النافلة حكم بأنه ظلم سنة سيد المرسلين أي جار فيها ووضعها في غير موضعها لأن الظلم هو الجور ووضع الشيء في غير محله والسنة لغة الطريقة وشرعا الطريقة السلوك في الدين من غير إقراض ولا وجوب ومن واقعة على نبي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله أحياء الظلام أي أثار الليل المظلم بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد بأحيائه إثارته بالصلاة إذ العبادة كما تؤثر النور في وجه العابد تؤثر في زمنها ولا ينبغي أن في كلامه استعارة تصريحية تبعية أو استعارة مكنية فيكون قد شبه الأتار بالإحياء بجامع النفع في كل واستعار الإحياء للأنارة واشتق من الإحياء بمعنى الأنارة أحياء بمعنى أثار أو شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بحيث يحجب تشبيها مضمر في النفس وطوى لفظ التشبيه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإحياء وقوله إلى أن اشتكت قدماء الضر من ورم أي واستمر إحياءه صلى الله عليه وسلم للظلام إلى ذلك فهو غاية في الإحياء لكن لا مفهوم لهذه الغاية واشتكاه القدماء كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعي وسبب ورم القدماء من كثرة القيام انصباب المواد التي في أعلى الجسم اليهما لطول القيام فإنه صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن يزيد بالليل على اثنتي عشرة ركعة لكن كان يطيل القيام فيها وقد روى المصنف أنه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماءه فليل له أتسكف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي رواية أنه قال جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا فأرسل الله سبحانه وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وفي هذا البيت مزيد التقرير لنفسه فكأنه يقول لها ما بالك في هذا التخصير وعدم الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه الصفة من بين الصفات [وخاصية هذا البيت والأربعة بعده] أن من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولا زالت نفسه تمتد لراحة الدنيا فليكتب هذه الآيات في لوح ويحمله عند رأسه فيتزين له حينئذ العمل الصالح وتحذره نفسه بأمور الآخرة (قوله وشد من سغب الخ) عطف على أحياء الظلام الخ فهو عطف على الصلاة فيكون صلة وإنما آتى بذلك نظرا لقوله في البيت السابق ولم أصم عقب قوله ولم أصل سوى فرض وهذا ظهر حكمة تخصيصهما فيما تقدم والشد العصب والربط والسغب بسين مهمل وعين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل أي عصب وربط من أجل جوع وقوله أحشاءه مفعول لشد والأحشاء جمع حشا وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع وقيل القلب وقيل الأمعاء وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة فتخمد الحرارة بعض خمود لأن المعدة إذا امتلأت بالطعام اشتعلت الحرارة بهضمه وإذا خلت عن الطعام طلبت الحرارة رطوبة الجسم فيتألم الإنسان بالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم عن أنس قال جئت

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
أَنْ اشْتَكَيْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ
وَشَدٍّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشَحَامَتَرَفِ الْأَدَمِ

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجده جالسا مع أصحابه يتحدثون وقد عصب بطنه بصابة فقالوا من الجوع . وقوله وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم عطف أيضا على الصلة والطي اللف والكشح الحاصرة والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة والأدم الجلد أى ولف تحت الحجارة خاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة وقائدة هذا الطى أن برودة الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخارى الطى عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله إن ههنا حكمة من الجبل قد عجزت معاونا عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول ثم قال بسم الله ف ضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر خانت منى التفاتة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا . واستشكل ما ذكر من الشد والطي . بقوله صلى الله عليه وسلم آييت عند ربى يطعمنى ويسقئنى لأن من هذا حاله لا يعصب أحشاءه ويطوى كشحه تحت الحجارة من الجوع . وأجيب بأن معنى الحديث آييت مستحضرا جلال ربى فيعطى قوة الطعام والشراب والمراد بذلك أنه ضمن له قوة بدنه وبضارة جسمه حتى إن من رآه لا يظن به جوعا ولا عطشا كما أشار الى ذلك الناظم بقوله مترف الأدم فهو من قبيل الاحتراس وحينئذ فصول الجوع له صلى الله عليه وسلم لا ينافيه الإطعام فى الحديث (قوله وراودته الجبال الخ) لما كان قد يتوم من قوله وشد من سبب الخ أنه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال دفع ذلك التوم بقوله وراودته الجبال الخ والمرادة المطالبة يقال راوده أى طلب منه أن يكون على مراده وإسناد المرادة للجبال مجاز لأن الله هو الذى خيره فى ذلك ويحتمل أن يكون حقيقة إذ لا مانع من أن يخلق الله فيها إدراكا وتراوده حقيقة وأل فى الجبال للمهد الذهبى والعهود هنا هو جبال مكة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فإذا شبت حمدتك وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك ، وروى أن جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أحب أن تكون لك هذه الجبال ذهباً فضة تكون معك حيناً كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامل له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وقوله الشم أى المرتفعة وهى جمع أشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع وقوله من ذهب أى أن تكون من ذهب فهو خبر لتكون المندوفة وليس حالا خلافا لبعضهم لأنها لم تكن من ذهب حين المرادة وإنما طلبت منه أن تكون كذلك وقوله عن نفسه أى من أجل نفسه فمن التعليل وقوله فأراها أيما شم أى فأراها شمما أيما شم أى شمما عظيما أى إعراضا شديدا علما منه بأن ما عند الله خير وأبقى

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشَّمِّ مِنْ ذَهَبٍ
مَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمِّمْ

وَأَكَدَتْ زَهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتَهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعَصَمِ

ظلمت تركت السنة السيرة والطريقة وأحيا الظلام قام في الليل على قدميه واشتكت أى أظهرت الشكاية والقدم طرف الرجل بمائلي الأصابع والضرر الألم والهزال والورم الانتفاخ والسفب الجوع والأحشاء جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع والطي الثنى والكشح ما بين الحاضرة إلى الضلع والترف النعم والأدم جمع أدمة وهي باطن الجلد والبشرة ظاهره وراودته أى دعت إلى نفسها والشم جمع أشم وهو العالى فأراها أيما شئ أى أعرض عنها وارتفع عنها غاية الارتفاع وأكدت قوت والزهد ضد الرغبة والضرورة الحاجة ولا تعدو أى لا تنظم والعصم جمع عصمة وهي النع والحفظ [الاعراب] ظلمت بضم التاء فعل وفاعل سنة بضم السين مفعول به من بفتح الميم موصول اسمي مضاف إليه أحيا الظلام فعل وفاعل ومفعول والجملة صلة من وعاندها فاعل أحيا المستتر فيه إلى حرف جر وغاية أن بفتح الهمزة وسكون النون وكسر لالتقاء الساكنين موصول حرفي اشتكت قدما فعل وفاعل صلة أن الضر بضم الضاد المعجمة مفعول اشتكت من ورم جار ومجرور في موضع الحال من الضر أو متعلق باشتكت على أن من للتعليل وشد بفتح الشين المعجمة فعل وفاعل مستتر من سفب بفتح السين المهملة والنيين المعجمة متعلق بشد ومن للتعليل أحشاء مفعول شد وطوى بفتح الطاء والواو معطوف على شد تحت ظرف مكان منصوب بطوى الحجازة مضاف إليها كشحا بفتح الكاف وسكون الشين (٢٥) المعجمة وبالحاء المهملة مفعول طوى مترف

بالتاء الفوقية الساكنة والراء المهملة المفتوحة وبالفاء نعت كشحا الأدم بفتح الهمزة والدال المهملة مضاف إليه من إضافة اسم المفعول إلى نائب الفاعل والأصل مترقا أدمه أى منعما جلده وراودته الجبال فعل وفاعل ومفعول الشم بضم الشين المعجمة نعت من ذهب في موضع الحال من الجبال عن نفسه متعلق براودته فأراها بفتح الهمزة والراء المهملة فعل وفاعل مستتر ومفعول أيما بفتح الياء التحتية الشدة نعت لمصدر محذوف ومازائدة

(قوله وأكدت زهده فيها الخ) التأكيد التقوية والزهد ترك الشيء وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور بنى راجع للجبال التي تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للعالم والأول أولى لعدم تقدم ذكر الدنيا وإن كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة ولا يخفى أن زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل مؤخر وإيما أكد ضرورته زهده فيها لأن الإعراض عن الشيء وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج إليه دليل جلي وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيء وقوله إن الضرورة الخ مستأنف استئنافا يائنا لكونه واقعا في جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له كيف تؤكد ضرورته زهده فيها مع أن الضرورة تقتضي الإقبال عليها وعدم الإعراض عنها فقال إن الضرورة الخ وقوله لا تعدو على العصم أى لا تعدى عليها يقال عدا عليه أى تعدى عليه وفي كلامه حذف مضاف أى على ذوى العصم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا إن قرئ العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو المشهور على أنه جمع

(٤ - باجورى - بردة) شم بفتح الشين المعجمة والميم مضاف إليه والتقدير فأراها شئما أى شئم وأكدت فعل ماض وتاء تأنيث زهده مفعول أكد ومضاف إليه فيها متعلق بزهده ضرورته بالرفع فاعل أكد ومضاف إليه إن الضرورة إن واسمها لاناية تعدو بالعين المهملة فعل وفاعل مستتر خبر إن على العصم بكسر العين وفتح الصاد المهملتين متعلق بتعدو [ومعنى الأبيات الأربعة] تركت طريقة نبى أحيا الليالى المظلمة مع علو قدره وارتفاع مكانه لإقامة وظائف العبودية على قدميه الكريمتين حق ظهر الوجع والورم عليهما وشد وسطه المبارك بالحجر وطوى خصره الناعم الشريف تحت الحجازة تخفيفا لألم الجوع لالعجز والقصور عن تدبير مالا بد منه في أمر المعيشة فإن الجبال العوالى من الذهب الخالص كانت تدعوه إلى نفسها فكان يعرض عنها ويظهر لها أعلى ترفع واستغناء ومما يؤكد زهده في زخارف الدنيا حاجته الضرورية وفاقته الزائدة والضرورات تبيح المحظورات فكيف المباحات المحتاج إليها والضرورة لا تمنع العصمة ، أما إحياء الليل فمن قوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية ، وأما نورم قدميه فمن قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له أتسكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا روى الشيخان وأما شدة الحجر على بطنه من الجوع فقد وقع له في حفر الخندق روى البخارى ، وأما مراودة الجبال له فمأخوذة من حديث إن جبريل قال له إن الله تعالى يقول لك أنحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حينما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لادار له الحديث بطوله في الشفاء .

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةً مِّنْ

لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِّنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ
نِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِّنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

العدم المراد به هنا التقدم على الممكنات
قبل وجودها والسيد الجليل العظيم
والكونان الدنيا والآخرة والثقلان
الإنس والجن والثقل بالفتح النفس من
الشيء وأنفس ما على وجه الأرض
الإنس والجن فلذلك سميا ثقلين والفريقان
العرب والعجم والفريق الجماعة
الكثيرة والعربي ما فصح بلغة العرب
والعجمى بخلافه .

[الاعراب] وكيف متعلق بتدعو
بمعنى ما النافية تدعو فعل مضارع إلى
الدنيا متعلق بتدعو ضرورة فاعل
تدعو من موصول اسمي مضاف إليه
لولا جار ومجرور عند سيبويه لم تخرج
بضم التاء وفتح الراء جازم ومجزوم
الدنيا نائب فاعل تخرج من العدم
متعلق بتخرج وجملة لم تخرج الى آخره
جواب لولا ولولا وجوابها صلة من
وعاندها الهاء من لولا عه بالرفع بدل
من فاعل أحياء في البيت السابق أو مبتدأ
وسيد نعته أو خبره الكونين مضاف
إليهما والثقلين والفريقين معطوفان
على الكونين من عرب بضم أوله
وسكون ثانيه حال من الفريقين ومن
عجم بفتحين معطوف على من عرب
ومن فيهما للبيان .

[ومعنى البيتين] أنه صلى الله عليه
وسلم لا تدعوه الضرورة الى حطام
الدنيا الفانية فإن الدنيا ما أخرجت من
العدم إلى الوجود إلا لأجله وكيف

لا يكون كذلك وهو سيد أهل الدنيا والآخرة وسيد الإنس والجن وسيد العرب والعجم .

عصمة فان قرئ العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه ابن مرزوق على أن
أصله عصيم بمعنى معصوم حذفت ياءه للضرورة فلا حذف في كلامه وعلم من ذلك
الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالى وضرورة غيره لأن ضرورة من عصمه الله
لا تدعوه إلى أحسن الأشياء فضلا عن أخسها وضرورة غيره تدعوه إلى أخس
الأشياء حتى إنها تبيح له تناول ما لا ينبغي تناوله ولو كان محرم الأصل كالميتة وفي كلام
المصنف إشارة إلى جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وهو الحق خلافا لمن منعه
معلا بأن الزهد في الشيء فرع عن التعلق به لكن قد عيب على هذا البيت والذي
بعده في إثبات الضرورة له صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يثبت له عليه الصلاة والسلام
أصل الحاجة فضلا عن الضرورة ، وما أحسن قوله في التهمزية :

مستقل دينك أن ينسب الامعسساك منها إليه والإعطاء

(قوله وكيف تدعو الخ) استفهام إنكاري بمعنى التوبيخ أي لا تدعو الخ والدعاء الطلب
والليل وقوله الى الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة في الأصل ثم نقلت الى الاسمية
فجعلت اسما لهذه الدار التي نحن فيها وقد تطلق على أعراضها وزخارفها من المال
والجاه وما أشبههما وهذا هو المراد هنا وقوله ضرورة من أي ضرورة نبي أو رسول
فمن واقعة على نبي أو رسول وقد تقدم الكلام على الضرورة وقوله لولا لم تخرج
الدنيا من العدم ببناء الفعل وهو تخرج للفعل أول للفاعل وإن اقتصر بعضهم على
الأول أي لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد
فوجوده صلى الله عليه وسلم علة في وجودها فلو كانت ضرورته تدعو الى الدنيا لكان
وجوده معلولا لوجودها وهو خلاف الأصل في ذلك ما رواه الحاكم والبيهقي من
قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق عه أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة وكان
رأى على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله عه رسول الله سألتني بحقه أن أغفر لك
وقد غفرت لك ولولا ما خلقتك فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده صلى
الله عليه وسلم وآدم أبو البشر وقد خلق الله لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس
والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن قال تعالى خلق لكم ما في الأرض
جميعا وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وإذا كانت هذه
الأمور إنما خلقت لأجل البشر وأبو البشر إنما خلق لأجله صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا
إنما خلقت لأجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب في وجود كل شيء (قوله
عنه الخ) أي المدح عه الخ فهو خبر مبتدأ محذوف على قراءته بالرفع ويصح فيه
النصب على أنه مفعول لفعل محذوف أي أمدح عها ويجوز الجر على أنه بدل من
الموصول الذي في قوله وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من الخ وقوله سيد الكونين
أي أشرف أهل الكونين فهو على تقدير مضاف والمراد بالكونين الدنيا والآخرة
وقوله والثقلين أي الإنس والجن وإنما سميا ثقلين لثقلهما الأرض أول ثقلهما بالذنوب
والعطف في ذلك من عطف الخاص على العام وكذلك العطف في قوله والفريقين
ونسكتة التصريح به في مقام المدح ونصف البيت الياء من الثقلين فزيادة بعض الناس

نَبِيْنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمْ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تَرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٍ

النبي بلامز من النبوة وهي الارتفاع وبالمهمز من النبأ وهو الخبر فهو على الأول المرتفع عند الله تعالى وعند الناس وعلى الثاني الخبر عن الله تعالى والأمر اسم فاعل من الأمر وهو طلب الفعل (٢٧) والناهي من النهي وهو طلب الترك وأبر

أصدق اسم تفضيل والرجاء الأمل والشفاعة السؤال للغير في الخلاص من الأمر الهول والهول الخافة والاحتحام الوقوع بفتة في الشدة .

[الاعراب] نبينا الأمر الناهي نعوت لمحمد أو أخباره فلا حرف نبي عامل عمل ليس أحد بالرفع اسمها وأبر بالنصب خبرها ويجوز رفعها على إهمال لا ورفع ما بعدها على الابتداء والخبر وعلى الوجهين لا يتون لأنه غير منصرف للوصف والوزن لكونه اسم تفضيل في قول بلا تون متعلق بأبر وهو مضاف ولا مضاف إليه من إضافة المصدر إلى المفعول بعد حذف فاعله . فإن قلت الحروف لا يضاف إليها . قلنا المراد لفظها منه متعلق بأبر والضمير له صلى الله عليه وسلم ولا حرف نبي نعم بفتح النون والعين في محل جر بمضاف محذوف مماثل للذكور والتقدير ولا يقول نعم ولا ونعم من أحرف الجواب أي لأحد أبرمه في قوله لا ولا في قوله نعم ، هو الحبيب مبتدأ وخبر الذي نعت الحبيب ترجى فعل مضارع مبني للمفعول شفاعته نائب الفاعل والجملة صلة الذي والعائد الهاء الجرورة بالإضافة لِكُلِّ متعلق بترجى هول مضاف إليه من الأهوال نعت هول مقتحم بضم الميم وسكون القاف وفتح التاء والهاء المهملة نعت هول أيضا [ومعنى البيتين] نبينا الأمر

لفظ خير قبل الفريقين خطأ وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب (قوله نبينا الخ) يجري في قوله نبينا أوجه الأعراب الثلاثة كما تقدم في عمدة والإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه وقوله الأمر الناهي أي عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه رسولا فهو في قوة أن يقول الرسول وقوله فلا أحد أبر في قول لأمته ولأنهم أي إذا أمروني فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهي وقدير عن النهي يقول لا وعن الأمر يقول نعم ويحتمل أنه كنى بلا عن الخبر المنفي وبمعنى عن الخبر المثبت إما مطلقا أو عن الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أصدق الناس في الخير ولا في قوله ولأنهم زائدة لتأكيد النفي وما ورد من أنه لم يقل لا قط محمول على أنه لم يقل لافي شيء سئل عنه من حوائج الدنيا بل إن كان عنده شيء أعطاه للأسائل وإن لم يكن عنده شيء سكت أو وعده وبالع بعضهم حتى قال :

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعمًا

وهذا باعتبار الغالب وإلا ففي صحيح البخاري إن الأشعرين جاءوا إليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يحملهم فقال والله لا أحملكم إلى آخر الحديث [وهذا البيت والذي بعده] خاصيتهما التخلص من الوقوع في الشدائد فمن واظب على قراءتهما خلس من الوقوع في الشدائد ومن وقع في شدة قبل قراءتهما وكرر قراءتهما في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة (قوله هو الحبيب الخ) الضمير راجع لمحمد أولنا نبينا والحبيب إما بمعنى محب فيكون اسم فاعل أو بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله أولأتمته لأنه أعظم محب لله وأفضل محبوب له وهو أيضا محب لأتمته ومحبوب لها إذ من شرط كمال الإيمان أن يكون أحب من المال والولد والنفس فقد قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك أحب إلى من مالي وولدي والناس أجمعين دون نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام لا يكل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك فقال عمر رضي الله عنه أنت أحب إلى من نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام قد كدل إذا إيمانك وهذا ترق لسيدنا عمر في الحال بيركته صلى الله عليه وسلم أو أن ذلك كان كامنا في نفسه غير أنه لحذته لم يتنبه لذلك إلا بعد أن نبهه صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بالأدب لكنه بعيد جدا وقوله الذي

بالمعروف الناهي عن المنكر ومن عادة أولى الأمر والنهي والتجافي والغلظة على الأمور والنهي ونبينا صلى الله عليه وسلم مع شدة بأسه في الحق والغلظة فيه فهو ألطف الناس وألينهم جانباً بالبر والشفقة فلا توجد منه غلظة في قول لا يعد المنع ولا في قول نعم عند السؤال ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهو الحبيب الذي تؤمل شفاعته يوم القيامة لِكُلِّ خوف وفزع يرمى الإنسان نفسه فيه من شدة الدهشة من رؤيته .

ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مفتحم أى الذى تتوقع شفاعته وهى طلب
الخبر للغير عند كل هول فاللام بمعنى عند والهول هو الأمر المخوف حال كون ذلك
الهول بعض الأهوال المفزعة موصوف ذلك الهول بأنه مفتحم فيه أى واقع فيه الناس
فهو من باب الحذف والإيصال لحذف الجار واتصل الضمير والاعتحام هو الوقوع
فى الشيء كرها يقال اقتحم زيد الأمر إذا وقع فيه كرها وإنما عبر بالرجاء مع
أن شفاعته صلى الله عليه وسلم مقطوع بها إشارة الى أنه لا ينبغي للشخص أن ينهك
فى المعاصى ويتكلم على الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات منها شفاعته فى فصل
القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار لشدة الهول وهذه هى
الشفاعة العظمى وتسمى المقام الم محمود لأنه يحمده عليها الأولون والآخرون وهى
مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى دخول جماعة الجنة
بغير حساب بل يقومون من قبورهم لقصورهم وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم
أيضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جماعة استحقوا النار أن لا يدخلوها بل
يدخلون الجنة وكذلك هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه
وسلم فى جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها وهذه غير مختصة به صلى الله عليه وسلم
بل تكون لغيره أيضا من العلماء والأولياء ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع
درجات أناس فى الجنة وهذه لم يثبت اختصاصها به صلى الله عليه وسلم لكن جوزه
النووى ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين
كعهه أبى طالب على القول بأن الله لم يحبه فأمن به صلى الله عليه وسلم وهو المشهور
والذى يجب أهل البيت يقول بأن الله أحياء وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر
على كل شيء ولا ينافى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض
الكافرين قوله تعالى لا يخفف عنهم لأن المنى إنما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافى
أنه يخفف عنهم عذاب غير الكفر على أحد الأجوبة فى ذلك (قوله دعا إلى الله الخ)
أى دعا الى دين الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك وهو الإسلام فى كلام المصنف
حذف مضاف والمفعول محذوف أى عباده وهو شامل للملائكة فقد دعاهم صلى الله
عليه وسلم تشريفا لهم وتعريفا لمالم يكونوا يعرفونه لأنهم إذا عرفوا من آدم عليه
السلام مالم يكونوا يعرفونه فليعرفوا منه صلى الله عليه وسلم مالم يكونوا يعرفونه
بالطريق الأولى وقوله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم أى كما قال
تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
والمراد من الحبل السبب كما هو أحد إطلاقيه والفصم بالقاء القطع من غير إبانة بخلاف
الفصم بالقاف فإنه القطع مع الإبانة ونفى الأضعف يستلزم نفي الأقوى فكونه غير
منفصم يستلزم كونه غير منفصم وإنما لم يقل فالحييون له الخ وإن كان هو المناسب
للدعاء تنبيها على أن مجرد الإجابة بالقول ونحوه لا يكتفى فى النجاة من المهالك بل لا بد
من الاستمسك به صلى الله عليه وسلم كما يفعل من يصعد من مهوى فى تعلقه بالحبل

دعا إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منفصم

أى دعا المرسل اليهم الى دين الله تعالى
والاستمسك الاعتصام والحبل السبب
والمنفصم بالقاء المتقطع .

[الأعراب] دعا فعل ماض وفاعله

مستتر فيه جوازا يعود إلى النبي صلى
الله عليه وسلم إلى الله متعلق بدعا
فالمستمسكون مبتدأ به متعلق
بالمستمسكون ، مستمسكون خبر المبتدأ
وسوغ ذلك اختلافهما تعريفيا وتنكيلا
ومتعلقا بحبل بالحاء المهملة والباء
للوحدة متعلق بمستمسكون غير بالجر
نعت حبل منفصم بالقاء والصاد المهملة
مضاف إليه .

[ومعنى البيت] دعا صلى الله عليه

وسلم الإنسان والجن الى دين الإسلام
فمن اعتصم به صلى الله عليه وسلم وآمن
بما جاء به فهو معتصم بسبب متصل
غير منقطع .

والتزامه به وإن قصر في الاستمساك ولو لحظة هوى [وفائدة هذا البيت] حفظ
الإيمان والأمان من سلبه بأن يقال بعد كل صلاة عشر مرات مفتحة بالصلاة والسلام
على النبي بصيغة مخصوصة وهي اللهم صلّ وسلم على نبيك البشير الداعي اليك بإذنك
السراج المنير (قوله فاق النبيين الخ) أي زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين وكذا
على غيرهم بالطريق الأولى في خلق بفتح الحاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل
وفي خالق بضمها وهو ما طبع عليه الإنسان من الحصول الحميدة كالعلم والحياء
والجود والشفقة والحلم والعدل والعفة وأمثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم
ما تفرق في غيره من تلك الحصول وقد ذكر بعضهم أن من تمام الإيمان أن يعتقد
الإنسان أنه لم يجتمع في أحد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل ما اجتمع فيه صلى
الله عليه وسلم . واعترض على الناظم بأن مقتضى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم فاق
النبيين في بعض الخلق بفتح الحاء وسكون اللام وبعض الخلق بضمهما لأن كلا
منهما نكرة وهي في سياق الإثبات لا تتم وهذا ليس بمدح تام لأنه يحتمل بعد ذلك
أن يساويهم في البعض الآخر ويحتمل أن يفوقوه فيه وعلى هذا فإن كان مافاقوه
فيه مثل مافاقهم فيه حصات المعادلة وإن كان أكثر انعكس ما قصده المصنف من
المدح . وأجيب بأن المراد في خلقهم وفي خلقهم فهما مضافان في المعنى فيعلمان
على أن النكرة في سياق الإثبات قد تم ولما لم يلزم من كونه فاقهم في ذلك نفي
مقاربتهم له فهاها بقوله ولم يدانوه أي لم يقاربوه وقوله في علم ولا كرم أي ولا غيرهما
وإنما اقتصر المصنف عليهما لأن العلم رأس الفضائل والكرم رأس القواضل
ولا يرد على ذلك ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء كقوله صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوا بين الأنبياء لأنه محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص وليس في ذلك تنقيص
لأحد من النبيين لأننا نعتقد أنهم متصفون بالكمال والنبي أكمل قال تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الأول محمد صلى الله
عليه وسلم (قوله وكلهم من رسول الله الخ) هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار
والمجرور متعلق بقوله ملتمس والإضافة في رسول الله للعهد والمعهود وهو سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس آخذ وإن كان الالتباس معناه
في الأصل الطلب وقوله غرنا من البحر أورشفا من الديم أي حال كون بعض
الملتسمين مغترفا من البحر وبعضهم مرتشفا من الديم فهو إشارة إلى اختلاف أحوال
الملتسمين فأولو العزم مثلاً أكثر التماساً من غيرهم فأو في ذلك للتبويب والتقسيم
والعرف مصدر عرف بمعنى أخذ والبحر ضد البرسمى بذلك لهقه واتساعه والرشف
المص والديم جمع ديمة وهي المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد والمراد من البحر
والديم هنا علمه وحلمه صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصرّحية وكل
من العرف والرشف ترشيح وإنما عبر في جانب البحر بالعرف وفي جانب الديم
بالرشف لأن العرف مناسب للبحر لسكنته دون الديم لأنها تجري على وجه الأرض

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقِهِ وَفِي خُلُقِهِ
وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي عِلْمِهِ وَلَا كَرَمِهِ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسِينَ
غُرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ مِنْ نَقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ

فاق أى علا والخلق بفتح الحاء وسكون اللام الحلقة ، والخلق ضمتين السجدة والطبيعة ويدانوه يقاربوه وملتصس أى أخذ غرقا مصدر غرفت يبدى من البحر والرشف الص والديم جمع ديمة المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق ولديه عنده والحد هنا الغاية والنقطة واحدة النقط والشكلة واحدة الشكل من شككت الكتاب أى قيدته بحركات الاعراب مأخوذ من شككت الدابة إذا قيدتها بالشكال والحكم بكسر الحاء وفتح (٣٠) الكاف جمع حكمة بفتحيتين مأخوذ من حكمة اللجام لأنها تمنع

الفرس من الجراح ويسمى العالم حكما لأنه يمنع من الخطأ .

[الاعراب] فاق النبيين فعل وفاعل ومفعول فى خلق بفتح الحاء وسكون اللام وفى خلق بضمهما متعلقان بفاق ولم يدانوه جازم ومجزوم وعلامة الجزم حذف النون فى علم بكسر العين متعلق بيدانوه ولا كرم معطوف على علم وأعاد لائنا كيد النفي وكلهم مبتدأ من رسول الله متعلق بملتصس ملتصس خبر البتداء وأفرده مراعاة للفظ كحل غرقا بفتح العين المعجمة وسكون الراء وبالفاء مفعول ملتصس من البحر متعلق بغرقا أو رشفنا بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالفاء معطوف على غرقا من الديم بكسر الدال المهملة وفتح الياء التحتية متعلق برشفنا وواقفون معطوف على ملتصس وجمعه مراعاة لغير كل لديه عند متعلقان بواقفون حدم بفتح الحاء الهملة مضاف إليه من نقطة بضم النون وسكون القاف وبالفاء الهملة متعلق بحدم أى بياتهم العلم بكسر العين مضاف إليه أو حرف عطف وتقسيم من شكلة بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف

فلا يجتمع منها ماء غالبا حتى يتعرف (قوله وواقفون الخ) عطف على قوله ملتصس لكن نظر فى أحدهما للفظ كل وفى الآخر للمعنا ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدم أنهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند الحد الذى حد لهم من ذلك فلا يتجاوزونه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية مراتبهم فى العلم والحكم مبدأ ما أوتيه صلى الله عليه وسلم منهما فوق فهم لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذى القاية عند مبدأ غيره وقوله من نقطة العلم أو من شكلة الحكم بيان لحدم والمعنى على التشبيه والإضافة فى الموضعين على معنى من أى الذى هو كنقطة من العلم أو كشكلة من الحكم والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قاله بعض الشارحين وقيل المراد بهما علم الله وحكمه . وحاصل المعنى على الأول أنهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند حدم الذى هو كالنقطة من علم الرسول أو كالشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم . وحاصل المعنى على الثانى أنهم ثابتون لديه فى العلم والحكم عند حدم الذى هو كالنقطة من علم الله أو كالشكلة من حكمه تعالى فعلهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من الأول لكن الأقرب الأول وعلى كل فإو للتنويع والتقسيم وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لأن النقطة غير الحروف للشبهة الصور والعلم خاصته التميز لأنه صفة تقتضى تميزا لا يحتمل التفيض بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال والحكمة فأندتها وضع الشيء فى المكان الذى يستحقه على أكمل وجه لا يخل النظام (قوله فهو الذى تم الخ) مفرع على قوله فاق النبيين الخ لكن على اللف والنشر المشوش لأن معناه يرجع للخلق بضميتين وصورته ترجع للخلق بفتح الحاء وسكون اللام فإن المراد من معناه كلاله الباطنية كما هو المراد من الخلق بضميتين والمراد بصورته صفاته الظاهرية كما هو المراد بالخلق بفتح الحاء وسكون اللام وقوله ثم اصطفاه حبيا بارئ النسم أى ثم اختاره حبيا خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة بفتحات وهى الإنسان وإنما خص الوصف المذكور من بين أوصافه تعالى تنبيها على أنه تعالى خلقه معطوف على من نقطة الحكم بكسر الحاء الهملة وفتح الكاف مضاف إليه ،

على

[ومعنى الآيات الثلاثة] أنه صلى الله عليه وسلم علا جميع النبيين فى الحلقة والسجدة ولم يقاربوه فى العلم ولا فى الكرم كما سيأتى بيانه فى قوله يأ كرم الرسل وفى قوله ومن علومك علم اللوح والقلم ومن النبيين أخذ من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار غرفة من البحر أو مصة من المطر الغزير وكلهم واقفون عند غايتهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم وخص الشكلة بالحكم لزيادة التفهم بها على النقطة .

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيْبًا بَارِئُ النَّسَمِ

ثم أي كل بثلاث الميم ومعناه حالة باطنه وصورته حالة ظاهره واصطفاه اختاره والباري الخالق والنم جمع نسمة بفتحين وهي الإنسان والتزبه البعد والمحسن جمع محسن بمعنى الحسن والهاء وجوهر الشيء أصله والاقسام الاقتراق .

[الاعراب] فهو مبتدأ الذي خبره وسوغ ذلك صلته ثم بفتح التاء المثناة فوق فعل ماضٍ معناه فاعله والجملة صلة الذي وصورته بالرفع معطوف على معناه وبالنصب على المفعول معه ثم ضم المثناة حرف عطف اصطفاه معطوف على تم معناه حبيبا حال من الهاء باري فاعل اصطفاه النسم مضاف إليه منزله خبر ثانٍ لهو عن شريك متعلق بمنزله في محاسنه متعلق بشريك جواهر مبتدأ المحسن مضاف إليه فيه متعلق بمجنوف خبر المبتدأ غير بالرفع خبر بعد خبر وبالنصب على الحال من ضمير الاستقرار المنتقل إلى الجار والمجرور قبله متقسم مضاف إليه ،

[ومعنى البتين] هو الذي كل باطنه في الكالات وظاهره في الصفات ثم اختاره خالق الإنسان حبيبا ليس له في محاسنه شريك من البشر وجوهر حسنه لا يقبل القسمة بينه وبين غيره كما أن الجوهر الفرد الذي يتوهم في الجسم ويقول التكلمون إن الجسم مركب منه غير متقسم بوجه من الوجوه لا بالقرض ولا بالوهم ومن كان موصوفا بكال الصفات باطنا وظاهرا كان محبوبا .

على تلك الصورة ووقفه لتلك الأخلاق الحميدة ومن ذلك يعلم أن ثم ليست للترتيب في الصفات كما قاله بعضهم بل للترتيب في الذكر والاختيار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك بأن يجعل على تقدير مضاف والأصل للترتيب في ذكر الصفات (قوله منزله الخ) أي وهو منزله الخ وقوله عن شريك أي عن كل شريك لأنه نكرة في سياق النفي معنى فإن النفي لا يوجد له شريك والنكرة في سياق النفي ولو معنى نعم وقوله في محاسنه أي صورة ومعنى وقد تنازعه كل من منزله وشريك والمحسن جمع محسن على القياس وقيل جمع حسن على غير قياس . واعترض على المصنف بأن التبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول منزله عن شريك في محاسنه . وأجيب بأن ما عندهم من المحاسن مثل النقطة أو الشكلة كما يدل عليه ما ذكره سابقا في العلم والحكم وحينئذ فلا مشاركة وقوله جواهر الحسن الخ مفرع على قوله منزله عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته وقوله فيه أي الكائن فيه وقوله غير متقسم أي بينه وبين غيره لاختصاصه به بخلاف يوسف فإنه أعطى شطر الحسن وإنما لم يفتن به صلى الله عليه وسلم كما افتتن يوسف عليه السلام لأن جماله صلى الله عليه وسلم ستر بجلاله فلم يمكن أحدا أن يتأمل فيه حق يفتن به (قوله دع مادعته النصارى الخ) هذا البيت احتراسا عما يوهمه قوله منزله عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الإله فدفع ذلك بهذا البيت وفيه إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله وإنراد بما ادعته النصارى في نبيهم قولهم بأنه إله لأنهم يقولون بأن الله إله عيسى إله ومرتب إله وبعض فرقهم يقول بأنه ابن الله كما قال تعالى وقالت النصارى للمسيح ابن الله والنصارى هم قوم عيسى ومموا بذلك لأنهم نصره والإضافة في نبيهم لرد عليهم في دعواهم الألوهية له مع أنهم يسمون أنه نبيهم والنبي ليس إلها فلاتنافي الإضافة أن سيدنا محمدا نبيهم أيضا خلافا لما قد يتوهم من ظاهر الإضافة من أنه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله واحكم بما شئت مدحا فيه أي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات أخذنا من قوله وانسب الخ وقوله واحكم أي راع الحسنة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بأن تأتي بالمدح اللائق بحجابه الشريف وقدره المنيف دون غير اللائق بذلك الجنب فليس قوله واحكم حشوا كما قيل لأنه أفاد أنه وإن جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت غير مادعته النصارى في نبيهم يتعين عليك مراعاة الحسنة في مدحه عليه الصلاة والسلام ومن هذا يعلم أن ما يقع من التعزير بأيات مشتتة على صفات الأحداث لا يجوز حملها على النبي صلى الله عليه وسلم لأن ذلك إساءة أدب لكونه لا يليق بالجنب الشريف ولذلك لم يقع مثل هذا من أحد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسان والمصنف وابن روضة

وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَأَنْسَبَ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ

دع أى اترك والنصارى جمع نصران كسكاري جمع سكران وقيل نصران اسم قرية والنسب اليها نصراني وقيل نصراني منسوب الى ناصرة قرية المسيح وقيل الباء في نصراني للبالغة سموا نصارى لأنهم نصرؤا المسيح واحكم أى اقض والدح الشاء الحسن والاحتكام الاختصاص وانسب اعز والشرف (٣٢) الرفعة والذات الحقيقة وقدر الشيء ومقداره مبلغه والعظم التعظيم والحد الغاية فيعرب أى يبين .

[الإعراب] دع فعل أمر وفاعل ما موصول اسمي في محل نصب على المفعولية ليدع ادعته فعل وفعل والنصارى فاعل والجملة صلة ما والعائد ضمير المفعول في نبيهم متعلق بادعته واحكم فعل أمر وفاعل بما متعلق باحكم وما موصول اسمي شئت بفتح التاء فعل وفاعل صلة ما وعائدها محذوف أى شئته مدحا منصوب بنزع الخافض أى من مدح على وزان ما يأتى بعده فيه متعلق بمدحا واحتكم وانسب بضم الهمزة فعلا أمر معطوفان على دع ذاته بالذال المعجمة متعلق بانسب ما اسم موصول في موضع نصب على المفعولية بانسب شئت بفتح التاء فعل وفاعل صلة ما والعائد محذوف تقديره شئته من شرف بيان لما متعلق بانسب وانسب إلى قدره ما شئت من عظم بكسر العين وفتح الطاء المعجمة المشالة واعرابه على وزان اعراب صدره حرفا بحرف فإن حرف توكيد ونصب فضل اسمها رسول مضاف إليه ومضاف أيضا الله مضاف إليه ليس فعل ماض ناقص له

(قوله وانسب الى ذاته الخ) هذا البيت تفصيل لما أجمله في قوله واحكم بما شئت مدحا الخ ويؤيد ذلك ما في بعض النسخ من التعبير بالغاء بدل الواو وبعض الشارحين حمل قوله واحكم بما شئت الخ على أن المراد أنك تحكم بصحة ما شئت مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل قوله وانسب الى ذاته الخ على أن المراد أنك تبائر المدح وتنشئه والأول أقرب كما لا يخفى وقوله ما شئت من شرف أى الذى شئته من صفات الشرف كتناسب الأعضاء من البياض الشرب بحمرة ونظافة الجسم وطيب العرق وفصاحة اللسان وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب وغير ذلك وقوله وانسب الى قدره ما شئت من عظم أى وانسب الى كماله الذى شئته من صفات العظم كالكرم والعفو والصفح والحلم والعلم وأمثال ذلك ومن في الموضعين لبيان الجنس وخص الذات بالشرف لمناسبتها لها في العلو وخص القدر بالعظم لمناسبتها له في عدم النهاية (قوله فإن فضل رسول الله الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال لأن فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حد أى ليس له غاية ومنتهى لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى في السكال كل لحظة قال سيدى على وفى وبشير لهذا قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى لأن معناه الاشارى وللحظة التأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة لأنه صلى الله عليه وسلم يترقى في التأخرة الى كالات زائدة عما ترقى إليه في المتقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله أى انه لتراكم الأنوار على قلبي فأستغفر الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن الشاذلى لما رآه في النوم وسأله عن معنى هذا الحديث إنه غين أنوار لا غين أغيار بامبارك وقوله فيعرب عنه ناطق بقم أى يفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم متكلم بلسان فمعنى يعرب يفصح وهو بالنصب في جواب النفي والضمير راجع لفضل رسول الله ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم اللسان وعبر عنه بالفم لأنه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم المحل على الحال فيه وقوله بقم بعد ناطق للتأكيد على حد قولك سمعت بأذنى ونظرت بعينى أوللاشارة الى

التعظيم

خبره مقدم حد بفتح الحاء الهمزة اسم مؤخر والجملة الفعلية خبر إن فيعرب فعل مضارع منصوب

بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية في جواب النفي عنه متعلق بيعرب ناطق فاعل يعرب بقم متعلق بناطق على تقدير مضاف أى بلسان قم [ومعنى الآيات الثلاثة] اترك ما قالته النصارى في نبيهم عيسى ابن مريم عليهما السلام إنه ابن الله كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم فإن نبينا صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل ذلك حيث قال لانظرونى كما أطرت النصارى عيسى أى لا تصفونى بذلك واحكم بعد ذلك له صلى الله عليه وسلم بما شئت من أوصاف السكال اللاتمة بجلال قدره وخاصم في إثبات فضائله من شئت من الخصماء واعزالى ذاته الشريفة ما شئت من شرف والى علو قدره العظيم ما أردت من التعظيم والرفعة فقد وجدت للقول بابا واسعا فإن فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غاية يوقف عندها فيبينها ناطق بلسان فله فأوصافه لا تحصى وفضائله لا تستقصى .

التعميم في الناطق فيشمل العرب والعجم كما قيل به في قوله تعالى ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه الا أم أمثالكم فان كلامه قوله في الأرض بعد دابة وقوله يطير بجناحه بعد طائر للتعميم فيهما (قوله لو ناسبت الخ) كأن المصنف ادعى أن آياته لم تناسب قدره في العظم وذكر هذا البيت استدلالا على ذلك فإنه أشار إلى قياس استثنائي نظمه هكذا : لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحى اسمه دارس الرم حين يدعى به لكن لم يكن من آياته أن يحى اسمه دارس الرم حين يدعى به فلم تناسب آياته قدره في العظم وهو المطلوب لأن الواقع أن قدره صلى الله عليه وسلم أعظم من آياته حتى من القرآن التلو بخلاف القرآن غير التلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث وما شاع على الألسنة من أن كل حرف من القرآن أفضل من محمد وآل محمد فكلام باطل ولا يصح حمله على القرآن القديم لأنه ليس بحرف ولا صوت خلافا لمن زعم ذلك وقد ذكر المصنف الشرطية وحذف الاستثنائية والنتيجة ووجه اللازمة في الشرطية أن الإحياء المذكور أعظم آية وبه تكون الآيات مناسبة لقدرة صلى الله عليه وسلم أى يكون مجموعها بواسطة كون الإحياء المذكور منه مناسبا لقدرة الشريف لا كل فرد منها لأنه لا يلزم من جعل الإحياء المذكور منها أن يكون كل فرد منها مناسبا لقدرة صلى الله عليه وسلم. لا يقال كيف لم يجعل الإحياء من آياته صلى الله عليه وسلم مع جعله من آيات عيسى عليه السلام. لأننا نقول الكلام في إحياء اسمه دارس الرم حين يدعى به وهذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات عيسى عليه السلام وإنما الذى جعل من آيات عيسى إحياءه الموتى بإذن الله ولا يخفى أن قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر والمراد من قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته أعلام نبوته كالمعجزات وقوله عظما منصوب على نزع الخافض كما أشرنا إليه ويصح أن يكون تمييزا بل هو الأولى لأن النصب على نزع الخافض سمعى لكن كثر في كلام المؤلفين حتى جرى مجرى القياسى وقوله أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم أى أحيا الله بسبب اسمه دارس الرم حين يدعى به كأن يقال يا الله بمحمد أحى هذا الميت فاسناد الإحياء الى اسمه مجاز على وصلة يدعى محذوفة أى به والظرف متعلق بقوله أحيا ودارس الرم مفعول أحيا فهو منصوب وجوز بعضهم أن يكون مرفوعا على أنه نائب فاعل يدعى ودعاؤه باسمه كأن يقال يا ميت احى باسم محمد صلى الله عليه وسلم ودارس بمعنى مدرّس وإضافته لما بعده من إضافة الصفة للموصوف أى الرم المدرّسة والرم جمع رمة وهى الشئ البالى والمدرّوسة التى زيد فى بلائها [وخاصة هذه الأبيات] التى أولها محمد سيد الكونين الى آخر هذا البيت شدة قلب المغازى فى سبيل الله فإنه يكتبها ويمحوها بالماء الموجود فى شهر برمودة ويشربها فإنه بعد ذلك لا يخاف من الحرب ولا يزول وكذلك من كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فإن الله يثبتها عند سؤال منكر ونكير

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا

أَحْيَا اسْمَهُ حِينَ يَدْعَى دَارِسَ الرَّمِّ

ناسبت أى مائلت قدره أى مبلغه من الرفعة وآياته علامات الدالة على عظم قدره واسمه أى تسميته ويدعى ينادى والدارس الداهب والرم جمع رمة بكسر الراء العظم البالى .

[الاعراب] لو حرف شرط لامتناع الثانى لامتناع الأول ناسبت فعل ماض وتاء تأنيث قدره بالنصب مفعول مقدم آياته بالرفع فاعل مؤخر عظما بكسر العين المهملة وفتح الظاء المشالة تمييز أحيا فعل ماض جواب لو واسمه فاعل أحيا حين ظرف زمان منصوب بأحيا يدعى فاعل مضارع مبنى للمفعول ونائب الفاعل مستتر فيه عائد على اسمه والأصل يدعى به لحذف الباء واتصل الضمير بالفعل واستتر فيه دارس مفعول أحيا الرم بكسر الراء وفتح الميم مضاف إليه والأصل أحيا اسمه دارس الرم حين يدعى به .

[ومعنى البيت] لو كانت علامات الدالة على رفعة مماثلة لعظيم قدره كان منها إحياء الموتى إذا دعا الله تعالى أحد باسمه أن يحى الموتى بأن يقال يا الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أحى هذا الميت فيحيا ولم يقع ذلك إذ لو وقع لنقل إلينا ولم ينقل فلم يكن إحياء الموتى بالتوسل باسمه من آياته فليست آياته مماثلة لقدرة فى تعداد التعظيم بل قدره أكثر من آياته

لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعَيَّا الْعُقُولُ بِهِ حَرَصًا عَلَيْنَا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ تَنْهَمِ

يمتحننا أى يختبرنا ويبتلينا بما تعيا أى بما لم تهتد العقول لوجهه حرصا أى شدة طلب وترتب نشك ونهم من هام الرجل فى أمره إذا لم يدبر له مخرجا [الاعراب] لم حرف (٣٤) نقي وجزم يمتحننا بالحاء المهملة فعل وفاعل مستتر ومفعول به

(قوله لم يمتحننا الخ) أى لم يختبرنا بشئ تعجز عنه عقولنا ولا تهتدى لوجهه لشدة رغبته فى هدايتنا بل أتى بالحنيفية الواضحة فلم تتردد فيما أتانا به ولم تحير فيه فالامتحان الاختبار وما واقعة على شئ والعيا بالأمر العجز عنه وعدم الاهتمام لوجهه والعقول جمع عقل وهو قوة يميز بها بين الصالح والمفاسد والحرص على الشئ شدة الرغبة فيه والارتباب الشك والهام التحير ولا يخفى أن قوله حرصا علينا على تقدير مضاف أى حرصا على هدايتنا وهو مفعول لأجله وقد كان صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثال بالمحسوسات ليتضح ما يخفى إدراكه على بعض العقول ، فان قيل كيف يصح قول المصنف لم يمتحننا بما تعيا العقول به مع أن فى القرآن التشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله . أجيب بأن المراد لم يمتحننا فيما كلفنا به بما تعيا العقول به وحينئذ فلا يرد التشابه لأنه لا يتعلق به تكليف لا يكلف الله نفسا الا وسعها على أن التحقيق أن الوقف على قوله تعالى والراسخون فى العلم فهم يعلمون تأويله ويعلمونه لغيرهم (قوله أعيا الورى الخ) لما أخبر المصنف فيما تقدم بعجز اللسان عن التعبير بفوائده صلى الله عليه وسلم بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الخ أخبرنا بعجز العقول عن إدراك كمالاته بقوله أعيا الورى الخ والاعياء الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه أى إدراك حقيقته صلى الله عليه وسلم مع ماخصه الله به من المعارف الإلهية والأسرار الربانية واسناد الإعياء الى الفهم مجاز عقلى لأن الذى أعياهم إيعا هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تشرح على قوله أعيا الورى الخ وفى ليس ضمير الشأن وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة ويرى بالبناء للمفعول وهى بصرية وفى القرب والبعد متعلق يرى وفيه متعلق بمنفهم وفى بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لفهم معناه وقوله غير منفهم نائب فاعل يرى والمنفهم العاجز . وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه فى القرب والبعد منه صلى الله عليه وسلم والتبادر أن المراد القرب والبعد بحسب المكان أى فليس يرى فى المكان القريب والمكان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن إدراكه ويحتمل أن المراد القرب والبعد بحسب الزمان أى فليس يرى فى الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن إدراكه ويحتمل أيضا أن المراد القرب والبعد فى المعنى فأهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم فى عالم الشهود تضعف بصائرهم عن إدراكه صلى الله عليه وسلم لقوة إشرافه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم وأهل الظاهر والناظرون له صلى الله عليه وسلم فى عالم الحس لا يدركون الا شخصا مصورا وجسما مقدرا بعدهم منه صلى الله عليه وسلم (قوله كالشمس الخ)

بما متعلق يمتحننا وما موصول اسمي تعيا بسكون العين المهملة وفتح الشدة التحتية فعل مضارع العقول فاعل تعيا به متعلق بتعيا والجملة صلة ما وفائدتها الهاء المجرورة بالباء حرصا مفعول لأجله علينا متعلق بحرصا فلم حرف جزم ترتب بفتح النون وسكون الراء وفتح الشدة الفوقية وبالموحدة فعل مضارع مجزوم بلم ولم نهم بفتح النون وكسر الهاء جازم ومجزوم معطوف على ما قبله والأصل ترتب ونهم حذف الألف والياء لالتقاء الساكنين وكسر حرف الروى للقفائية .

[ومعنى البيت] لم يبتلنا بخطاب لانهتدى عقولنا الى المراد منه حرصا علينا أن لا نضل فلا نشك فيما أتانا به ولا نهم فيه .

أَعْيَا الْوَرَى فَمَنْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يَرَى الْقُرْبَ وَالْبُعْدَ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَعِمٍ كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ صَعْوَةٍ وَتُسَكِلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمْرِ أَعْيَاءِ الْأَمْرِ إِذَا أَعْجَزَهُ وَالْوَرَى الْخَلْقُ وَالْفَهْمُ الْعُرْفُ وَمَعْنَاهُ حَالَهُ وَرَى يَبْصُرُ وَمُنْفَعِمٌ مَنْ انْفَعَمَ الرَّجُلُ إِذَا سَكَتَ عَنِ الْمَجَادَلَةِ وَلَمْ يَجِبِ وَالْبُعْدُ ضِدُّ الْقُرْبِ وَتُسَكِلُ الطَّرْفَ أَيْ تَوْقِفُ الْبَصَرَ عِنْدَ رُؤْيَاهَا وَالْأَمْرُ الْقُرْبُ .

[الاعراب] أعيا بسكون العين المهملة فصل ماض الورى بفتح الواو والراء

مفعول به فهم بسكون الهاء فاعل أعيا معناه مضاف إليه فليس فصل ماض ناقص واسمه أى ضمير الشأن مستتر فيه يرى بالبناء للمفعول خبره للقرب متعلق يرى واللام بمعنى فى أو بمعنى مع والبعد معطوف على القرب فيه متعلق يرى والهاء لمعناه غير بالرفع نائب فاعل يرى منفهم بكسر الحاء المهملة مضاف إليه كالشمس يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الحال من فاعل أعيا ولأن يكون نعتا لمصدر محذوف أى إعياء كإعياء الشمس أو خبر مبتدأ محذوف أى هو كالشمس تظهر

بالتاء الفوقية فعل وفاعل للعينين متعلق بظهور من بعد بضم العين على لغة لاتبعنا لضم الباء متعلق بظهور أيضا صغيرة بالنصب حال من فاعل تظهر المستتر فيه العائد الى الشمس وتكمل بضم التاء المثناة الفوقية وكسر الكاف فصل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود الى الشمس الطرف بالطاء المهملة مفعول به من أم بفتح الهمزة والياء الأولى متعلق بتكمل. [ومعنى البيتين] أعجز الخلق معنى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل أحد منهم (٣٥) إليه ولا يصبره أحد في حالتي القرب والبعد

إلا انهم وبالعجز اسم فهو كالشمس تظهر في العين صغيرة قدر المرأة أو لترس وتوقف البصر عند رؤيتها من قرب لو فرض ذلك لأنها كبيرة جدا ولعكبرها تكاد تخطف البصر وتعميه فلا تدرك بكاملها وإن شوهدت من بعد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لا يدرك معناه وإن شوهدت صورته

وَكَيفَ يَدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلُمِ كيف استفهام معناه الإنكار والإدراك حصول صورة الشيء في العقل والدنيا ضد الآخرة والحقيقة الماهية وتسألوا قنعوا والحلم ما يراه الإنسان في المنام .

[الاعراب] وكيف متعلقة بيدرک يدرک بضم الياء التحتية وكسر الراء فعل مضارع في الدنيا متعلق بيدرک حقيقة بالنصب مفعول يدرک والضمير المضاف إليه لمعناه قوم فاعل يدرک نيام نعت قوم تسألوا بفتح التاء الفوقية والسين واللام المشددة فصل ماض وفاعل عنه بالحلم بضم الحاء واللام متعلقان بتسألوا

[ومعنى البيت] كيف يدرک حقيقة معناه صلى الله عليه وسلم قوم قنعوا برؤيته في المنام ان حصلت لهم في الدنيا

أى هو كالشمس الخ فهو خير مبتدا محذوف والمقصود تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس في أنه لا يحاط بكنهه وحقيقته في حالتي القرب والبعد كما وضع ذلك السنف بقوله تظهر للعينين الخ لأنه قصد بذلك بيان وجه الشبه وقوله من بعد أى في حالة البعد فمن بمعنى في وبعد بضمين كما هو لغة في بعد بضم الباء وسكون العين وقوله صغيرة أى حال كونها صغيرة بقدر المرأة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله وتكمل الطرف بضم التاء وكسر الكاف من تكل وسكون الراء من الطرف أى وتعني البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الأقرب وقيل لعظم جرمها فإنه قيل إنها قدر كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة فلا يمكن الطرف أن يحيط بها وقوله من أم أى في حالة القرب فمن بمعنى في والأم بفتح الهمزة القرب والمراد القرب منها فرضا فهو فرضي فقط وأما بعدها فهو واقع مطلقا وقيل إن البعد يكون في حال طلوعها وغروبها والقرب يكون في غير ذلك والأول أقرب ولذلك اقتصر عليه بعض الشارحين (قوله وكيف يدرک الخ) هذا البيت في قوة التعليل لقوله أعيا الورى فهم معناه الخ وكيف الاستفهام الإنكارى وهو بمعنى النفي أى لا يدرك الخ واحترز بقوله في الدنيا عن الآخرة فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لأنه يحصل لهم إذ ذاك الانتباه ويكمل نور أبصارهم وبصائرهم فيدرسون الحقائق والدقائق والأسرار فيظهر لهم حينئذ قدره صلى الله عليه وسلم ومنزله ولذلك قدروا حينئذ على رؤية الحق سبحانه وتعالى فعدم رؤيتهم له تعالى في الدنيا الضعف قواهم وكونها عرضة للفناء فإذا رزقوا قوى قوية مثبتة رأوا الباقي بالباقي والمراد بحقيقته صلى الله عليه وسلم قدره ومنزله وقوله قوم نيام أى قوم غافلون عن النظر في حقيقته وهذا وصف لازم لا يخص كما يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا والمراد بالقوم جميع الورى وقوله تسألوا عنه بالحلم بضم اللام كما هو لغة في الحلم بسكونها أى اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلا بما يشبه الحلم بما أدركوه بالخبر جملة كذا يؤخذ من كلام بعض الشارحين ويحتمل أنه على ظاهره من أنهم اكتفوا عن النظر في حقيقته بما يرونه في منامهم إن صحت لهم رؤيته في النوم وقد اقتصر على هذا بعض الشارحين والأصح أن رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم حق وإن روى على غير هيئته التي كان عليها في الدنيا لحديث من رأى فقد رأى حقا وقيل لا تكون حقا إلا إن روى على هيئته الشريفة (قوله فبلغ العلم فيه الخ) هذا البيت مفرع على

فَبَلَغَ الْعِلْمُ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

مبلغ العلم غايته والبشر الإنس يقع على الواحد والجمع والخلق المخلوق. [الاعراب] فبلغ مبتدأ العلم مضاف إليه فيه متعلق بمبلغ أنه أن الفتوحة واسمها بشر بفتحتين خبرها وأن ومعمولاها في تأويل مصدر خبر المبتدأ وأنه خير بفتح أن جملة معطوفة على خبر المبتدأ خلق مضاف إليه ومضاف أيضا الله مضاف إليه كلهم توكيد يفيد الاحاطة والشمول. [ومعنى البيت] وغاية ما يصل إليه علم الخلق فيه صلى الله عليه وسلم أنه بشر وأنه خير خلق الله تعالى أجمعين .

وَكُلُّ آيٍ أَنَّى الرُّسُلُ الْكَرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ تَشْمُسُ فَضْلُهُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
آي جمع آية بمعنى علامة وآي أى جاء
والرسل جمع رسول وهو إنسان أوحى
إليه بالعمل والتبليغ والكرام جمع
كريم والاتصال ضد الانقطاع والنور
ضد الظلام .

[الاعراب] وكل مبتدأ آي بمد
الهمزة مضاف إليه آي فعل ماض الرسل
فاعل الكرام نعت الرسل بها متعلق
بآي فإعما حرف حصر انصت فعل
ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على
آي من نوره بهم متعلقان باتصلت فانه
شمس إن واسمها وخبرها فضل مضاف
إليه هم كواكبها مبتدأ وخبر والضمير
المضاف إليه للشمس يظهرن بضم الياء
التحتية وكسر الهاء فعل مضارع وفاعل
والنون ضمير الكواكب أنوارها
مفعول يظهرن والضمير المضاف إليه
للشمس للناس في الظلم متعلقان بيطهرن .

[ومعنى البيتين] أن جميع الآيات التي
جاءت بها المرسلون إنما اتصلت بهم من
نور النبي صلى الله عليه وسلم لأن خلق
نوره سابق عليهم وهو صلى الله عليه
وسلم بالنسبة إلى الفضل والشرف
كالشمس والمرسلون كالنواكب
ونور النواكب مستفاد من نور
الشمس فإن النواكب تظهر أنوار
الشمس للناس في الظلام فإذا ظهرت
الشمس لا يبقى للنواكب نور يرى
بل تستر عن العيون .

قوله أعياء الورى فهم معناه الخ فيرتب على ذلك أن ما يبلغه علم الناس في حقه صلى
الله عليه وسلم أنه بشر لإله ولا ملك وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنسا وجنا وملكا
وغيرهم وقوله فيه أى في حقه من حيث الذات ومن حيث الصفات وقوله أنه بشر
راجع للذات وقوله وأنه خير خلق الله كلهم راجع للصفات فعلم من ذلك القصور عن
إدراك الكنه في الجانبين والبشر اسم لنبى آدم سموا بذلك لبدوا بشريتهم وهى ظاهر
الجلد وخير أصله أخير حذف منه الهمزة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة الياء
للحاء فصار خير فهو أفضل تفضيل ولذلك لا يثنى ولا يجمع وأما قوله تعالى - وإنهم عندنا
لن المصطفين الأخيار - فالجموع فيه خير مخفف خير بالتشديد والخلق بمعنى
المخلوقات على سبيل المجاز المرسل بحسب الأصل لكن صار حقيقة عرفية (قوله
وكل آي أنى الرسل الخ) أى وكل المعجزات التي أنى بها الرسل الكرام لأنهم فلم
تصل بهم إلا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أو من نوره الذى هو أصل الأشياء كلها
فالسماوات والأرض من نوره والجنة والنار من نوره ومعجزات الأنبياء من نوره
وهكذا فالآي بمعنى المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة والرسل يسكون السين ويقال
في غير النظم رسل بضمها جمع رسول والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق بآي
والضمير راجع للآي وإعما للحصر والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لأنه يهتدى
بها ويصح حملة على النور الحمدي الذى هو أصل المخلوقات كلها كما حملة عليه بعض
الشارحين ومن للابتداء والباء للالتصاق . لا يقال كيف تكون المعجزات التي أنى بها
الرسل الكرام لأنهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع أنهم متقدمون عليه في الوجود .
لأننا نقول هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الأنبياء من حيث النور الحمدي
(قوله فانه شمس فضل الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه أى فانه
كالشمس في الفضل وقوله هم كواكبها أى الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه
أيضا أى مثل كواكبها ووجه التشبيه فيهما أن الشمس جرم مضى بذاته والنواكب
أجرام غير مضية بذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فإذا كانت الشمس تحت الأرض
فاض نورها من جوانبها فيطلب الصعود لأن النور يطلب مركز العلو فيصادف
أجرام النواكب الصقيلة القابلة له فيرتسم فيها فتضىء في الظلمات وتظهر أنوار
الشمس فيها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شيء فنوره صلى الله عليه وسلم
لداته ونور سائر الأنبياء ممتد من نوره من غير أن ينقص من نوره شيء فيظهرون
ذلك النور في الكفر الشبيه بالظلم فلذلك قال الصنف يظهرن أنوارها للناس في الظلم
وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للنواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم
لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما يشير لذلك قوله في بعض النسخ :

حتى إذا طلعت في الأفق عم هذا ها للعالمين وأحييت سائر الأمم

وظاهر هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم مرسل للأمم السابقة لكن بواسطة الرسل
فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه أخذنا من قوله
تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق

لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذي عليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة فالمسئلة خلافة والحق الأول (قوله أكرم بخلق نبي الخ) أي ما أكرم خلق نبي الخ فأكرم فعل تعجب لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق أي حسنه خلق بضم الخاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متم أي متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقة والاتسام والانصاف ولا يخفى أن قوله بالحسن متعلق بعشتمل وهو بالجر على أنه صفة لني فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال في قوله بالبشر متم وحاصل المعنى ما أحسن صورة نبي حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه (قوله كالزهر في ترف الخ) صفة رابعة لني وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر في الترف وبالبدر في الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر في الكرم وبالدهر في الهمم راجع الى خلقه الكريم والزهر نور النبات بفتح النون والترف بفتح التاء المثناة الفوقية والراء المهملة النعومة قال أنس مامست حريرا ولديا جأ آين من كف النبي صلى الله عليه وسلم والبدر هو الصمر ليلة كاله وهي ليلة أربعة عشر وإعما سمى في تلك الليلة بدرا لأنه يبدد الشمس بالطلوع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور في قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لنا فكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في الأحاديث الكثيرة منها حديث أنس قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام أي لأجل الإسلام شيئا إلا أعطاه إياه قال فسأله رجل غنا بين جبلين فأعطاه إياه فأثنى قومه فقال يا قوم أسلدوا فوالله إن محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر والدهر الزمن والهمم جمع همة وهي العزم على الشيء والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يعملون للدهر عزومات وإرادات ويشبهون الممدوح به في تلك العزومات والارادات وسبب ذلك أن الحوادث الدقيقة إعما تقع في الدهر فينسبونها إليه على سبيل المجاز العقلي كقولهم نهارة صائم وليله قائم ولقد غلا أي تجاوز الحد من قال :

له هم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار عشرها على البركان البرأندى من البحر

ووجه الغلو أي مجاوزة الحد أنه أثبت لممدوحه همما صغرى وكبرى وجعل همته الكبرى لا منتهى لها وجعل همته الصغرى أجل من الدهر أي من هم الدهر والمصنف جعل هم النبي مثل هم الدهر فيأثم من ذلك أن هم الممدوح أجل من هممه صلى الله عليه وسلم وهو باطل وبعضهم نسب هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم

أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقُ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبَشَرِ مُتَسِمٍ
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمِّ

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِي جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ

أكرم فعل تعجب والخلق الإيجاد وزانه أي زاده حبنا والخلق بضمين السجية والحسن البهاء ومشتمل أي مرئد والبشر بكسر الواحدة طلاقة الوجه ومتسم أي متصف والزهر النور بفتح النون وسكون الواو والترف اللطافة والنضارة والبدر القمر عند تمامه والشرف الرفعة وعلو المنزلة والبحر (٣٨) الواسع العطاء والكرم الجود والدهر الزمان والهمم جمع همة

والعسكر الجيش الكثير والحشم الخدم [الاعراب] أكرم بكسر الراء فصل تعجب لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر بخلق الباء زائدة لاتعلق بشيء وخلق بفتح الحاء وسكون اللام فاعله نبى مضاف إليه زانه بالزاي فعل ماض ومفعول خلق بضمين فاعل زانه والجملة نعت أول لنبي بالحسن متعلق بمشتمل مشتمل بالجر نعت ثان لنبي بالبشر بكسر الواحدة وسكون المعجمة متعلق بمشتمل بضم الميم وفتح اللثام الفوقية المشددة وكسر السين المهملة نعت ثالث لنبي كالزهر نعت رابع لنبي في ترف بفتح اللثام الفوقية والراء المهملة وبالفاء متعلق بالكاف لما فيها من معنى التشبيه والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في هم معطوفات بالجر على ما قبلها كأنه كأن واسمها وهو فرد مبتدأ وخبر والجملة حال من مفعول تلقاه لامن اسم كأن من جلالته مفعول من أجله في عسكر خبر كأن حين منصوب بكأن لما فيه من معنى التشبيه تلقاه فعل وفاعل ومفعول وفي حشم بفتح الحاء المهملة والمعجمة معطوف على في عسكر [ومعنى الأبيات الثلاثة] ما أكرم خلق نبى مزين بالخلق مشتمل بالحسن متسم بالبشر مثل الزهر في اللطافة

وعليه فلا غلو لأنه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا أبلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم من كلام الناظم لكن لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان (قوله كأنه وهو فرد الخ) صفة خامسة لنبي وكأن للتشبيه والضمير اسمها وجملة وهو فرد حال من المفعول في تلقاه قالوا وللحال ومن جلالته أي من أجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كأن وحين تلقاه ظرف لما هو معنى كأن من التشبيه وقوله في عسكر وفي حشم خبر كأن وتقدير البيت كأنه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من أجل جلالته وقصد المصنف تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه إذا كان في عسكر وفي حشم وهو صلى الله عليه وسلم إذا كان في عسكر وفي حشم له هبة ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له أيضا هبة ووقار ومن أجل جلالته والجلالة العظيمة والعسكر الجيش والحشم بفتح الحاء والشين المعجمة الخدم والخطاب في تلقاه لكل من صلح للخطاب وحكى أن بعضهم رأى في المنام أن الصديق رضى الله عنه يرف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا البيت والذي بعده (قوله كأنما اللؤلؤ المكنون الخ) صفة سادسة لنبي وقد جرى المصنف في البيت السابق وهو قوله كالزهر في ترف الخ على ما جرت به العادة في التشبيه وجرى في هذا البيت على عكسه لأنه شبه اللؤلؤ المكنون في صدفه بكلامه وثره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدنى منطقته ومتسمه والأصل أن يشبه كلامه وثره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطقته ومتسمه باللؤلؤ المكنون في صدفه بجامع الحسن في كل فالمصنف عكس التشبيه كما في قول الشاعر :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يتمدح

وفي ذلك إشارة إلى أن الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار أصلا والأصل لضعف وجه الشبه فيه صار فرعاً ويسمى التشبيه المقلوب وهو أبلغ في المدح واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجواهر والمكنون المصون وفي صدف متعلق بالمكنون والصدف الحار الذى يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه كما أن القلب وعاء للكلام النفسى حتى يبرزه اللسان وكما أن الشفتين اللزمتين على الثغر كالوعاء له وإنما قيد اللؤلؤ بالمكنون في صدف لأنه يكون في الصدف أحسن منظراً منه خارج الصدف والإضافة في معدنى منطق منه ومتسم للبيان أى من معدنين هما منطق منه ومتسم ويصح أن تكون من إضافة المشبه به للمشبه أى من منطق ومتسم شبيهين بالمعدنين

والنطق

ومثل البدر في الشرف ومثل البحر في الكرم ومثل الدهر في الهمم

كأنه لجلالته في عسكر وفي حشم حين تلقاه فرداً وفي البيت الثانى من البديع التشطير وهو أن يقسم البيت شطرين ثم يصريح كل شطر ويخالف بينهما في قافية التصريح كقول الصنى :

بكل منتصر للفتح منتظر وكل معزم بالحق ملتزم

كَأَنَّمَا اللُّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدْفٍ مِنْ مَعْدِنَى مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُتَسِّمٍ

والنطق محل النطق وهو راجع لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين محل الابتسام لا بكسرهما خلافا لبعض الشارحين وهو راجع لثغره صلى الله عليه وسلم ومعنى البيت كما في اللؤلؤ للصون في صدقه كلامه وتغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطق منه ومبتسم وفي كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ومبتسم منه (قوله لا طيب يعدل الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقتها الدنيا مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها فقال لا طيب الخ والطيب ما يتطيب به من مسك ونحوه والتراب يسكون الرأفة في التراب والضم الجمع والأعظم جمع عظم وطوبى إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها وعلى الأول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والأصل طاب المنتشق واللتثم حذف الفعل وأتى بالمصدر بدلا من التلفظ به وزيدت اللام لتبيين الفاعل وعلى الثانى فهو مبتدأ خبره ما بعده وعلى كل فيحتمل أنه اخبار وأنه دعاء ، وحاصل المعنى لا طيب يساوى التراب الذى جمع الجسد الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيب أو الشجرة التى فى الجنة لمنتشق منه وملتمم على التفسيرين السابقين فى طوبى ولما كان الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم وتارة يستعمل بالتضمد أشار للأول بقوله منتشق وللثانى بقوله وملتمم والمراد بالملتثم هنا المعنى موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد القبل أخذا له من الالتئام وهو التقييل لأن تقييل القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه ومعلوم أن طيب التراب المذكور إنما سرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم الذى هو أعلى أنواع الطيب ولذلك قال أنس ما شممت عبرا ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن أطيبيّة ذلك التراب يحتمل أنها باعتبار ما عند الله تعالى ويحتمل أنها باعتبار ما عند غيره أيضا لكن لا يدرك ذلك إلا من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين لأن أحوال القبر من الأمور التى لا يدركها إلا من ذكر فاندفع ما يقال لو كان التراب المذكور من الطيب لزم أن يدرك طيبه بكل أحد كالملك فانه يدرك طيبه كل أحد على أنه لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراك كل أحد له لجواز انتفاء شرط أو وجود مانع وعدم الإدراك لا يدل على انتفاء المدرك ألا ترى أن للزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أنها قائمة به وقد قال عليه الصلاة والسلام القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولا شك أن قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة بل أفضلها وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل فى حكم ما بينهما أما القبر فللخبر العام الذى ذكر وأما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث ومنبري على حوضي والحوض من الجنة وإذا تفرق كون هذا المكان من الجنة لم يبق عند العاقل المصدق بالشريعة امتراء فى أنه لا طيب يعدله

اللؤلؤ جمع لؤلؤة وهى البهرة والمسكون المصون والصدف المعدن ومعدن الشيء موضع إقامته والنطق الكلام والابتسام أول الضحك والطيب اسم لما يتطيب به ويعدل يساوى والتراب التراب وضم حوى والأعظم جمع عظم والمراد جميع بدنه من تسمية الكل باسم الجزء لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء وطوبى مصدر كبرى والانتشق الشم والالتئام التقييل . [الاعراب] كما حرف تشبيه وما زائدة اللؤلؤ مبتدأ المسكون نعت فى صدف بفتحين متعلق بالمسكون من معدنى بفتح النون خبر المبتدأ منطق بكسر الطاء مضاف إليه منه نعت منطق والضمير له صلى الله عليه وسلم ومبتسم بكسر السين معطوف على منطق لاناقية طيب بكسر الطاء وسكون الياء التحتية اسم لامنى معها على الفتح يعدل بكسر الدال فعلى مضارع وفاعل خبر لا ترابا بضم المثناة الفوقية وسكون الرأفة مفعول يعدل ضم بفتح المعجمة فعل وفاعل نعت ترابا أعظمه مفعول ضم طوبى بضم الطاء مبتدأ وفيه معنى الدعاء لمنتشق بكسر الشين المعجمة خبر طوبى منه متعلق بمنتشق والضمير لترابا وملتمم بكسر المثناة معطوف على منتشق . [ومعنى البيتين] كأن اللؤلؤ المسكون المصون فى صدقه كأن من معدن كلامه ومعدن ابتسامه وهو حاصل ما قال البحرى :

لا شيء من أنواع الطيب بمثل طيب التراب

فمن لؤلؤ يديه عند ابتسامه ومن لؤلؤ عند الكلام يساقطه

الذى ضم جسده صلى الله عليه وسلم وهذا التراب أشرف تراب الأرض طوبى لمن شمه وقبله

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ يَاطِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمَحْتَمٍّ

أبان أى كشف والمولد زمن الولادة والعنصر الأصل والمراد بطيب العنصر طهارته وخلوصه عن الرذائل ومبتدأ الشيء أوله ومحتمته انتهاءه [الإعراب] أبان مولده فعل ماض وفاعل عن طيب متعلق بأبان عنصره بضم العين والصاد المهملتين مضاف إليه يا حرف نداء والنادى محذوف طيب (٤٠) بكسر الطاء مفعول بفعل محذوف والتقدير يا عقلاء انظروا طيب

مبتدأ مضاف إليه منه نعت مبتدأ ومحتم مفتحتين معطوف على مبتدأ ونعته محذوف تقديره منه والماء للنبي صلى الله عليه وسلم .

[ومعنى البيت] أظهر الله تعالى عند ولادته طهارة حقيقته الخاصة به بخوارق العادات الدالة على كمال العنايات فإولى البصائر انظروا غرائب مبادئه واعتبروا وتدبروا عجائب نهاياته وتفكروا فيه وفيه من البديع نوعان الأول التذكير في قوله عن طيب وباطيب والثانى مراعاة النظير في قوله مبتدأ ومحتم .

يَوْمٌ تَفْرَسُ فَيْدُ الْفُرْسِ أَنَّهُمْ

قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ

اليوم قطعة من الزمان وتفرس تفتن من الفراسة وهى قوة يدرك بها الإنسان بالخيال، الظاهرة المعانى الباطنة والفرس أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق سموا بذلك لأنهم من ولد فارس من نسل سام بن نوح والانداز الاعلام بالشيء الخوف والبؤس الشدة والنقم جمع نقمة وهى العقوبة .

[الإعراب] يوم خبر مبتدأ محذوف أى يوم ولادته يوم تفرس بفتح التاء الفوقية والفاء والراء المشددة فعل ماض فيه متعلق بتفرس وفى معنى

من الفرس بضم الفاء وسكون الراء فاعل تفرس والجملة صفة يوم

والنقم

أنهم بفتح الهمزة والهاء والميم اسمها قد حرف تحقيق أنذروا بضم الهمزة وكسر الذال المعجمة فعل ماض والواو نائب الفاعل والجملة خبر أن وأن ومعمولاها فى تأويل مصدر منصوب على المفعول لتفرس بحلول متعلق بأنذروا البؤس بضم الواو وسكون الواو مضاف إليه والنقم بكسر النون وفتح القاف معطوف على البؤس . [ومعنى البيت] يوم ولادته صلى الله عليه وسلم تفتن فيه الفرس أنهم قد نزل بهم الشدة والعقوبة .

وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى وملتم منه كما تقدم فى البيت السابق (قوله أبان مولده الخ) الإبانة الكشف والاظهار والمولد مصدر ميمى يصلح لأن يراد به الولادة أوزمانها أومكانها وعلى كل من الاحتمالات الثلاثة لا بد من تقدير مضاف والأصل أبان آيات مولده وعن للتعدية والطيب الخلوص عما لا ينبغى فى النسب والعنصر بضم العين الهملة وسكون النون وضم الصاد هو الأصل والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم وقوله ياطيب الخ نداء للطيب على سبيل التعجب لأن العرب إذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب أى ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك والمراد بالمفتتح بفتح التاءين الثنائين من فوق آدم عليه السلام وبالمحتم كذلك سيدنا عبدالله خلافا لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم وبالمحتم النبي صلى الله عليه وسلم لأن افتتاح عنصره ليس بهاشم بل بآدم واختتامه ليس بالنبي صلى الله عليه وسلم بل بسيدنا عبدالله وإذا تعجب من طيب المفتتح والمحتم لم أن يتعجب من طيب مابينهما وفى بعض النسخ بدل المفتتح المبتدأ والضمير فى قوله منه راجع للعنصر وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ومحتم منه كما فى البيتين قبله . وحاصل معنى البيت أظهرت وكشفت آيات مولده عن خلوص آبائه صلى الله عليه وسلم عما لا ينبغى فى النسب ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك ومن آيات مولده صلى الله عليه وسلم ما ذكره عن أمه أنها قالت لقد أخذنى الطلق وأنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة أى سقطة هالتي ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادى فذهب رعبى وكل وجع أجده وكنت عطشى فإذا بشربة يضاء فشربتها فأصابنى نور عال الى آخر الحديث وقد ذكره بطوله القسطلانى (قوله يوم الخ) أى هو يوم الخ خبر مبتدأ محذوف والضمير راجع لمولده بمعنى زمان الولادة فقط وإن كان محتملا فيها تقدم للحدث وللزمان والمكان وقوله تفرس فيه الفرس أى ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء وهى قوة يدرك بها الإنسان المعانى اللطيفة بسبب الخيال الظاهرة بخلاف الفراسة بفتح الفاء فإنها الحدق فى ركوب الخيل والفرس بضم الفاء وسكون الراء أهل فمملكة فارس وكانوا مجوسا يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدلوهم وإنما سموا فرسا لأنه ولد لأنبيهم بضعة عشر رجلا كل منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله أنهم بالاشباع وقوله قد أنذروا أى أعلموا بالبناء للمجهول وقوله بحلول البؤس والنقم أى بنزول البؤس

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدَعٌ كَشْمَلُ أَحْصَابِ كِسْرَى غَيْرُ مُلْتَمٍّ

بات أمسى والإيوان لفظ معرب اسم لسقف لا يكون لبعض جوانبه جدر وكسرى لقب لكل ملك من ملوك الفرس والصدع الشق وشمل القوم جمع عديم وملتم مجتمع [الاعراب] وبات فعل ماض تام يكتفى بمرفوعه إيوان بهمزة مكسورة وباء مشنة تحية ساكنة فاعل بات كسرى بفتح الكاف وكسرهما وسكون السين المهملة مضاف إليه وهو منصع مبتدأ وخبر في موضع الحال من إيوان كشمَل بفتح الشين المعجمة في موضع (٤١) نصب على النعتية لمصدر محذوف والتقدير

انصداعا مثل انصداع شمل أصحاب مضاف إليه ومضاف أيضا كسرى مضاف إليه وتقل من الإضرار إلى الإظهار لإهانة الاسم غير بالنصب على الحال من شمل ملتئم بضم اليم وفتح اللثناة الفوقية وكسر الهمزة مضاف إليه [ومعنى البيت] أنه شبه وقوع الانصداع في منزل كسرى بوقوع التفرقة بين أصحابه وما انهدم جميعه على التمام ليكون عبرة للأنام وإنما سقط منه أربع عشرة شرافة وقوصرتة التي يقال لها القنطرة باقية الآثار إلى الآن على ما قال من شاهدها .

وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ

عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ
خمدت النار سكن لهيها ولم يطفأ جبرها
فان طوى قيل همدت والأنفاس جمع
نفس بفتح الفاء وهو ما يخرج من داخل
الرئة إلى خارجها والأسف الحزن
والنهر هنا الفرات فإنه كان ضل الطريق
ووقع في وادي سماوة وهي بادية بين
دمشق والعراق وذلك أن دجلة انقطعت
وانتشرت في بلاد فارس وطفح الفرات
حتى ملأ سماوة وساهى ساكن عن
الجريان والسدم الحزن وفي البيت

والنقم بهم والجار والمجرور متعلق بأنذروا والحلول من حل يحل بالضم أوبالكسر إذا نزل والبؤس هو الشدة للوثة في القلب المم والحزن والنقم جمع نقة وهي العقوبة والمراد بالبؤس والنقم ما حصل لهم من خراب ملكهم وتشتيت أمرهم وتفرق قبائلهم وتمزيقهم كل ممزق كما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى أن يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم ظهر للفرس فيه أنهم أنذروا بزول الشدة والعقوبات بهم حيث قارنه ماسيد كره الناظم من الارهاصات المؤسسة لنبوته صلى الله عليه وسلم (قوله وبات إيوان كسرى الخ) عطف على قوله تفرس الخ أى وبات في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم إيوان كسرى الخ والايوان كديوان بناء يبنى طولاً غير مسدود الوجه يعده الملك للجلوسه فيه لتدبير ملكه وقد كان سمك ذلك الإيوان مائة ذراع في مثلها ومكث في بنائه نيفاً وعشرين سنة ولهذا كان يظن أنه لا يهدمه الانفة الصعق وقد أراد هرون الرشيد هدمه لما بلغه أن تحته مالا عظيماً فحجز عنه فأبقاه على حاله وكسرى بكسر الكاف لقب لكل من ملك الفرس والمراد به هنا أنوشروان بن قباد بن فيروز وقوله وهو منصع أى والحال أنه منشق شقا بينا أشرف به على الهدم لاخلل في بنائه بل ليكون آية من آياته صلى الله عليه وسلم ومع انصداعه سقط منه أربع عشرة شرافة من شرافاته وكانت اثنتين وعشرين وقد روى أنه لما ارتج إيوان كسرى وسقط منه الأربع عشرة شرافة أحزنه ذلك فوجه إلى النعمان ملك العرب يستفسره عن سر ما بدا فرفع النعمان الخبر إلى سطيح وقد أشرف على الضريح وهو القبر فقال يكون سبي وسبايات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرافات ثم قضى على سطيح وقوله كشمَل أصحاب كسرى بفتح الشين أى حالهم وقوله غير ملتئم خبر بات . وحاصل المعنى وصار إيوان كسرى والحال أنه منصع غير ملتئم كشمَل أصحاب كسرى فإنه بات أيضا غير ملتئم بل تفرق ولم يتفق لأحد مثل ما اتفق لكسرى في كثرة جيوشه وأعوانه ولم يزالوا في تفرق وتشتت حتى جاءت بشائر الإسلام (قوله والنار خامدة الأنفاس الخ) يجوز رفع الجزأين على الابتداء والخبر والعطف حينئذ من عطف الجمل لأن هذه الجملة معطوفة على جملة قوله بات إيوان كسرى الخ ويجوز رفع الأول على أنه معطوف

(٦ - باجورى - برده)

استعارتان بالكناية حيث ذكر المشبهين وهما النار والنهر واستعارتان

تخييلتان حيث أثبت الأنفاس للنار والعين للنهر [الاعراب] والنار خامدة بالحاء المعجمة مبتدأ وخبر الأنفاس بفتح الهمزة مضاف إليه من أسف بفتححتين متعلق بخامدة على أنه علة لها عليه متعلق بأسف والضمير للإيوان أولالكفر الدال عليه القام والنهر بفتح النون وسكون الهاء مبتدأ ساهى خبره العين بفتح الهملة مضاف إليه من سدم بفتح السين والدال المهملتين متعلق بساهى على أنه علة له [ومعنى البيت] أن النار التي كانت فارس تعبدها خمدت بعد التوقد ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام أسفا على ضعف الكفر وسكن النهر الجاري حزنا عليه .

وَسَاءَ سَاوَةٍ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا

وَرَدُّ وَارِدْهَا بِالْفَيْظِ حِينَ ظَمَى

سَاءَ أَحْزَنَ وَسَاوَةٍ مَدِينَةٍ فِي طَرِيقِ
هَمْدَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرِّيِّ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ
فَرَسَخًا تَقْرِيْبًا وَغَاضَتْ ذَهَبَ مَأْوَاهَا
وَنَضَبَ وَبَحِيرَةَ سَاوَةٍ مَاءٍ مَجْتَمِعٍ وَاسِعٍ
الطُّولِ وَالْعَرْضِ بِقَرَبِ سَاوَةٍ كَبْجِيرَةٍ
طَبْرِيَّةٍ وَرَدَّ آيَ رَجْعٍ وَالْوَارِدِ هُنَا الَّذِي
يَأْتِي الْمَاءَ لِلْسَّقِيِّ وَالْفَيْظَ بِالمُشَالَةِ الْغَضَبِ
وَضَمَى أَيَّ عَطَشٍ .

[الاعراب] وساء بالند فعل ماض
ساوة بفتح الواو مفعول به على حذف
مضاف أي أهل ساوة على حد واسأل
القرية أي أهلها أن بفتح الهمزة
وسكون النون موصول حرفي مؤوّل
مع صلته بمصدر مرفوع على الفاعلية
بساء غاضت بالعين والصاد المعجمتين
فعل ماض وتاء تأنيث بحيرتها بضم
الموحدة وفتح الحاء المهملة فاعل غاضت
والهاء لساوة ورد بضم الراء المهملة
فعل ماض مبنى للمفعول واردةا نائب
الفاعل به بالعيط بالعين والطاء المعجمتين
متعلق برد حين ظرف زمان منصوب
برد ظمى بفتح المعجمة وكسر اليم
وسكون الياء المبدلة من الهمزة فاعل
ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى واردةا
[ومعنى البيت] وأحزن أهل ساوة
غيض ماء البحيرة ورجوع وارد البحيرة
بالغضب حين جاء البحيرة ولم يجد بهاء
وقد عطش وقد كان حوالها يبيع
وكائنات معتبرة وغيضا كان سببا
لحرابها ولم تعمر بعد ذلك .

على ايوان ونصب الثاني على أنه معطوف على غير ملتئم وهكذا يقال في قوله والنهر
ساهى العين الخ على لغة من أعرب المنقوص نصبا كإعرابه رفعا وجرا والعطف
حينئذ من عطف المفردات والمراد من النار نار الفرس التي كانوا يعبدونها وكان لها
خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام وفي عبارة بعضهم بألفي عام ومعنى
كونها خامدة الأنفاس كونها منطفئة اللهب مع بقاء الجمر نغمود النار انطفاء لهبها
مع بقاء جمرها وأما الحمود فانطفاء لهبها مع جمرها والأنفاس جمع نفس بفتح الفاء
والمراد به هنا لهب النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من أسف أي من
أجل أسف فمن للتعليل والأسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن وقوله عليه متعلق
بأسف والأظهر أن الضمير المجرور على راجع للإيوان وجوز بعض الشارحين
أن يكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه ذلك بأن ولادته صلى الله عليه
وسلم سبب في ترك عبادتها وهذا من حسن التعليل تقريرا بهم وهو أن يدعى لحكم
علة مناسبة لسكنها غير مواضة للواقع كما في قوله :

وما نزل القيث الا لكي يقبل بين يديك الثرى

وقوله والنهر ساهى العين قد عرفت إعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذي كان به
قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع في ساءة وهي بادية بين دمشق والعراق والمراد
بكونه ساهى العين أنه ساكن العين التي هي مادة عن الجرى على سبيل الاستعارة
ويحتمل أن في الكلام استعارة بالكناية فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهى العين
تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو
ساهى العين وقوله من سدم أي من أجل سدم فمن للتعليل والسدم بفتح السين
والدال الحزن وهذا من حسن التعليل أيضا وبعضهم جعل إثبات الأسف للنار والسدم
لنهر مجازا عقليا لتزليل كل منهما منزلة العاقل وقد عرفت أنه من حسن التعليل
فلا حاجة لذلك وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أي من سدم عليه كما تقدم
في نظائره (قوله وساء ساوة الخ) أي وساء أهل ساوة الخ فهو على تقدير مضاف على
حد قوله تعالى واسئل القرية أي أهلها وساء اسم لمدينة من مدن الفرس وهي بين
همدان والري وقوله أن غاضت بحيرتها فاعل بساء ومعنى غاضت بضاد معجمة قيل
وبضاد مهملة غار مأوها وذهب بالمرّة حتى إن لهب النار ينبع من قعرها كأنما طبخت
أرضها وكانت هذه البحيرة بركة عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التي على ساحلها وكان
طولها ستة أميال في مثلها عرضا وقيل ستة فراسخ في مثلها عرضا وقال البكري
كان طولها عشرة أميال وعرضها ستة وكان حولها يبيع وكنايس فخرت ومن
ذلك يعلم أن التصغير فيها ليس للتخفيف وقوله ورد واردةا الخ أي وأن رد واردةا الخ
فهو معطوف على مدخول أن في قوله أن غاضت بحيرتها والباء في قوله بالعيط للملابسة
أو المصاحبة أي ملابسا للعيط أو مصاحبا له والجار والمجرور متعلق برد وقوله حين
ظمى ظرف لواردها أي الذي يردها ويأتي إليها ليستقي من مأها حين عطش .
وحاصل المعنى وأحزن أهل المدينة السهاء بساوة أمران أحدهما غيضا مأها والثاني

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

الحزن ضد السرور والضرم الانتهاب . [الاعراب] كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر بالنار خبرها مقدم ماسم موصول اسم كأن مؤخر بالماء صلة مامتعلق بفعل محذوف من بلل (٤٣) بفتحتين بيان لما الموصولة متعلق بحال

محذوفة من عائد الصلة حزنا يسكون الزاى مفعول لأجله وبالماء خبر كأن محذوفة مدلول عليها بكأن المذكورة ماسمها بالنار صلتها من ضرر بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة بيان لما الموصولة الثانية والمفعول لأجله محذوف لدلالة ما قبله عليه والألف واللام في النار والماء للعهد الذكرى أى النار المعبودة وماء البحيرة .

[ومعنى البيت] كأن بالنار التى طبعها الحرارة والاحراق ما بالماء من البلى الباعث على التبريد والإغراق لأجل الحزن عليه وكأن بالماء الذى طبعه البرودة والتبريد ما بالنار من الانتهاب الباعث على الاحراق لأجل الحزن عليه :

وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ

وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَغْشَى وَمِنْ كَلِمِ
الجن خلاف الإنس سموا بذلك لاجتماعهم أى استتارهم عن العيون وتهتف تصيح والأنوار جمع نور والمراد بها التى ظهرت يوم ولادته حتى أضاء لها قصور الشام ساطعة مرتفعة والحق أى صدق النبوة ويظهر أى ينكشف من معنى مفرد والمراد به الجمع أى المعانى المعقولة والكلم الكلام أى الألفاظ المخصوصة .

[الاعراب] والجن تهتف بفتح الفوقية وكسر الثانية مبتدأ وخبر

رد الله يردا ليستقى منها بالعيط حين عطش (قوله كأن بالنار الخ) لا يخفى أن بالنار خبر كأن مقدم وما بالماء اسمها مؤخر والأصل كأن ما بالماء بالنار وما اسم موصول بمعنى الذى وقوله من بلل بيان لها وقوله حزنا أى للحزن فهو علة لقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل وقوله وبالماء ما بالنار من ضرر فيه ما تقدم فيما قبله أى وكأن بالماء ما بالنار من ضرر والضرر الانتهاب وفيه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى حزنا . وحاصل المعنى أن النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلى فصارت مبتلة لحزنها وأن الماء الذى غاص تلك الليلة صار كأن به ما بالنار من الضرر لحزنه أيضا فكان ما بكل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للآخر من الحزن وخص الناظم من أوصاف الماء البلى دون البرودة مثلاً ومن أوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلاً لأن البلى هو الذى يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لا تخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم والاضطرام هو الذى يخرج الماء عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لا تخرجه عن حقيقته فإنه يقال ماء حار ولا يقال ماء مضطرم لأن الاضطرام يستلزم غاية اليس . فإن قيل الجمادات كلها لا توصف بالكفر بل منقادة خاضعة لله قال تعالى وإن من شئ الا يسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا واللائق أن يكون ذلك فرحا . أحيب بأن النار تحزن على نفسها من أجل أنها لا توقد والماء يحزن على نفسه من حيث إنه لا يجرى فكل منهما شبيه بالحزين لأجل ذلك هذا إن كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وإن كان المراد حزن أهلهما فلا اشكال لأن أهلهما يحزنون على تغير ملكهم وتشتيت أمرهم (قوله والجن تهتف الخ) أى وصارت الجن تهتف فى الجبال والأودية فمن ذلك ما جاء أنه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول :

فَأَتَمُّ مَا أَتَى مِنَ النَّاسِ أَتَجِبْتُ وَلَوْلَدْتُ أَتَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَهُ

كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنبية لؤم القبائل ماجده

ومنها أن هاتف سواد بن قارب أنشده أبياتا ثلاثا ليال فيها الحث على الحمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان به وعظيم مدحه والجن هم أولاد ابليس كما أن البشر أولاد آدم وقيل الجن أولاد الجان فابليس أبو الشياطين والجان أبوالجن والقول الأوّل أقوى والتهتف قيل الصوت مطلقا وقيل الصوت الحثى وقوله والأنوار ساطعة أى والأنوار التى خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة فى

والأنوار ساطعة مبتدأ وخبر والحق يظهر مبتدأ وخبر من معنى ومن كلم بكسر اللام متعلقان بيبظهر . [ومعنى البيت] والجن تصيح وترجف لما حصل لهم من الخوف والرعب ويتكلمون مع أوليائهم فيما دهمهم من ذلك والأنوار التى ظهرت يوم مولده صلى الله عليه وسلم مرتفعة فى الآفاق والبرهان الحق يظهر من المعانى التى أتت بها الكتب المنزلة ومن الكلام الذى نطقت به السنة الأحبار والرهبان .

عَمُوا وَصَمُوا فَأَعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ تَسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تَشْمَعْ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمَعُوجُ لَمْ يَقُمْ

العمى عدم البصر والصمم عدم السمع والاعلان الإظهار والبشائر جمع بشارة أو بشرى وهو الخبر السار وبارقة من برق إذا لمع
والثناء للبالغة والإنذار الاعلام وتشم من (٤٤) تمت البرق إذا نظرت الى السحابة أين تمطر أى لم تبصر والأقوام جمع

الحديث عن آمنة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاءه
قصور الشام فولدته نظيفا مابه قدر وإلى ذلك يشير عمه العباس بقوله :
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضأت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبيل الرشاد نخترق

وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم أى والحق الذى هو أمره صلى الله عليه وسلم
من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالأنوار ومن كلم كهتف الجن فى ذلك مع
قوله والجن تهتف والأنوار ساطعة لف ونشر مشوش (قوله عموا وصموا الخ) هذا
البيت واقع فى جواب سؤال مقدر فكأن شخصا قال له إذا كان الحق يظهر من
معنى ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم فأجابه المصنف
بأنهم عموا وصموا الخ فالضمير راجع للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من
الغنى ولا بما سمعوه من الكلام حيث جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق
يظهر من معنى ومن كلم كأنهم عموا عن مشاهدة الغنى كالأنوار وصموا عن سماع
الكلم كهتف الجن فى ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر
مرتب وقوله فأعلان البشائر لم تسمع أى فإظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم
كهتف الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله وصموا وإنما قال لم تسمع
بالتاء التوقية لأن المضاف إليه أكسب المضاف التأنيث وقوله وبارقة الإنذار لم تشم
أى ولا معة الإنذار به صلى الله عليه وسلم أى تخويفهم به كالأنوار لم تنتظر لهم نظر
قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهى فى الأصل اسم لل سيف اللامع يقال بيده بارقة أى
سيف لامع والمراد بقوله لم تشم لم تنتظر يقال شام البرق نظر إليه وهذا مرتب على قوله
عموا فى ذلك مع قوله عموا وصموا لف ونشر معكوس (قوله من بعد ما أخبر الخ)
متعلق بقوله عموا وصموا وفى ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا
حقيقة الحال من كاهنهم الذى كانوا يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله ومما صدرية فيؤول
الفعل بعدها بمصدر والأقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان
له تابع من الجن يخبره بخبر السماء لاستراقه السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد على
الكلمة الحققة مائة كذبة وقوله بأن دينهم المعوج لم يقيم أى بأن ما هم عليه من الدين
المعوج لاشتماله على عبادة الأصنام لقيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمراد أنه
أخبرهم بما يفيد ذلك لأنه أخبرهم بأنه يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب
دينهم المعوج (قوله و بعد ما عاينوا الخ) أى ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على

قوم يطلق على الذكور والانات وقيل
يختص بالذكور والكاهن الذى يخبر
عن الغيبات الماضية قاله الراغب ودينهم
طريقتهم التى تدينوا بها واعوج الشيء
فهو معوج أى صار ذاعوج يقال فى
الدين عوج بكسر العين وفتح الواو
وفى العود عوج بفتحهما ولم يمت أى لم يدم
من قام الأمر دام وأقامه الله تعالى أدامه
[الإعراب] عموا بفتح العين فعل
وفاعل والضمير للفرس وصموا بفتح
الصاد فعل وفاعل جملة معطوفة على
ما قبلها فأعلان بكسر الهمزة مبتدأ
البشائر مضاف إليها لم تسمع بالثناء
الفوقية والبناء للمفعول خبر مبتدأ
واكتسب التأنيث من المضاف إليه
وبارقة بالوحدة مبتدأ الإنذار بكسر
الهمزة مضاف إليه لم تشم بضم المثناة
الفوقية وفتح المعجمة خبر مبتدأ من
بعد متعلق بصموا لقربه وهو مطلوب
أيضا لعموا من جهة المعنى على سبيل
التنازع ماموصول حرفى يسببك مع
صلته بمصدر مجرور باضافة بعد إليه
أخبر فعل ماض الأقوام مفعول مقدم
كاهنهم فاعل مؤخر وجوبا بأن بفتح
الهمزة متعلق بأخبر دينهم اسم أن
للمعوج بضم الميم وسكون العين الهمزة
وفتح الواو والجمع للشدة نعت دينهم
لم يقيم بفتح الياء وضم القاف أو بضم الياء
وكسر القاف من أقام والجملة خبر أن

وعموا فلم يسموا إعلان البشائر من بعد إخبار الكهان لهم بأن دينهم المائل عن الحق لا يدوم ولا يقيم وفى البيت الأول من
البديع اللف والنشر المشوش وفى البيت الثانى من البديع الجنس الشبيه بالمشق بين الأقوام ولم يقيم .

عَمَدًا مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شَيْءٍ مُنْقَضَةٍ وَفَقَى مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَمَمٍ

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمٍ

عابنوا شاهدوا والأفق نواحي السماء والشهب جمع شهاب وهي النجوم التي ترمى بها الشياطين عند استراق السمع من اللائكة
منقضة من انقض السهم سقط والوقف الموافقة والصم المصور من حجر (٤٥) وغيره والقذو الذهاب والوحي الكلام

الحق وطريقه أبواب السماء والمنهزم
الهاب والشياطين جمع شيطان بمعنى
البعدان كان من شطن أو المحرق إن كان
من شاط والقفو الاتباع والانهزام
المهرب .

[الاعراب] وبعد يجوز فيه نصب
بالعطف على محل بعد الجرورة بمن
وجوز فيه الجر بالعطف على لفظه
كقوله :

فان لم تجد من دون عدنان والدا
ودون معد فلترعك العواذل

يروى بنصب دون الثاني وخفضه على
التوجيهين ماموصولة عابنوا صلتها
وعائدها محذوف أي عابنوه في الأفق
بضم الهمزة وسكون الفاء متعلق بعابنوا
من شهب بضم الشين المعجمة والهاء
بيان لما منقضة بضم الميم وسكون النون
وتشديد الضاد المعجمة نعت شهب وفق
بفتح الواو وسكون الفاء منصوب
بنزع الخافض أي على وفق ماموصول
اسمى في الأرض صلتها من ضم بفتح
الصاد المهملة والنون بيان لما حتى حرف
غاية غدا بمعجمة فمهملة فعل ماض عن
طريق متعلق بغدا الوحي مضاف إليه
منهزم بضم الميم وكسر الزاي فاعل غدا
من الشياطين نعت منهزم يقفو بالقاف
والفاء فعل مضارع وفاعله مستتر فيه
يعود الى منهزم والجملة نعت ثان له إثر
بكسر الهمزة وسكون اللثة متعلق
بيقفو منهزم بضم الميم وسكون النون
وفتح الهاء وكسر الزاي مضاف إليه .

بعد في قوله من بعد ما أخبر الخ فيقرأ لفظ بعد بالجر نظرا لذلك ويصح قراءته بالنصب
نظرا لمحل الجار والمجرور وماموصولة بمعنى الذي والعائد محذوف والتقدير عابنوه
أي شاهدوه وأبصروه وقوله في الأفق بسكون الفاء كاهولمة في الأفق بضمها والمراد
به هنا السماء لاحقيقته التي هي أطراف السماء المماسية للأرض لعدم وجود الشهب
في ذلك وقوله من شهب بيان لما عابنوه والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة
وليس هو النجم كما قد يتوهم لأنه لا ينتقض ولا يسقط وقوله منقضة أي ساقطة من السماء
على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من اللائكة ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم
ولم يكن للكفار عهد بمثل ذلك وإن كان لهم به عهد في الجملة وذلك أن الشياطين
كانوا يسترقون السمع من السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث
سموات بسقوط الشهب عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد في حراسة السماء فمنعوا
من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون في مقاعد قريبة من
السماء بحيث يسمعون صريف الأقلام أي صوت أقلام اللائكة التي تكتب ما يقع
في العالم ولما بحث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك بالشهب أيضا كما قال الله تعالى
حكاية عنهم وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
وقوله وفق مافي الأرض أي مثل مافي الأرض في الانقضاض والسقوط لأن أصنام
الدنيا أصبحت منكوسة تلك الليلة وماموصولة بمعنى الذي وقوله من ضم بيان لها
أي من جنس الصنم الصادق بالكثير والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان
مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من
غيره كنجاس (قوله حتى غدا الخ) أي ولم تزل الشهب تنقض الى أن غدا الخ فهو غاية
لمحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى سار وقوله عن طريق الوحي متعلق بمنهزم الواقع
اسما لغدا وطريق الوحي هو السماء والوحي للكلام الخفي والكتاب والإشارة والرسالة
والإلهام الى غير ذلك والمنهزم الهارب وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مشوب
بتبويض وقوله يقفو إثر منهزم أي يتبع إثر هارب آخر . وحاصل المعنى ولم تزل الشهب
تنقض الى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع إثر
هاب آخر وهم جرا (قوله كأنهم هربا الخ) الضمير للشياطين وهربا حال أي في حال
كونهم هاربين والأبطال جمع بطل وهو الشجاع القوي جدا وسمى بطلا لبطلانهم
الشجعان عند ملاقاته أولأن الدماء تبطل عنده فلا يؤخذ بثأرها وأبرهة بالصرف
للضرورة والافهه ممنوع من الصرف للعمية والعجبة ومعناه بلسان الحبشة أبيض
الوجه والمراد به هنا ملك اليمن والعسكر الجيش كما تقدم والحصى حجارة صغيرة صلبة
والراحتان بطنا الكف وقوله رمى بالبنا للجهول صفة لعسكرو يتعلق به كل من قوله

[ومعنى البتين] ومن بعد الذي عابنوه من شعل النار النازلة من السماء على الشياطين السارقين للسمع على وفق تنكيس
الأصنام التي في الأرض الى أن ذهب كل شيطان هارب عن أبواب السماء وصار يتبع إثر شيطان هارب مثله .

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَيْرَقَمَاءٍ أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِيَ

نَبَذَا بِهِ بَمَذَ تَسْبِيحَ يَبْطِنُهُمَا نَبَذَ الْمَسْبُوحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ

المهرب الفرار السريع والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وأبرهة بالحشية أبيض الوجه والمراد به اسم رئيس أصحاب الفيل ويقال له الأثرم والعسكر الجيش العظيم والحصى جمع حصاة وهي حجارة صفراء صلبة والراحة الكف والتبذ الطرح والتسبيح التزييه من كل نقص والبطن ضد الظهر والمراد بالتسبيح هنا يونس عليه السلام من قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين والأحشاء جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع والمراد (٤٦) بالملتقم الحوت الذي التقم يونس من قوله تعالى فالتقمه الحوت .

[الإعراب] كأنهم كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر والضمير اسمها هربا حال والعامل فيها ما في كأن من معنى التشبيه وذو الحال اسم كأن أبطال خبرها أبرهة بفتح الهمزة وسكون الموحدة وقبح الراء الهملة والمصرف للضرورة أو عسكر بالرفع عطفا على أبطال وبالجر عطفا على أبرهة بالحصى متعلق برى من راحته حال من الحصى والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم رعى بالبناء للمفعول معطوف في المعنى على خبر كأن وتقدير البيت كأن الشياطين في حال كونهم هاربين أبطال أبرهة أو كأنهم عسكر رعى بالحصى من راحتي النبي صلى الله عليه وسلم نبذا بالمعجمة مفعول مطلق والناصب له رعى لأنه يلاقيه في المعنى لأن الرعى هو النبذ على حد قدمت جلوسا به بعد متعلقان برى ولا يجوز تعلقهما بنبذا لأن المصدر المؤكد لا يعمل تسبيح مضاف إليه يبطنهما نعت تسبيح نبذ بالمعجمة مفعول مطلق نوعي تشبيهي أى مثل نبذ المسبح بضم الميم وكسر الموحدة المشددة مضاف إليه من أحشاء حال من المسبح ملتقم بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف مضاف إليه .

بالحصى وقوله من راحته والمقصود تشبيه الشياطين في حال هربهم من الشهب بأبطال أبرهة أو بالعسكر الذي رعى بالحصى من راحته صلى الله عليه وسلم والمصراع الأول إشارة إلى قصة أصحاب الفيل والمصراع الثاني إشارة إلى غزوة بدر على ما رواه البخاري من أن رعى الحصى كان في غزوة بدر أو إلى غزوة حنين على ما رواه مسلم من أن رعى الحصى كان في غزوة حنين ولما منع من تعدد الرعى وأشار بقوله رعى بالبناء للمجهول إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن باشر الرعى ظاهرا لكن الراى حقيقة هو الله قال تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم في وجوه الأعداء لم يبق منهم أحد إلا دخل التراب في عينيه وانهمزوا جميعا فتبعهم المسلمون يأسرونهم ويقتلونهم . وحاصل قصة أصحاب الفيل أن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والسيح لأبين لكم بيتا خيرا منه فبى لهم كنيسة من الرخام الأسود والأحمر والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأراد صرف الحج إليها ومنع الناس من الذهاب إلى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا وتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بأرضه فأغضب ذلك أبرهة وحلف لينتقض الكعبة حجرا حجرا وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه فيله فلما قدم إليه الفيل خرج في ستين ألفا فلما بلغ الغميس بضم الميم الأولى وفتح الغين للمعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أو مكسورة أمر أبرهة رجلا بالغارة إلى مكة فمضى إليها واستاق أبل قريش وغنهم فهموا بقتاله ثم عرفوا أنهم لا يطيقون قتاله فتركوه ثم لما نهى أبرهة لدخول مكة برك الفيل فضر به في رأسه ليقوم فأبى فوجهوه إلى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه إلى مكة فبرك ثم أرسل الله عليهم الطيور الأبايل مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقاره والآخران في رجليه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج من دبره ومن أسفل مركوبه وإلى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل إلى آخر السورة (قوله نبذا الخ) أى نبذه النبي صلى الله عليه وسلم نبذا الخ فنبذا مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظه أو منصوب بقوله

رى

[ومعنى البيتين] كأن الشياطين في هربهم أبطال أبرهة في هربهم لما رموا

بالحجارة من سجيل وولوا هاربين أو كأن الشياطين عسكر رعى بالحصى من بطن كفيه صلى الله عليه وسلم فهرب من رميه كما وقع في غزوة بدر وحنين إلا أنه لم يسمع للحصى فيهما تسبيح وإنما روى عن أنس رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسجن في يده الشريفة حتى ممعنا التسبيح الحديث وظاهر كلام الناظم أن الرعى والتسبيح في موطن واحد وفيه نظر إلا أن يحمل على أن التسبيح وقع سرا فيستقيم قوله نبذا بالحصى المسبح في بطن راحته مثل نبذ يونس المسبح في بطن الحوت الملتقم له والقصد تشبيه نبذه صلى الله عليه وسلم بالحصى المسبح العسكر فهرب منكسرا بنبذ الله تعالى يونس المسبح

رمى في البيت قبله فيكون العامل فيه موافقا له في المعنى كما في قولك جلست قعودا وقوله به أى بالخصى وهو متعلق بنبذ وقوله بعد تسبيح ببطنها أى بعد تسبيح الخصى في بطن الراحين الشريفتين بمعنى الكفين وظاهر كلام المصنف أن الخصى المرمى به سبى في كفيه صلى الله عليه وسلم وكان الناظم وقف على ذلك أو أنه قصد التسبيح الثابت في غير ذلك كما رواه أنس حيث قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من خصى فسبى في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم وضعه في يد أبى بكر فسبى أيضا ثم في يد عمر فسبى أيضا ثم في أيدينا فماسبح وبذلك اندفع ما عترض به بعضهم على المصنف من أنه لم يثبت أن الخصى الذى رمى به في يوم بدر أو حنين سبى في كفه قبل أن يرمى به وقوله نبذ المسبى من أحشاء ملتقم أى كنبذ المسبى الذى هو يونس عليه السلام من أحشاء الملتقم له والأحشاء ما انضمت عليه الأضلاع وقيل الأمعاء والملتقم له هو الحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو ملجم فلولا أنه كان من المسبىين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم أى فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه فلولا أنه كان من التاكيرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة فألقيناه من بطن الحوت بوجه الأرض بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما وهو عليل كالفرخ المعط وقال تعالى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أى فنادى في الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بأن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين في ذهابي من بين قومي من غير إذن و مراد المصنف التشبيه به في أن كلا أمر خارق للعادة وفي كلامه من المحسنات البديعية الاستنباع لأنه بعد أن تكلم على انقضاء الشهب على الشياطين وتشبيههم في حال هربهم بأبطال أبرهة أو بالعسكر الذى رمى بالخصى من راحته الشريفتين استتبع الكلام على تسبيح الخصى بكفيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة الاستنباع أن يضمن كلام سيق معنى آخر كما في قول ابن نباتة :

ولا بدلى من جهلة في وصاله فمن لى بخل أودع الحلم عنده

فإنه سيق للاخبار بكونه حليما وضمنه الشكاية بأنه ليس في الاخوان من يصلح لإيداع الحلم عنده (قوله جاءت لدعوته الأشجار الخ) أى أتت لطلبه الأشجار الخ فالجاء الاتيان والدعوة الطلب والأشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال من الأشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى وهو الخضوع وجملة قوله تمشى الخ إما حال من الأشجار فتكون حالا مترادفة أو من الضمير في ساجدة فتكون حالا متداخلة وقوله على ساق متعلق بتمشى والساق ما تحت الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم سفة للساق أو متعلق بتمشى وأشار بذلك لما روى من أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها حتى قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها في الأرض فوقفت بين يديه وقالت

في بطن الحوت حيا في أن كلا منهما خارق للعادة وهو تشبيه لطيف فان بين انطباق الضلوع على ما يحصل فيها من الشخص السبع وبين انضمام الأصابع على ما يحصل في الراحة من الخصى المسبى مقابلة لطيفة .

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشى إليه على ساق بلا قدم

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لَمَّا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِالْقَمِّ
مِثْلَ الْقَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرُهُ تَقِيهِ حَرَّ وَطَيْسٍ لِلْمُهْجِرِ حَمَى

جاءت أنت لدعوته أى لندائه الأشجار جمع شجرة وهى ماله ساق وساجدة أى خاضعة والقدم طرف الرجل والسطر الخط وفروع الشجرة أعلاها والبديع الغريب والعجيب والقم بالفتح وسط الطريق والقمامة واحدة القمام وهى السحاب وتقيه أى تحفظه والوطيس التنور والمهجير نصف النهار إذا كان حارا وحى الوطيس إذا اشتد الحر [الاعراب] جاءت فعل ماض وعلامة تأنيث لدعوته متعلق بجاءت الأشجار فاعل (٤٨) جاءت ساجدة حال من الأشجار تمشى حال ثانية من الأشجار أو من

فاعل ساجدة المستتر فيه فهمى على الأول من الأحوال المترادفة وعلى الثانى من الأحوال للتداخلة إليه على ساق متعلقان يتمشى بلا قسم بكسر الموحدة وفتح القاف والذال فى موضع النعت لساق كأنما حرف تشبيه مهمل سطرت بفتح السين والطاء المهملتين فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على الأشجار سطرًا بفتح السين المهملة مفعول به لما بكسر اللام وتخفيف الهمزة متعلق بسطرت ومما موصول اسمى كتبت فعل ماض وتاء تأنيث فروعها فاعل لكنت والجملة صلة ما والعائد محذوف أى كتبت من بديع بيان لما متعلق بكتبت الخط بفتح الهاء المعجمة وبالطاء المهملة مضاف إليه بالقم بفتح اللام والقاف متعلق بكتبت والباء بمعنى فى مثل بالنصب على الحال من فاعل تمشى وبالرفع خبر مبتدا محذوف أى أمرها مثل القمامة مضاف إليها أى بفتح الهمزة والنون المشددة ظرف زمان وفيه معنى الشرط سار فعل الشرط سائرة بالنصب حال من القمامة وصح

السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابى مرها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت ودلت عروقها فى منبتها فاستوت فيه وفى بعض الروايات فقال الأعرابى أئذن لى أن أسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأنذلى أن أقبل يديك ورجليك فأذن له وإنما لم يأذن له صلى الله عليه وسلم بالسجود ايذانًا بأن السجود لا يكون إلا لله لأن مكانه من الدين عظيم لما فيه من غاية الخضوع ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضى حاجة الإنسان فنظر فلم يجد شيئا يستتر به وإذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق الى إحدهما فأخذ ببعض أغصانها فقال اتقادى معى بأذن الله فانقادت معه حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ ببعض أغصانها فقال اتقادى معى بأذن الله فانقادت معه حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما وقال لهما التبا على بأذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افرقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق (قوله كأنما سطرت الخ) هذا البيت لبيان اعتدالها فى مشيها القويم وسلوكها السنن المستقيم والمعنى كأنما سطرت تلك الأشجار فى حال مشيها سطرًا للذى كتبت فروعها وهو الخط البديع أى الذى لم يعهد مثله المرسوم فى اللقمة بفتح اللام والقاف أى وسط الطريق لكونها مشى مشى استقامة فلما يكن فى مشيها ميل ولا عوج شبه مشيها على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطرًا مستقيما ليكتب عليه وعلم من ذلك أى ما فى قوله لما كتبت موصولة والعائد محذوف ومن للبيان والإضافة فى قوله بديع الخط من إضافة الصفة للموصوف وقد شبه أثر فروعها فى الأرض المفيد للمعبر كالأعرابى السابق بالخط الدال على اللفظ المفيد للتدبر للعانى على طريق التصريح (قوله مثل القمامة الخ) أى هى مثل القمامة الخ فهو بالرفع خبر مبتدا محذوف ويصح قراءته بالنصب على أنه حال من الأشجار أى حال كونها مثل القمامة الخ والمراد أنها مثلها فى الانقياد له صلى الله عليه وسلم

محمى، الحال من المضاف إليه لأن المضاف مثل بمعنى مماثل فهو عامل فى الحال وجواب الشرط محذوف أى معجزة

فهمى سائرة معه تقية بفتح التاء الفوقية وكسر القاف فعل مضارع متعد لاتنين أولهما الهاء وثانيهما حر بفتح المهملتين والجملة إما صفة لسائرة بناء على أن الوصف بوصف وهو الصحيح وإما حال من القمامة أو من الضمير المستتر فى سائرة ووطيس بفتح الواو وكسر الطاء للهمزة وفى آخره سين مهملة مضاف إليه بالمهجير بفتح الهاء وكسر الجيم متعلق بحمى وحى بفتح المهملة وكسر الميم فعل ماض وفاعله ضمير ووطيس المستتر فيه والجملة نعت ووطيس [ومعنى الآيات الثلاثة] أن النبى صلى الله عليه وسلم نادى شجرة فأقبلت خاضعة ماشية على ساقها وهى تشق الأرض شقا ولم يكن فى مشيها عوج ولا ميل بل تمشى مشى استقامة كالإنسان الذى يأتى وهو متأدب من غير خلل فى مشيه كسطر سطره الكاتب ليكتب عليه فكانها مطرت فى مجيئها سطرًا مستقيما تمشى عليه وسط الطريق ومثل محمى الأشجار له بأمره وإشارته مثل القمامة فى نظيلها آياه من حر الشمس فى وسط النهار فى أنهما معجزتان خارقتان للعادة فى الأسفل والأعلى.

معجزة وآية لرد المعارض فقد اتقاده عليه الصلاة والسلام الأعلى والأسفل فالأشجار من الأسفل والقمامة من الأعلى لأنها السحابة وقوله أنى سار سائرة أى فى أى موضع سار هى سائرة أو كيف سار هى سائرة فأتى بمعنى فى أى موضع أو بمعنى كيف وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدأ محذوف ويصح نصبه على أنه حال من القمامة وجملة قوله تقيه الخ خبر ثان على الأول وحال ثانية على الثانى وقوله حروطيس أى حر الشمس الشبيهة بالوطيس فى الحرارة فالوطيس فى كلام المصنف مستعار للشمس على طريق الاستعارة التصريحية وإن كان فى الأصل هو التنور وقوله للمهجير أى عند المهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف لحر وطيس أو لقوله تقيه والمهجير والمهاجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار إذا كان حاراً وقوله حمى يصح جعله فعلاً ماضياً فتكون الجملة صفة لوطيس أو فى موضع الحال من المهجير أى حال كونه قد حمى وتكون حالاً مؤكدة لما علمت من معنى المهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حمى فيكون نعماً للوطيس أو للمهجير ويكون وصفاً كاشفاً وهذا البيت إشارة إلى ما روى من أن أباطالب خرج إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش إلى أن أشرفوا على بحيرا الراهب وكان فى صومعته فنزلوا عنده وحطوا رحلهم وكانوا يعبرون به قبل ذلك فلا يخرج إليهم وفى هذه المرة خرج إليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذى يبعثه رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش وما أعلمك بهذا ؟ فقال انكم حين أشرفتم من مكة والقمامة تظله فوق رأسه ولم يبق حجر ولا شجر الاخر له ساجدا ولا يسجدان إلا للنبي وانى لأعرفه بخاتم النبوة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعاية الإبل فأرسلوا له فأقبل وعليه غمامة تظله فلما جلس وكانوا قد سبقوه إلى فى الشجرة مالت عليه فقال انظروا إلى فى الشجرة مال إليه (قوله أقسمت بالقمر الخ) أى أقسمت برب القمر الخ لأن أهل الشرع ينعون الحلف بغير الله تعالى وإن جرت عليه عادة الأدباء لكن محل النع فى حقنا وأما فى حقه تعالى فله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره قال تعالى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها الآية وإنما عبر بالماضى دون المضارع إشارة إلى أن اعتقاده مطوى عليه منذ عقل وقوله المنشق أى الذى انشق آية له صلى الله عليه وسلم لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقين فكانت فلقة فوق الجبل وقلقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وجملة قوله إن له الخ جواب القسم والضمير الأول للقمر المنشق والضمير الثانى للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله من قلبه متعلق بنسبة وقدمه عليها للاهتمام ومن بمعنى الباء والمراد بالنسبة المناسبة والمشابهة فى الانشقاق . أما انشقاق القمر فقد علمته ؛ وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات ، وقد جمعا بعضهم فى قوله :

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةً الْقَسَمِ
القسم اليمين والنسبة الشبه ومبرورة
من بر فى يمينه أمضاها على الصدق .
[الاعراب] أقسمت بضم التاء فعل
وفاعل بالقمر متعلق بأقسمت على تقدير
مضاف بين الجار والمجرور أى برب القمر
المنشق نعت القمر إن بكسر الهمزة
حرف تأكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر
له خبر إن مقدم والضمير للقمر من قلبه
متعلق بنسبة والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم نسبة بكسر النون وسكون السين
المهملة وفتح الباء الموحدة اسم إن مؤخر
وجملة إن ومعمولها جواب أقسمت لأجل
لها من الاعراب مبرورة بموحدة
ومهملتين نعت لمحذوف القسم بفتحيتين
مضاف إليه .

[ومعنى البيت] أقسمت برب القمر
يمينا مبرورة إن للقمر المنشق شها بقلبه
صلى الله عليه وسلم فى انشقاق كل منهما
مرتين ووجه الشبه بين الانشقاقين
جرهما على خلاف العادة فى الانشقاق
والالتئام من غير تأخير ولا اختلال

وَمَا حَوَى الْغَارَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

(٥٠) اخني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه وهو

حوى أى جمع والغار هو المكان الذى
تقب فى جبل يسمى ثورا بالثلثة فى أسفل
مكة والخير بفتح الحاء المعجمة كثير الخير
وبكسر الحاء الكرم والشرف والأصل
والهية كذا فى القاموس ويحتمل عندي
أنه أراد بالخير النبي صلى الله عليه وسلم
وبالكرم صاحبه أبا بكر رضي الله عنه
والطرف البصر والعنى عدم البصر عما
من شأنه أن يكون بصيرا .

[الاعراب] ماموصول اسمى فى موضع
رفع خبر مبتدا محذوف حوى الغار فعل
وفاعل صلة ما والعائد محذوف أى حواه
من خير ومن كرم متعلقان بحوى ومن
فيهما للبيان لما على تقدير مضاف أى
من صاحب خير ومن صاحب كرم وكل
طرف بفتح الطاء المهملة وسكون الراء
مبتدأ ومضاف إليه من الكفار نعت
طرف عنه متعلق بعنى والضمير للمحوى
الستفاد من حوى الشامل له صلى الله عليه
وسلم ولصاحبه أبا بكر رضي الله عنه عنى
فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على
كل طرف والجملة خبر المبتدا .

[ومعنى البيت] ومن معجزاته صلى
الله عليه وسلم أنه دخل هو وأبو بكر
الغار هربا من الكفار فطلبوا حق
وقبوا على قم الغار فأعماهم الله تعالى
عنهما ببركة النبي صلى الله عليه وسلم .
فَالصَّدِّيقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِّيقُ لَمْ يَرِ مَا
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ
فالصدق أى ذو الصدق وهو النبي
صلى الله عليه وسلم والصدیق أبو بكر
رضي الله عنه لمرما أى لم يرها وأرم معنى

وشق صدر المصطفى وهو فى - دار بنى سعد بلامرية
كشقه وهو ابن عشر ثم فى ليلة معراج وعند البعثة

وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنها لم تثبت وقوله مبرورة القسم أى إن القسم عليها
مبرور فيه يقال بر فى يمينه إذا صدق فيها والتبادر أنه صفة للنسبة لكن جعلوه صفة
لموصوف محذوف دل عليه السياق والتقدير يمينا مبرورة القسم وفيه شيء لأن اليمين
بمعنى القسم فيصير التقدير قسما مبرور القسم ولا يخلو عن ركة إلا أن يقال إنه من
باب الاظهار فى مقام الاضمار وقد علمت ما فيه الغنية عن ذلك (قوله وما حوى الغار الخ)
أى واذكر ما حوى الغار الخ أو أقسمت بما حوى الغار الخ وعلى الثانى لجواب القسم
معلوم بمقابله والغار ثقب فى الجبل وكان فى جبل ثور بأسفل مكة وقوله من خير
ومن كرم بيان لما حوى الغار وظاهره أن للراد نفس الصفتين من غير تقدير مضاف
وعليه فما باقية على معناها كما ذكره بعضهم والأظهر جعله على حذف مضاف أى
من ذى خير ومن ذى كرم وعلى هذا فما معنى من لأن ما للغير العاقل ومن للعاقل
والمراد بالخير الأخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران تباير الأعم والأخص
وكل منهما لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبى بكر ويحتمل أن الأول للنبي
صلى الله عليه وسلم والثانى لأبى بكر وعلى هذا فإعماخه بالكرم لأنه آخر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ولذلك لما أتيا الى الغار تقدم أبو بكر فى الدخول
لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذى فيتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر وكان هناك حجر
فيه حيات وأفاعى غشى أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم
فألقاه قدمه فجعلت الحيات والأفاعى يضربنه ويلسعنه ولم يتحرك مخافة أن يوقظ النبي
صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ياأبا بكر مايكيك قال لدغت فضل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده
لكنه كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وفى بعض التواريخ أنه مات
بسم آخر لأنه أكل مرة مع أعرابى فقال له الأعرابى ارفع يدك ياخليفة رسول الله
فان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد وكان كذلك وقوله وكل
طرف الخ أى والحال أن كل طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر
وقوله عنه أى عما حوى الغار وقوله عمنى يحتمل جعله فعلا وجعله اسما وقد لبث النبي
وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال وجاء الكفار حوالى الغار ينظرون فأعماهم الله تعالى قال
أبو بكر نظرت الى أقدامهم فوق رؤوسنا فقلت يا رسول الله لوأن أحدهم نظر الى قدميه
لأبصرنا فقال ماظنك باثنين الله ثالثهما وفى التنزيل ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول
لصاحبه لا تحزن إن الله معنا (قوله فالصدق الخ) أى فذو الصدق الخ فهو على حذف

مضاف

أحد اللازم للنبي . وفى البيت من البديع الخناس المشتق فى قوله الصدق

والصدق وفيه رد العجز على الصدر فى قوله لم يرها وأرم . [الاعراب] فالصدق مبتدأ على تقدير مضاف أى ذو الصدق فى الغار
متعلق يرها والصدق معطوف على الصدق وجملة لم يرها بفتح الياء التحية وكسر الراء المهملة والميم خبر المبتدا وما عطف عليه

وأصل يرما يريمان حذفت النون للجازم والياء للضرورة وهم مبتدأ والضمير للكفار يقولون خبره ما حرف نفى بالغار خبر مقدم مبتدأ مؤخر من حرف جر زائد أرم بفتح الهمزة وكسر الراء الهملة مبتدأ مؤخر والجملة مقول يقولون . [ومعنى البيت] فالتبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه لم ييرحا فى الغار والكفار لا ينظرونهما ويقولون ليس أحد فى الغار لما رأوا نسج العنكبوت على قم الغار وحوم الحمام عليه .

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسَجْ وَلَمْ تَحْمَمْ

ظنوا أى حسبوا والحمام اسم جنس جمعى واحده حمامة تقع على الذكر والأنثى وهى ذوات الأطواق والعنكبوت واحد العناكب والبرية الخليقة والنسج الحياكة والحوم الطواف . [الاعراب] ظنوا (٥١) فعل وفاعل والضمير للكفار الحمام مفعول

أول وظنوا العنكبوت فعل وفاعل ومفعول أول على خير متعلق بنسج البرية بياء موحدة مفتوحة وراء هملة مكسورة وياء تحتية مشددة مضاف إليه لم تنسج بفتح المثناة الفوقية وكسر السين الهملة وضدها والجيم فعل مضارع وفاعله ضمير العنكبوت جملة فى موضع المفعول الثانى لظنوا الثانية ولم تحم بفتح التاء الفوقية وضم الحاء الهملة فعل مضارع وفاعله ضمير الحمام متعلقه محذوف والجملة فى موضع المفعول الثانى لظنوا الأول والتقدير ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية وظنوا العنكبوت لم تنسج على خير البرية وفى البيت من البديع اللف والنشر على خلاف الترتيب وفيه التكرير فى قوله ظنوا وظنوا وفيه رد العجز على الصدر فى قوله الحمام وتحم .

[ومعنى البيت] أن الكفار لما رأوا الحمام حامت على الغار والعنكبوت نسجت عليه فى ساعة واحدة ظنوا أن خير البرية وصاحبه ليسا فى الغار لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار

مضاف أويؤول الصدق بالصادق أويجعل من باب المبالغة وقوله والصديق أى فى الغار فقيه الحذف من الثانى لدلالة الأول وقوله لم يرما بكسر الراء أى لم ييرحا وأصله لم يرما حذفت منه الياء تبعاً لحذفها فى استناده إلى المفرد كما فى قولك زيد لم يرم فإن أصله يرم حذفت منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين وقوله وهم يقولون الخ أى والحال أنهم يقولون الخ والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله ما بالغار من أرم مقول القول وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد وهو مبتدأ خبره الجار والجرور قبله ومن زائدة وإنما قالوا ذلك لكونهم رأوا الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على قمه فظنوا أنهما ليسا فيه كما أشار إليه الناظم بالبيت بعد هذا وذلك أنه تقدم رجل منهم فنظر حمامتين على قم الغار فقال ليس فى الغار شيء رأيت حمامتين على قم الغار فعرفت أنه ليس فيه أحد فقال رجل آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم بالغار أى وما حاجتكم به إن فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد (قوله ظنوا الحمام الخ) هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علت وقوله على خير البرية متعلق بقوله لم تنسج أو بقوله لم تحم وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أو بالعكس وقوله لم تنسج بكسر السين وضدها راجع للعنكبوت وقوله ولم تحم بضم الحاء راجع للحمام فقيه لف ونشر مشوش وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين مقى أحسا بالإنسان فرا منه ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه (قوله وقاية الله الخ) أى حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدو أو أن تنسج الدرع حلقين وتلبس للحفظ من العدو فالمراد بالمضاعفة من الدروع أن يلبس الشخص درعا فوق درع وقيل أن تنسج الدرع حلقين وقوله عن عال من الأطم أى وأغنت عن عال من الحصون التى يتحصن فيها من العدو فالأطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصون جمع

ونسج العنكبوت عليه فى وقت لا يسع ذلك .

وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مِثْرُوعٍ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ

الوقاية الحفظ وأغنت أجزاء والدروع المضاعفة المنسوجة حلقين حلقين تلبس للحفظ من العدو والأطم الحصون والواحدة أطمه ويجمع أبطام . [الاعراب] وقاية الله بكسر الواو مبتدأ ومضاف إليه وجملة أغنت بالمعجمة خبره عن مضاعفة متعلق بأغنت من الدروع بمهمات متعلق بمحذوف نعت مضاعفة وعن عال معطوف على مضاعفة من الأطم بضم الهمزة والطاء الهملة متعلق بمحذوف نعت عال . [ومعنى البيت] حفظ الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولصاحبه رضى الله عنه من العدو بهذا الغار أجزاً عن الدروع المضاعفة وعن الحصون العالية كل ذلك يركته صلى الله عليه وسلم .

مَا سَأَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمَ
وَلَا التَّمَسُّتُ غَنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ

سامني أي كافي وأولاني والدهر الزمان والضم الظلم وفي نسخة ماضني الدهر يوما واستجرت أي طلبت أن يحيرني ونلت أي
حصات والجوار بضم الجيم والأفصح كسرهما (٥٢) القرب والراء هنا الرعاية ولم يضم ولم يحقر والالتماس الطلب والغنى

اليسار ضد الفقر والدارين الدنيا والآخرة
من يده أي نعمته وإحسانه واستلمت
الندي أي أخذت العطاء وفي البيت الأول
من البديع الجنس المشتق في قوله
استجرت وجوارا، وفي البيت الثاني
جناس القلب في قوله التمسست واستلمت
وفيه رد العجز على الصدر في قوله
التمستت ومستلم وفيه التورية المرشحة
في قوله يده فإن معناها القريب العضو
والبيد النعمة والرشح للقريب قوله مستلم
[الاعراب] ما حرف نفي سامني بالمهملة
فعل ماض متعد لاتنين أولهما ياء التكلم
المتصلة به الدهر فاعل سامني ضيما بالمعجمة
المفتوحة مفعول سامني الثاني واستجرت
فعل وفاعل معطوف على سامني الدهر
به متعلق باستجرت والضمير للنبي صلى
الله عليه وسلم إلا حرف إيجاب ونلت
بكسر النون وضم التاء فعل وفاعل
في موضع الحال من ضمير التكلم
ومنع ابن مالك اقتران الماضي الواقع
حالا بالواو وأجازه غيره جوارا بكسر
الجيم أفصح من ضمها مفعول نلت منه
نعت جوارا والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم لم يضم بضم الياء التحتية وفتح الصاد
المعجمة نعت جوارا أيضا ولا نافية التمسست
بضم التاء فعل وفاعل غنى بكسر الغين
المعجمة والقصر مع التنوين مفعول

أطمة وهي الحصن وفي هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله
إذ أخرجه الدين كفروا الآية (قوله ماضني الدهر يوما الخ) هكذا في بعض النسخ
وفي بعضها ماضني الدهر ضيما الخ والغنى على الأول ماضني الدهر في يوم الخ وعلى
الثاني ما أردني وتصدني الدهر بظلم الخ وعلى كل فلا بد من تقدير مضاف أي أهل
الدهر وإلا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وإن جرت عادة العرب بنسبة الظلم إليه لوقوعه
فيه وقوله واستجرت به أي طلبت منه أن يحيرني من ذلك فالسين والتاء للطلب
وقوله إلا ونلت جوارا منه أي إلا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أي حمى وحفظا
من الرسول وقوله لم يضم بالبناء للجهول أي لم يحتقر بل يحترم [قوله ماضني الخ هو
والنبي بعده] فأندتهما أن من كان مسجوناً أو خائفاً من سلطان وداوم على قراءتهما
سبع عشرة مرة بعد كل صلاة فإن الله يفرج عنه همه ويحبل له من أمره عرجاً
(قوله ولا التمسست الخ) معطوف على قوله ماضني الدهر الخ والالتماس عند بعضهم
اسم للطلب من المساوي والراء منه هنا الطلب بخضوع وذلك وقوله غنى الدارين أي
داري الدنيا والآخرة والغنى في الأولى بالكفاية وفي الثانية بالسلامة من العذاب
وقوله من يده أي من نعمته فالمراد من اليد هنا النعمة وقيل المراد منها القدرات الكريمة
وقوله الاستلمت أي إلا أخذت فالمراد بالاستلام هنا الأخذ كما في قولهم استلمت معروفة
على سبيل التجوز لأنه في الأصل الدس باليد أو الفم كما في قولهم استلمت الحجر
وقوله الندي بفتح النون مع القصر وهو العطاء والكرم وقوله من خير مستلم بفتح
اللام أي من خير مستلم منه فصلته محذوفة والمستلم منه هو المأخوذ منه وإيما كان
صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه لأنه لا يرد سائله ويبيده خير الدنيا والآخرة فإن
قيل إخباره عن نيل غنى الدنيا منه صلى الله عليه وسلم صحيح لأنه مشاهد في الحسن
بخلاف إخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله عليه وسلم فإنه غير مشاهد في الحسن
فكيف يصح إخباره عنه ؟ أجيب بأنه مشاهد بقوة يقين الإيمان . وفي هذا البيت
والنبي قبله براعة الطلب وهي كما قاله الزنجاني في كتاب المعيار أن يلوح بالطلب
بالفاظ عذبة خالية عن الإجحاف مقترنة بتعظيم المدح تشعر بما في النفس دون كشفه
وقيود هذا الحد كلها موجودة في هذين البيتين (قوله لا تنسكروا الوحي الخ) هذا شروع
في مبدأ الوحي وقوله من رؤياه حال من الوحي ومن للإبتداء أي لا تنسكروا الوحي

التمست وهو مضاف والدارين بالتثنية مضاف إليهما من يده متعلق بالتمست والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم حال

الإحرف إيجاب استلمت بضم التاء فعل وفاعل في موضع الحال من ضمير التكلم الندي بفتح النون والقصر مفعول استلمت من خير
متعلق باستلمت مستلم بفتح التاء واللام مضاف إليه [ومعنى البيتين] ما أتاني ضم واستجرت بالنبي صلى الله عليه وسلم الا كنت نائلا جوارا
عثرما ولا طلبت من فضله غنى في الدنيا بالكفاية وفي الآخرة بالسلامة الا كنت آخذاً العطاء من خير مطلوب منه فإنه لا يرد سائله.

لَا تُنْسَكِرُوا الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْهَمْ

وَذَلِكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يَنْسَكِرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَمِلٍ

الانكار الجحد والوحى ما يلقى اليه من الأحكام ورؤياه ما يراه في نومه ونوم العين فترة طبيعية تعترى الحيوان تتعطل بها حواسه ونوم القلب تعطيل القوى المدركة وذلك إشارة الى الوحى من رؤياه والبُلُوغ الوصول والمُحْتَمِل البالغ العاقل. [الاعراب] لانهية تنكر بكسر الكاف فعل مضارع وفاعله مستتر الوحى مفعول (٥٣) به من رؤياه متعلق بنسكرك ومن بمعنى فى

والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم إن بكسر الهمزة وتشديد النون حرف توكيد له خبر هام مقدم قلبا اسمها مؤخر إذا ظرف للمستقبل وفيه معنى الشرط منصوب بين نامت العينان جملة فعلية من فعل وفاعل مجرورة المحل بإضافة إذا اليها لم يتم جملة فعلية من فعل مضارع وفاعل مستتر يعود إلى قلبا لا محل لها لأنها جواب إذا وهو شرط غير جازم وذا اسم إشارة مبتدأ والكاف حرف خطاب حين منصوب باستقرار محذوف خبر المبتدأ بلوغ بالتنوين مضاف اليه من نبوته متعلق بلوغ فليس فعل ماض ناقص ينكر بالبناء للمفعول ونائب الفاعل مستتر فيه يعود الى حال فيه متعلق بينكر والضمير يرجع الى حين بلوغ والجملة خبر ليس مقدم على اسمها حال اسمها مؤخر محتمل بكسر اللام مضاف اليه [ومعنى البيتين] لا تنكر أيها المعاند وقوع الوحى اليه صلى الله عليه وسلم في منامه فإنه إذا نامت عيناه لا ينام قلبه كما صحح في حديث الصحيحين عنه أنه قال «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» ورؤياه الوحى وقت وصوله الى النبوة وذلك على رأس أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم وهذا الزمان لا تنسكرك فيه رؤيا محتمل الوحى في نومه .

حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم فإن بدء الوحى كان بالرؤيا الصالحة في النوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وقوله إن له قلبا الخ تعليل لما قبله أى إن له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة حتى إذا نامت عيناه الشريفتان لم ينام قلبه لأنه مهبط الوحى وقد شق وطهر من التعلق بغير الله وملى حكمة وإيمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن أن يخاطب ويتعلق به الوحى وقد ورد في الصحيحين إن عيني تنامان ولا ينام قلبي لا يقال بشكل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نام مع أصحابه في الوادي فلم يوقظهم الاخر الشمس لأننا نأول نظر القلب إغماها فيما غاب عن الشاهد ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت أخذت حظها من النوم [وهذا البيت والذي بعده] فائدتها الحفة من المرض من كتبها في صحيفة خمار ومحامها بشراب العرقسوس وشربهما على الريق فإنه يخف بإذن الله تعالى (قوله وذلك الخ) لما كان البيت المتقدم يوهم أن الوحى من رؤياه في النوم دائم دفع ذلك بقوله وذلك الخ واسم الإشارة راجع للوحى من رؤياه في النوم وقوله حين بلوغ من نبوته أى حين وصول الى نبوته فالبلوغ بمعنى الوصول ومن بمعنى الى والمعنى والوحى من رؤياه في النوم كائن وحاصل حين الوصول الى نبوته وحكمة ذلك الاستئناس بملافة ذلك في النوم ليطبق ذلك في اليقظة بعد إذ لوجاء في اليقظة ابتداء لأمكن أن لا يطبق ملاقاته فلما استأنس بذلك أنه في اليقظة وقوله فليس الخ تفرغ على قوله وذلك حين بلوغ الخ وينكر بالبناء للمفعول وحال محتمل نائب فاعل والضمير من قوله فيه للحين للذكور وفي بعض النسخ منه بدل فيه والضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتمل الوحى من رؤياه في النوم لأن المحتمل هو النائم وحاله ما يراه في نومه . والحاصل أن ذلك إنما كان في ابتداء النبوة وقد نبى على رأس أربعين سنة وذلك حد مبدأ النبوة وإذا كان كذلك فلا ينسكرك الوحى من رؤياه حينئذ وإن كانت مرتبته صلى الله عليه وسلم أعلى المراتب ومن مقتضى ذلك أن لا يكون الوحى إليه في النوم لأن الوحى في النوم أدنى من الوحى في اليقظة (قوله تبارك الله الخ) هذا البيت استدلال على ما قبله ومعنى تبارك الله تزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوا كبيرا وقوله ما وحى مكتسب أى ليس وحى وإن قل بمكتسب لأحد بسعيه فيه بأن يحصله بأسباب لأن اكتساب الشيء تحصيله بأسبابه التي جرت العادة

تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ يُحْتَمَلُ

تبارك أى تعالى وتعاظم والاكتساب طلب الشيء بمباشرة أسبابه التي جرت العادة الغالبة بحصوله عقبا والغيب ما لا يستبد العقل بادراكه ولا الحس ولا كلاهما والهمة الرغبة . [الاعراب] تبارك فعل جامد الله فاعله ما حرف نبي وحى اسمها بمكتسب بفتح السين المهملة خبرها ولا حرف نبي اسمها على غيب بفتح العين المعجمة متعلق بمتهم بفتح التاء خبره والباء زائدة في الموضعين [ومعنى البيت] ليس الوحى مكتسبا لنبي من الأنبياء وليس نبي بمتهم فيما يخبر به عن غيب فإن جميع الأنبياء معصومون من الرذائل

الغالبية بحصوله عقبها وإذا لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده
 فلا ينكر وقوعه في الرؤيا كما لا ينكر وقوعه في اليقظة فإن فعل الفاعل المختار
 لا يختص بحالة دون الأخرى فاللهي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبا
 خلافا لزعامي ذلك وهم الفلاسفة فانهم زعموا أنه مكتسب بالخلوة والرياضة وهو
 كفر صراح فيجب الإيمان بأن ذلك بمحض فضل الله قال تعالى الله أعلم حيث يجعل
 رسالاته ومثل الوحي الولاية فليست مكتسبة أيضا بل بفضل الله يؤتية من يشاء وقوله
 ولانبي على غيب بمتهم أي ولانبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار
 غيب أي على الإخبار بأمر غائب فهو على تقدير مضاف والغيب بمعنى الغائب وهو
 صفة لموصوف محذوف وإنما لم يكن النبي متهما على الإخبار بالغيب لأن الأنبياء عليهم
 الصلاة والسلام معصومون من الكذب كسائر المعاصي ولا يرد قوله تعالى ليغفر لك الله
 ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك ونحو ذلك لأن ما يقع منهم
 من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن المقرب أعلى درجة من البار فإذا فعل البار
 حسنة يراها المقرب سيئة ومثلا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف وأبقى عنده رغيفا
 آخر فإن هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب سيئة لكون الأولى عنده أن يتصدق
 بالرغيفين معاً وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم وإلى
 قوله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . والحاصل أن الأنبياء معصومون
 من الكبائر وصغار الحسنة باجماع ومن صغار غير الحسنة على ما عليه المحققون
 والراجح أنهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم قبل النبوة
 ولما وقع منهم محامل فأما قصة آدم وهي أنه أكل من الشجرة وقدها الله عنها فحمولة
 على أنه تأول النهي مع أنه وإن كان منها ظاهرا هو مأمور باطنا بالحكمة يعلمها الله
 تعالى فهي معصية لا كالمعاصي وأما قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل
 الصلاة وأتم التسليم هذا ربي فقد ذكره مجازاة لهم أي هذا ربي بزعمكم وغرضه بذلك
 التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما أفل قال لا أحب الآفلين فكأنه قال
 لو كان ربا لما أفل لكنه أفل فليس برب وأما ما صدر من إخوة يوسف عليه الصلاة
 والسلام فلا يرد لأنه قد اختلف في نبوتهم فعلى القول بعدم نبوتهم لا إشكال وعلى
 القول بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما أولت به قصة آدم وأما هم يوسف بزيخا فهو
 أمر جلي لا اختياري حتى يكون مذموما والرغبة في النساء محمودة إذ عدمها يدل على
 العنة وهي نقيصة ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه وذلك
 معنى قوله تعالى وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وأما قصة داود عليه الصلاة والسلام
 وهي أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوج بزوجه لما علم من حسناتها
 فأرسل الله إليه ملكين في صورة رجلين اختصا إليه إلى آخر القصة المذكورة
 في سورة ص فلا ترد أيضا لأن ما وقع منه ليس معصية لكنه غير لائق بمقامه ولذلك
 عوب عليه وبكى حتى نبت العشب من دموعه وذكر بعض المفسرين أن جماعة من
 الناس حقيقة تسوروا قصره ليقتلوه فلما رأهم خاف كما قال الله تعالى ففرع منهم وإنما

خاف لما تقرر في العرف من أنه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الاذورية فلما رآوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة لأصل لها زعما منهم أن ما قصدوه لأجلها دون ما توهمه ثم ادعى واحد منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى فقال داود في الجواب لقد ظلمك بسؤال نعجتك الخ وحمل الآية على هذه القصة أولى لأن الملائكة لا يظلم بعضهم على بعض فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اه من القسطلاني ببعض تغيير واختصار [وهذا البيت والذي بعده] فأدتهما الكتابة للمصروع بين عينيه والكتابة في خرقه زرقاء وتجعل فتيلة ويحرق طرفها بالنار وتجعل تحت أنف المصروع فتى حصل الدخان في أنف المصروع صاح فيخرج صارخا ويمحى الذي بين عينيه فيذهب الصارع ولا يعود أبدا وإذا خرج العارض فاكتب البيتين حرزا مع شيء من القرآن وعلقهما على المصاب فانك ترى العجب (قوله كم أبرأت الخ) أي كثيرا من المرات أبرأت الخ فكم خبرية بمعنى كثيرا ويميزها محذوف وقوله وصبا بكسر الصاد أي مريضا ويجوز فتح الصاد أي مرضا لكن على تقدير مضاف أي ذا مرض والأول أولى وهو مفعول لأبرأت وجعله بعضهم تميزا لكم وجعل مفعول أبرأت محذوفا وقوله باللس أي بسبب اللس وقوله راحته فاعل بأبرأت وأشار بذلك الى ما روى من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد ووقعت على وجته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له إن لي امرأة أحبها وأخشى أنها إن رأيتني على هذه الحالة قدرتني وارفع حبي من قلبها فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم عينه بيده وردّها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه ومن أن محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليها فبرأت من ساعتها ومن أن شرجيل الجعفي كانت بكفيه ساعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يبطحها بكفه حتى لم يبق لها أثر وغير ذلك من وقائع كثيرة وقوله وأطلقت أي وحلت راحته وقوله أربا بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا أي ذا أرب وحاجة وهي أعم من أن تكون عطاء أو شفاء أو خلاصا من إثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء وفسره بالمقد وقوله من ربقة اللس أي من عقدة الجنون فالربقة بكسر الراء وسكون الموحدة العقدة واللس بفتح اللام الجنون وبصح تفسيره بالذنوب والمعاصي وفي الكلام استعارة تصرّحية حيث شبه تعلق الجنون أو الذنوب والمعاصي بالإنسان بالجبل الذي فيه عرا يرتبط فيها أعناق الغنم لئلا تذهب واستعير لفظ الشبه به وهو الربقة للشبه وأشار بذلك الى ما روى من أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده المباركة صدره فنع ثمة بالثنية والعين الهملة أي قاه قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود وبرى لوقته (قوله وأحييت السنة الشهباء الخ) أي وأخصبت السنة الشهباء الخ ففيه استعارة تصرّحية تبعية لأنه شبه الاخصاب بالاحياء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الإحياء بمعنى الإخصاب

عليه وسلم فكانه لم يشكها قط وذلك كثير.

وَأَحْيَيْتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعَوْتُهُ حَتَّى حَكَتْ عُرَّةً فِي الْأَفْصَرِ الدَّهْمُ

أبرأت أي شفت وصبا بكسر الصاد أي مريضا ويفتحها المرض واللس اللس باليد والراحة بطن الكف وأطلقت أي خلصت أربا بكسر الراء أي محتاجا ومنه أرب الرجل إذا تساقطت أعضاؤه والأرب بالفتح الحاجة والربق بالكسر حبلى له عدة عرا يشد به الواحدة من العرا ربقة والجمع رباق واللهم صغار الذنوب والمراد به الجنون .

[الاعراب] كم خبرية موضعها نصب على أنها مفعول فيسه أو مطلق أي كم وقتا أو مرة أبرأت فعمل ماض وتام تأنيث وصبا بكسر الصاد الهملة مفعول به ويفتحها على حذف مضاف أي ذاوصب باللس متعلق بأبرأت راحته فاعل أبرأت وأطلقت معطوف على أبرأت وفاعله مستتر فيه يعود الى راحته أربا بفتح الهمزة وكسر الراء مفعول أطلقت ويفتح الراء على تقدير مضاف أي ذا أرب من ربقة بكسر الراء وفتح التاف بينهما باء موحدة ساكنة متعلق بأطلقت اللس بفتححتين مضاف اليه .

[ومعنى البيت] أنه صلى الله عليه وسلم ماسح براحته الشريفة على مريض الأعوفى ولاعلى من علق به داء الاخلاصه الله تعالى منه فمن الأول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم مسح على عين قتادة بعد ما عميت فردّها الله تعالى عليه فكانت أحسن عينيه ومن الثاني ما روى أن امرأة أتت بصبي لها به عاهة فمسح على رأسه فشفاه الله تعالى وما روى أن رجلا سقط من علو فانكسرت رجله فمسحها صلى الله

بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خَلَّتْ الْبِطَاحُ بِهَا سَبَبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَبَبٌ مِنَ الْقَرَمِ

أحييت من الحياة ضد المعتات والسنة واحدة السنين والشهء أى القليلة المطر سميت بذلك لغلبة بياض الأرض فيها بعدم النبات على سوادها بالنبات فهى بالنسبة الى البياض مينة وحكت أى شابهت والغرة البياض فى الجهة والأعصر جمع عصر وهو الزمان والدهم جمع أدهم وهو الأسود الشديد الزرقة والعارض (٥٦) السحاب وجاد أى كثر مطره وخلت أى ظننت والبطاح جمع

أبطح وهو الوادى المتسع المشتمل على الحصباء والسبب الجرى واليم البحر والعزم الوادى .

[الاعراب] وأحييت معطوف على أبرأت السنة بفتح السين المهملة والنون الخفيفة مفعول أحييت الشهء بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة نعت السنة دعوته فاعل أحييت حتى حرف ابتداء حكمت بفتح المهملة والكاف فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى السنة غرة بضم الغين المعجمة وفتح الراء المهملة مفعول حكمت فى الأعصر بفتح الهمزة وسكون العين وضم الصاد المهملتين متعلق بحكمت الدهم بضمهمين نعت الأعصر وصف الزمان بالسواد لبيان سوء الحال بعارض متعلق بحكمت والباء للسببية جاد بالجم والدال المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى عارض وجملة جادعت عارض أو حرف عطف وغاية خلت بكسر الخاء المعجمة وضم التاء فعل وفاعل البطاح مفعول أول بها خبر مقدم سبب بالسين المهملة وبالثناء التحتية والباء الموحدة مبتدأ مؤخر والجملة فى موضع المفعول الثانى خلت والسيب بكسر السين مجرى الماء كما قال ابن السكيت وبالفتح العطاء والمعنى هنا على الأول من اليم بفتح الياء التحتية وتشديد اليم نعت سبب أو سيل بفتح السين المهملة

أحييت بمعنى أخصبت أو استعارة بالكناية وتخيل لأنه شبه السنة الشهء بإنسان ميت تشبها مضمر فى النفس وحذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الإحياء ولا يخفى أن السنة مفعول مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهء صفة للسنة وهى قليلة المطر سميت بذلك لأنها تشبه الفرس الشهء وهى التى يغلب بياضها على سوادها وإنما أشبهتها لغلبة بياض الأرض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات وقوله دعوته أى بالسقى وقوله حتى حكمت غرة فى الأعصر الدهم غاية لقوله وأحييت الخ وغرة بالنصب على أنه مفعول لحكت وغرة كل شئ أحسنه والأعصر جمع عصر وهو الزمن والدهم بضم الدال والهاء أدهم وهو الأسود لسواد الأرض فيه بالزرع شديد الخضرة حتى يرى أنه أسود فقلت السنة كثر خصبها جدا حتى كأنها غرة فى تلك الأعصر وأشار بذلك إلى مارواه الشيخان عن أنس أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله فيشتا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم أغثنا ثلثا وما ترى فى السماء من سحاب ولا قرعة بفتح القاف والزأى أى قطعة سحاب فطلعت سحابة ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل فى الجمعة الأخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله بمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا الخ فأقلت أى انكشفت وخرجنا نمشى فى الشمس ومثل أنس أهو الرجل الأول قال لا أدري (قوله بعارض الخ) أى أحييت السنة الشهء دعوته بعارض الخ فالجار والمجرور متعلق بأحييت ويصح تعلقه بحكمت والمراد بالعارض السحاب الذى أرسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله جاد أى جاد هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفى قوله جاد نوع احتباس لأن العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتباس فى قوله وأحييت وقوله أوخلت أى أوظننت وأوبعنى الواو وإنما عبر بأو ليستقيم الوزن وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى أن ظننت كما فى قول الشاعر :

لأستسهن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال الا لصار

فأوفيه بمعنى الى والمعنى الى أن أدرك المنى وقوله البطاح بالنصب على أنه مفعول أول لقوله خلت وجملة قوله بها سبب من اليم أو سيل من العزم سدت مسد المفعول الثانى والبطاح جمع أبطح وهو الوادى المتسع الذى فيه دقاق الحصى والضمير فى قوله بها راجع

للبطاح

وسكون المنة التحتية معطوف على سبب من العزم بفتح العين وكسر الراء المهملتين

فى موضع النعت لسيل. [ومعنى البيتين] وكما أحييت دعوته السنة المحبة حتى شابهت تلك السنة بياضا فى الأزمنة السود لشدة خضرة الزرع فيها حتى يرى أنه أسود بسبب سحاب عارض جاد بالمطر الكثير الى أن ظننت الوادى المتسع ماء جاريا من البحر أو سائلا من الوادى وفى البيت الأول المجاز فى استعمال الحياة للنبات وفى البيت الثانى الجناس الناقص فى قوله سبب وسيل والتضمين وهو تعلق بعارض بحكمت فى البيت قبله .

دَعْنِي وَوَصْنِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورُ نَارِ الْقَرَى تَبْلًا عَلَى عِلْمٍ
فَالْدُرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ ٥٧

دعني أركني والوصف الثمت والآيات
العلامات والمعجزات وظهرت تبينت
والقرى بالكسر كرام الضيف والعلم
الجبل العالي على عادة العرب أنهم
يوقدون النار على رؤوس الجبال ليهتدى
بها الضيف والدر الأولو المنتظم المجتمع
في سلك ونظم الكلام ترتيبه .

[الاعراب] دعني فعل أمر وفاعل
ومفعول وصني مفعول معه وهو مصدر
مضاف الى فاعله وهو ياء التثنية
آيات بمد الهمزة وكسر التاء مفعول به
لوصفي له نعمت آيات ظهرت فعل ماض
وتاء تأنيث ظهور مفعول مطلق مبين
لنوع نار مضاف اليها وهي أيضا مضافة
القرى بكسر القاف وفتح الراء مضاف
إليه لئلا مفعول فيه على علم بفتحين
متعلق بظهور فالدر بضم الدال والراء
المهلين مبتدأ يزداد فاعل مضارع
وفاعله مستتر فيه حسنا بضم الحاء المهملة
مفعول به يزداد لأنه مطاوع زاد التعدى
لاثنين فيعندى هو لواحد والجملة خبر
المبتدأ و رابطها الضمير المستتر في يزداد
وهو منتظم مبتدأ وخبر في موضع نصب
على الحال من فاعل يزداد مرتبطة
بالواو والضمير وليس فعل ماض ناقص
واسمه مستتر فيه يعود الى الدر ينقص
فعل مضارع وفاعله مستتر قدرا مفعول
به والجملة في موضع نصب خبر ليس غير
حال من فاعل ينقص منتظم بضم الميم
الأولى وكسر الظاء المعجمة مضاف اليه .

[ومعنى البيتين] أركني مع ذكرى
علامات ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم
كظهور نار الضيافة في الليل على
جبل عال يزداد ظهورها بذكرها ويزداد حسنها بنظمها

للبطاح والسيب الجرى واليم البحر ومن الدخلة عليه ابتدائية والعزم بفتح العين
وكسر الراء في الأصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره وهو أيضا اسم لواد ومن
الداخلة عليه للابتداء وهذا مأخوذ من قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم أى سيل
الوادى الممسوك بالسد الذى بنته بلقيس وهو بناء عظيم محكم على ما ذكره أهل التفسير
والنار يخ وإيما خص اليم بالسبب والعزم بالسيل لأن ماء اليم لكثرة مجرى فى الأرض
النبطحة الى أسفل والى فوق وماء العزم غالبا إنما يقع فى أعلى الأرض فلا يجرى
الاسائلا وأوالثانية للتخبر فالمعنى أنت بالخيار فاما أن تشبه الماء الكائن على سطح
الأرض بسبب البحر وإيما أن تشبهه بسيل السد أولالتشكيك فالناظر يتشكك
فى الماء الكثير الكائن على سطح الأرض هل هو سبب من البحر أو سيل
من السد (قوله دعني الخ) لما ذكر الناظم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر
أن العدو المعاند والكافر الجاحد قال له كف عن ذكر هذه الآيات التى لانسلها
فأجابه بقوله دعني الخ كأنه يقول له كيف تنكرها ولا تسلمها وقد ظهرت ظهورا
تاماً وقوله ووصني آيات أى ذكرى لها بالنظم أخذاً بما يأتى وهو معطوف على الياء
من دعني أو مفعول معه أى أركني وذكرى آيات أومع ذكرى آيات والمراد بالآيات
المعجزات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصني وقوله له متعلق
بمحدوف صفة لآيات أى آيات كاثنة له صلى الله عليه وسلم أو متعلق بقوله ظهرت
الواقع صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف لأن الظهور لازم لكل آية من آياته صلى الله
عليه وسلم ويصح أن يكون احترازاً عما ثبت بالأحاديث فكأنه يقول للسكران لا أصف
الامالاي يمكن إنكاره لثبوت بالتواتر وأما ما ثبت بالأحاديث فلا لأنه يمكن إنكاره وقوله
ظهرت ظهور نار القرى أى ظهرت ظهوراً مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذى
هو الضيافة وقوله لئلا ظرف لظهور نار القرى وقوله على علم أى على جبل وقد جرت
عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل ليهتدى الضيفان الى منازلهم
والتنكير فى الليل والعلم للنوعية أى لئلا حالكا أى شديد السواد على علم شامخ أى
مرتفع أوللعتظيم (قوله فالدر الخ) لما كان قد يقال إذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم
ظهرت ظهور نار القرى لئلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم أجاب بأنها
وإن كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهوراً تاماً يزداد ظهورها بذكرها ويزداد
حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها مثورة لأنه ذاتى لها فلا يفارقها سواء كانت ثرا
أو نظماً نعم ما يحصل من زيادة الالتئاذ بسماعها منظومة ينقص مع الاخبار بها مثورة
لأن ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف واستدل على ذلك بأمر محسوس يدرك
فيه ما ذكر بقوله فالدر الخ أى فالدر العلوم حسنه وهو الأولو يزداد حسنا والحال أنه
منتظم فى السلك لترتيبه وتنزيله فى النازل التناسبه وليس ينقص قدرا حال كونه غير
منتظم لأن حسنه ذاتى له فلا يفارقه سواء كان منظوما أو غير منظوم نعم الحسن

(٨ - باجورى - برده)

ولا ينقص قدرها إذا لم ينظم كالسرفاته إذا نظم يزداد حسنا وإذا لم ينظم لا ينقص قدره .

تطاول الى كذا طلب الوصول اليه ومد عنقه ينظر الى الشيء البعيد والآمال جمع أمل وهو الرجاء والمدح الثناء الحسن والأخلاق جمع خلق بضمين وهو ما جبل عليه الشخص والشيم جمع شيمة وهي القرينة والطبيعة . [الاعراب] فما استفهام استبعادى في موضع رفع بالابتداء تطاول بضم الواو واللام خبره آمال بعد الهمة مضاف اليه من إضافة المصدر الى فاعله المدح بالجزم مضاف اليه آمال وفي نسخة آمالي بالإضافة الى ياء التكلم ونصب المدح إما بآمال وإما بنزع الخافض وكل منهما غير مقبس أما الأول فلان المصدر لا يعمل مكسرا وأما الثاني فلان النصب بنزع الخافض موقوف على السماع مع غير أن وأن وكى الى ما متعلق بتطاول وما موصول اسمي فيه صلة والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم من كرم بيان لما متعلق بما تعلق به المجرور قبله الأخلاق بفتح الهمة مضاف اليه والشيم بكسر الشين العجمة وفتح الياء التحتية معطوف على الأخلاق عطف مؤكدا على مؤكدا .

[ومعنى البيت] إذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم لا يدرك لها غاية فكيف تصل آمال المادحين الى ما فيه صلى الله عليه وسلم من استقصاء مكارم الأخلاق والشيم التي جبل عليها : آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةُ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ آيات جمع آية من القرآن محدثة أى إزالتها أخذاً من قوله تعالى وما يأتينهم

الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علت من أن ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تمييز محمول عن الفاعل والتقدير في الأول يزداد حسنه وفي الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر أن الواو في قوله وهو منتظم واو الحال وأن قوله غير منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم الاحتراس الرفع لما يتوهم من أن ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم (قوله فما تطاول الخ) لما كان قوله دعوى ووصفى الخ قد يوهم أن آماله تطاولت بالمدح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل أن ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالى فاعل والمدح منصوب بنزع الخافض والمعنى على هذا فلم تتطاول آمالي بالمدح الصادر منى الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم لعلى باليأس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل أن ما استفهامية فتكون للاستفهام الإنكارى وهي مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع على أنه خبر ما الاستفهامية فإنها مبتدأ كما علت وآمالى مضاف إليه والمدح منصوب بنزع الخافض مثل مامراً على الوجه الأول والمعنى على هذا فما فائدة تطاول آمالي بالمدح الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لا تنهاى وما ذكرناه من أن المدح منصوب بنزع الخافض على النسخ التي فيها آمالي بالإضافة لياء التكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفي بعض النسخ آمال بلا ياء وعليه شرح القسطلانى وجعل المدح مجروراً لأنه مضاف اليه لكن على تقدير مضاف أى آمال صاحب المدح والتطاول في الأصل مد العنق والآمال جمع أمل وهو الرجاء وقد شبه الآمال بذي عنق يتطاول أى يمدّ عنقه الى ما يريد ادراكه تشبيها مضمر في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمى اليه بشيء من لوازمه وهو التطاول ففي كلامه استعارة بالكناية وتخيل والمدح هو الثناء الحسن وقوله الى ما فيه أى الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الأخلاق والشيم بيان لما فيه والإضافة في ذلك من إضافة الصفة للموصوف أى من الأخلاق والشيم الكريمة والأخلاق جمع خلق بضمين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهي الخلق بضمين فعطف الشيم على الأخلاق من قبيل عطف المرادف وهو في مقام المدح سائغ وأيضاً قد يكون كرم الأخلاق عن استعمال وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكأنه قال كرم أخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طباعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير أن يكون طبيعة [وهذا البيت الى آخر قد تنكر العين خاصيتها] لمن كان لا يحسن العبادة ولمن كان ألسن لا تستقيم له حجة فليكتب هذه الآيات في صحيفة غفار بماء ورد وزعفران ويحجها ويشرها عند إرادة النوم وقيامه من النوم فإنه يصير فصيح اللسان وتقوى حجه ويزقه الله القوة على العبادة بإذن الله تعالى (قوله آيات حق الخ) أى من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ وآيات مبتدأ خبره مقدر قبله وهو الجار

والجرور

من ذكر من الرحمن محدث أى أزاله قديمة أى قائمة بذاته تعالى والقدم .

ضد الحدوث والوصوف بالقدم هو الله تعالى لأنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية [الاعراب] آيات حق مبتدأ ومضاف اليه

من الرحمن خبر أول محدثة قديمة خبر ثان وثالث وتميزهما محذوف أي محدثة انزالا وقديمة معنى صفة الموصوف خبر رابع ومضاف اليه ومن منع تعداد الخبر قدر لكل خبر ماعدا الأول مبتدأ محذوف (٥٩) بالقدم بكسر القاف وفتح الدال متعلق بالموصوف .

[ومعنى البيت] آيات حق كائنة من الرحمن محدثة النزول قديمة المعاني لأنها صفة الموصوف القديم والقديم لا يوصف بمحدث وفيه رد العجز على الصدر في قوله قديمة صفة الموصوف بالقدم .

لَمْ تَقْتَرِنْ بَرَمَانَ وَهَى تَحْبِيرُنَا
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنِ عَادٍ وَعَنِ إِرَمِ
الاقتران المصاحبة والمعاد عود الخلق بعد إعدامه وعاد قبيلة سميت باسم أبيها وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاش ألف سنة ومائتي سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا . وارم مدينة بناها شداد بن عاد وسبب بنائها أنه سمع بوصف الجنة وما فيها فقال لا بد لي أن أبني مثالا فيها في ثلثمائة سنة وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا جارية وأصنافا من الشجر وعند كل لها رحل إليها بأهل مملكتها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهاكوا قبل وصولهم إليها .

[الاعراب] لم تقترن بالناء الفوقية فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود إلى آيات حق على تقدير حال محذوفة بزمان متعلق بتقترن والتقدير لم تقترن الآيات حال كونها قديمة بزمان وهي تخبرنا مبتدأ وخبر عن المعاد وعن عاد

والجورور وإضافة آيات لحق من إضافة الموصوف للصفة أي آيات موصوفة بأنها حق وجميع ماسيئتي إلى قوله في البيت الثاني عشر وكلما كان معدلة صفات للآيات وما يقع بين الصفات من متعلقاتها ومقصود المصنف بالذات مدح النبي صلى الله عليه وسلم لكن لما ذكر أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم الآيات الحق التي هي القرآن استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن أي من عند الرحمن لا من عند محمد كما زعمه كفار قريش وقوله محدثة أي أحدثها الله تعالى كما جاء في التنزيل قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين وقال تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون وفي بعض النسخ محكمة بدل محدثة وقد جاء بها التنزيل أيضا قال تعالى كتاب أحكمت آياته وقوله قديمة استشكل بأنه يناقض قوله محدثة على النسخة الأولى لأن الشيء لا يكون محدثا وقديما معا والا أدى إلى اجتماع التقيضين وهو محال . وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ قديمة . باعتبار المعاني فهي محدثة قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد حتى يؤدي إلى اجتماع التقيضين وهذا الجواب مبنى على أن الألفاظ التي تقرأها تدل على الكلام القديم الذي هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قال السنوسي وغيره من المتقدمين لكن ناقش في ذلك العلامة ابن قاسم واختار أنها تدل على معنى مساو للمعنى الذي تدل عليه الصفة القديمة مثلا أقيموا الصلاة يدل على طلب إقامة للصلاة وبحيث لو كشف عنا الحجاب لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن أن يكون المراد أن هذه الألفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفي لا العقلي لأنه يلزم عرفا من أن يكون له تعالى كلام لفظي بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ أن يكون له كلام نفسي فإن كل من أسند له كلام لفظي لزم عرفا أن يسند له كلام نفسي إذ هو يدل عليه كما قال الاخطل :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

وبهذا كله ظهر قوله صفة الموصوف بالقدم فليس المراد أن الألفاظ التي تقرأها صفة للموصوف بالقدم الذي هو الله تعالى لأنها حادثة بل المراد أن معناها صفة له تعالى وهو مبنى على مامر والافعال التي تقرأها منه ما هو قديم كدلول قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحى القيوم ومنه ما هو حادث كدلول قوله تعالى إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجمل في هذه المسئلة نزاع طويل . والحاصل أن الألفاظ التي تقرأها لها دلالتان دلالة بالوضع وهي التي اعتبرها العلامة ابن قاسم فإن المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذي تدل عليه الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي وهي التي اعتبرها السنوسي وغيره من المتقدمين فإن المدلول بهذه الدلالة هو الصفة القديمة فكل من السلكين صحيح كما في حواشي الكبرى (قوله لم تقترن إلخ) أي لأنها قديمة من حيث معناها على ما فيه فمدلولاتها قديمة على

وعن إرم بكسر الهمزة وفتح الراء متعلقات بتخبرنا [ومعنى البيت] أن هذه الآيات القديمة لم تقترن بزمان وهي مشتملة على الاخبار عن المعاد قال الله تعالى - وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده - وعن عاد قال تعالى - وإلى عاد أخاهم هودا - الآيات وعن إرم قال الله تعالى - ألم تركب فعل ربك بعاد إرم - الآية ، وفيه الجنس الناقص بين قوله للمعاد وعاد .

ما علمت والزمان حادث والقديم لا يقترب بالحادث لأنه لو اقترن به لكان حادثا وقوله
وهي أي هذه الآيات وقوله نخبرنا عن المعاد أي عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد
بمعنى عود الخلق الى الله تعالى في الدار الآخرة بعد انعدامهم في دار الدنيا وذلك
كقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده
وقوله وعن عاد أي ونخبرنا عن قبيلة عاد التي بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام
وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
الآية وسميت هذه القبيلة باسم أيها وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وكان
عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة
وكان كافرا يعبد القمر ثم إنه يقال للاولين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم عاد الأخرى
ويقال لهم أيضا إرم تسمية لهم باسم جدتهم إرم وقيل إن إرم اسم أرضهم وبلدتهم
التي كانوا فيها وقيل إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب
في صحن عدن لما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة
وأساطينها أي أعمدتها من الزرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا مطردة وأصنافا من
الشجر وأتم بناءها في ثلثمائة سنة وعند كمالها ارتحل اليها بأهل مملكته فلما كان
منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم وقد أظنبت
المؤرخون في صفاتها وهذا خلاصة خبرها وقوله وعن إرم بكسر الهمزة رفح الراء
المهملة أي ونخبرنا عن إرم وذلك كقوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات
العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد عرفت إن إرم تسمى عادا الأخرى وإرم في الآية
عطف بيان على عاد أي إرم غير عاد الأولى لكن قضية سياق الآية أن المراد بإرم
البلد وهو أحد الأقوال السابقة وإنما كرر المصنف عن في الثلاثة لأنها أنواع مختلفة
فلا يحسن جمعها في واحد ولأن لكل أخبارا تخصه وقيل كررها للوزن وحسنه
أن مقام المدح يحسن فيه الاطناب (قوله دامت لدينا الخ) أي استمرت عندنا
فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وسلم
وقوله إذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين أي إذ جاءت عنهم
ولم تستمر بل لم تظهر على أيديهم الامرة واحدة وذلك حين التحدى ثم لم تظهر بعد
ذلك واليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من
الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا يلى وهو باق على الدوام
وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب
أن تكون معجزته كذلك والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى وهو
دعوى النبوة أو الرسالة وهي مأخوذة من الاعجاز لأنها تعجز الخصوم عن أن يأتوا
بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارق للعادة فقال :

إذا ما رأيت الامر يخرق عادة فمعجزة إن من نبي لنا صدر
وإن بان منه قبل وصف نبوة فالأرهاص معه تتبع القوم في الأثر
وإن جاء يوما من ولي فانه الشكرامة في التحقيق عند ذوى النظر

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ
دامت أي بقيت ولدينا عندنا وفاقت
أي غلبت والمعجزة أمر خارق للعادة
مقرون بالتحدى وجاءت أي أتت
ولم تدم أي لم تبق .

[الاعراب] دامت فعل ماض تام
وفاعله مستتر فيه يعود على آيات لدينا
متعلق بدامت ففاقت معطوفة على دامت
كل معجزة مفعول فاقت ومضاف اليه
من النبيين نعت معجزة إذ بسكون
الدال المعجمة علة لفاقت وهل هي حرف
أو ظرف قولان جاءت فعل ماض وفاعله
مستتر فيه يعود إلى كل معجزة والتأنيث
باعتبار المضاف اليه ولم تدم جملة فعلية
حال من فاعل جاءت المستتر فيه ،

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات من
معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي باقية
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فهذه
المعجزة فاقت جميع معجزات الأنبياء
لأن معجزاتهم التي جاءوا بها لم تبق بعد
وفاتهم وهذه باقية الى يوم القيامة

قول العرب في الصحيفة بعد تبقيين
وتغني بالبناء الفوقية فيهما هو المشهور
وصوابه بالتحية إذ لا يجمع بين التاء
والنون في الية لئلا يجمع علامتا تأنيث
انظر شرح المراح اه

مَحْكَمَاتٍ فَمَا تَبَيَّنَ مِنْ شَبَهٍ لِنَدَى شِقَاقٍ وَمَا تَبَيَّنَ مِنْ حَكَمٍ

محكمات يحتمل أن يكون من الحكم أى جعلت حاكمة باعتبار أن الأحكام تؤخذ منها أو من الحكمة أى جعلت حكيمة لاشتهارها على الحكم أو من الإحكام أى جعلت محكمة بحيث لا تحتمل النسخ (٦١) والتبديل والتناقض أو من الحكمة بفتحيتين

أى جعلت ممتعات محفوظات من التحريف فماتبين أى لما تركن من شبه جمع شبهة وهى التلبس وذى بمعنى صاحب والشقاق الخلاف وتبين تطلبين والحكم بفتحيتين الحاكم .

[الاعراب] محكمات نعت آيات فما حرف نى تبين بضم التاء الفوقية وكسر القاف فسل وفاعل والضمير للآيات من زائدة لاتعلق بشيء شبه بضم المعجمة وفتح الموحدة مفعول تبين لنى بكسر اللام والذال المعجمة جار ومجرور متعلق بشبه شقاق مضاف اليه وما نافية تبين بفتح التاء الفوقية وسكون الموحدة وكسر الغين المعجمة معطوف على تبين من زائدة لاتعلق بشيء حكم بفتحيتين مفعول تبين.

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات محكمة حاكمة ناصرة أهل الحق مزيلة شبه أهل الضلال فما يبقى بها شبهة لصاحب خلاف وماتطاب حا كما يحكم على مخالف الحق لظهور براهينها عليه، وفي البيت جناس الاشتقاق ورد العجز على الصدر فى قوله محكمات وحكم . وفى قوله تبين وتبين الجناس المحرف .

مَاحُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ
أَعْدَى الْأَعَادَى إِلَيْهَا مُلْقَى السَّلَامِ
ماحوربت أى عورضت قط ظرف
لاستراق الماضى وعاد أى رجع والحرب

بفتح الراء السلب من قولهم حربت الرجل حربا سلبته والمراد هنا الشدة أعدى الأعادى أى أشد حرصا على المعادة والأعادى جمع أعداء وأعداء جمع عدو فهو جمع الجمع والسلب بفتحيتين الاستسلام والاقتياد . [الاعراب] مانافية حوربت بضم الحاء المهملة وكسر الراء فعل ماض مبنى للمفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه يعود الى آيات قط بفتح القاف وضم الطاء المشددة متعلق بحوربت لإحرف بإيجاب عاد بالعين والذال المهملتين فعل ماض من حرب بفتح الحاء والراء المهملتين متعلق بعاد ومن

وان كان من بعض العوام صدوره فكأنه حقا بالمعونة واشتهر ومن فاسق إن كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر والافيدعى بالاهانة عندهم وقد نعت الأقسام عند الذى اختبر وزاد بعضهم السحر وقيل إنه غير خارق لأنه معتاد عند تعاطى أسبابه (قوله محكمات الخ) أى والآيات المذكورة محكمات الخ ومعنى محكمات متقنات النظم فى البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله فدل ذلك على أنها من عند الله قال تعالى وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه أو أن معنى محكمات ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف لأن الله أحكمها أى أى بها ذات حكمة وكسرهما لأنها دالة على الحكمة قال تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشري أى ذى الحكمة لأنه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم بمجرد سماع ما يتضمن المعانى الكثيرة من بعض آيات القرآن فى ألفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه لأن مثل ذلك لا يمكن أن يكون من كلام البشر وقوله فما تبين من شبه لنى شقاق بضم التاء من تبين لأنه من أبى أى فما تركت تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب شقاق وهو الكافر لأنه مشاق الدين إذ هو فى شق والإسلام فى شق بل تزيلها فن زائدة فى المفعول والشبه جمع شبهة وهى ما يظن دليلا وليست بدليل وإن شئت قلت كلام مزخرف الظاهر فاسد الباطن والشقاق المخالفة للحق . والحاصل أن الكافر إذا ادعى أمرا مخالفا للحق وأقام عليه شبها كان القرآن هادما لتلك الشبه ومزيلا لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وإنما قال من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد وإن كان المقرر أن عموم المفرد أشمل فإنه إذا اتنى الواحد اتنى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نى الجمع فإنه لا يستلزم نى الواحد تنبيها على أن طرق الباطل شق فكأنه يقول إن هذه الآيات لا تبين شيئا من أنواع الشبه الكثيرة المختلفة الأنواع فما من أحد تعرض له شبهة الا ويحمد شفاء منها فى القرآن فإنه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الأدوية وقوله وماتبين من حكم بفتح التاء من تبين أى ولا تطلبين حكما بفتحيتين يعنى حا كما يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه فن زائدة فى المفعول كالتي قبلها فهى زائدة فى الموضعين كما أن مانافية فى الموضعين (قوله ماحوربت الخ) أى ماحورب الآتى بها وهو النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمن الماضى الا كان النبى صلى الله عليه وسلم

مضاف إليه اليها متعلق بعاد والضمير
للآيات ملقى بضم الميم وسكون اللام
وكسر القاف حال من فاعل عاد السلم
بفتح السين المهملة واللام مضاف إليه
[ومعنى البيت] أن هذه الآيات
معارضها معارض إلا رجوع من الشدة
مستسلما متقادا لعجزه عن معارضتها
وفي البيت جناس الاشتقاق في موضعين
في حوربت وحرب وفي أعدى
والأعدى .

رَدَّتْ أَلَاغَتَهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الْغَيُورُ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
ردت أى صرفت والبلاغة في الكلام
مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته
والمعارضة الإتيان بالمثل والغيور صيغة
مبالغة من الغيرة والجاني من الجنابة
يقال جنى عليه جناية أى فعل به
مكروها والحرم أهل الرجل واحدا
حرمة والحرمة ما لا يحل انتهاكه .

[الاعراب] ردت بلاغتها فعل
وفاعل دعوى مفعول معارضها مضاف
إليه رد مفعول مطلق تشبيهى أى ردا
مثل رد الغيور بفتح الغين المعجمة وضم
الياء التحية مضاف إليه من إضافة
المصدر إلى فاعله يد مفعول رد الجاني
بالجيم والنون مضاف إليه عن الحرم بضم
الحاء وفتح الراء المهملة متعلق برد .
[ومعنى البيت] أن بلاغة هذه الآيات
ردت من يعارضها عن معارضته ردا
شديدا كرد الفعل الغيور يد الجاني
عن حرمه .

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَنُفُوقِ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

هو الغالب ورجع أشد الأعادى عداوة اليها ملقى السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم
إما بدخوله في الإسلام وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها فاستناد المحاربة إليها
مجاز لأن المحارب الآتى بها لاهى ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى
ما عورضت في الزمن الماضي بأن أراد أحد أن يأتي بمثلها بحسب ظنه الأعجز وعاد
إليها أشد الأعادى عداوة مستسلما متقادا من أجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة
بالمحاربة بجامع عدم الاقياد في كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت
بمعنى عورضت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن
الماضى وعاد من أخوات كان فرفع الاسم وتنصب الخبر فأعدى الأعادى اسمها وملقى
السلم خبرها واليها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب ومن فيه للتعليل فهى بمعنى من
أجل وذ كر بعضهم أنها للابتداء وحقيقة الحرب بفتحتين سلب المال لكن المراد به
هنا الشدة أى شدة بلاغتها مجازا من باب اطلاق اسم للزوم وإرادة اللزوم لأنه
يلزم من سلب المال الشدة ويحتمل أن المراد به سلب الحجة التى هى كمال لأن
الشخص يخاف على حجته أن تدحض وتضمحل فيفتضح كما يخاف على ماله ومعنى
أعدى الأعادى أشد الأعادى عداوة والأعدى جمع أعداء وهو جمع عدو فالأعدى
جمع الجمع ومعنى السلم بفتحتين السلاح أو الاستسلام والاقبياد وفي التنزيل وألقوا اليكم
السلم أى الاستسلام والاقبياد (قوله ردت بلاغتها الخ) أى أبطلت بلاغتها دعوى
معارضها الإتيان بمثلها ابطلا مبالغا فيه فإذا ادعى المعارض الإتيان بمثلها في ظنه
أبطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيمة الكذاب حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة
وأراد أن يأتي بقرآن يشبه القرآن فقال في معارضة سورة النازعات والطاحنات
طحنا والعاجنات عجننا والحازنات خبزنا فافتضح لبارك الله فيه . والبلاغة هى المطابقة
لمقتضى الحال مع الفصاحة التى هى الخلو من الحشو والتعقيد والغرابة وقوله رد
الغيور أى ردا مثل رد الشخص الغيور الذى هو شديد الغيرة على النساء والإضافة
في ذلك من إضافة المصدر لفاعله وقوله يد الجاني مفعول للمصدر الذى هو الرد وقوله
عن الحرم متعلق بالمصدر المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة
فكونه غيورا يقتضى أن رد ويدفع يد الجاني عنهم وإن لم يكن من محارمه بمقتضى
طبعه فكيف رده يد الجاني عن حرمه هو كأمراته وأخته وغيرهما فرده عنها أشد
من رده عن غيرها وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله
بسبب ما شتمل عليه من البلاغة التى لم يصلوا إليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس
مقدورهم وهو قول الجمهور والقول الثانى أنه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى
صرفهم عن الإتيان بمثله ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو أدخل في الإعجاز لأن
عجزهم عما هو من جنس مقدورهم أدخل في قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو
ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه أن إعجاز القرآن ليس بنفسه بل بالصرفة
فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الأول (قوله لها معان الخ) أى لتلك الآيات
معان كثيرة لانهاية لها بل يد بعضها بعضا كما أشار إليه بقوله كموج البحر في مدد

قَمَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصِي عَجَائِبَهَا

وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

المعاني جمع معنى وهو ما يراد من اللفظ والموج الاضطراب والمدد الزيادة والقيم جمع قيمة وهو ما يرغب به من ثمن اللؤلؤ والعجائب جمع عجيبة وهو الشيء العديم النظير ولا تسام أى لا توصف والإكثار الكثير الذى لا غاية له والسام الملالة .

[الاعراب] لها خبر مقدم والضمير للآيات معان مبتدأ مؤخر كوج نعت لمعان البحر مضاف اليه فى مدد بفتحتين متعلق بالكاف لما فيه من معنى التشبيه وفوق معطوف على نعت معان جوهره مضاف اليه فى الحسن بضم الحاء وسكون السين المهملتين متعلق بمحل الظرف والقيم بكسر القاف وفتح الياء التحتية معطوف على الحسن لما حرف نفي تعد بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة فعلى مضارع مبني للمفعول ولا تحصى بالبناء للمفعول معطوف على تعد عجائبا نائب فاعل تحصى ونائب فاعل تعد مستتر فيه يعود على المتنازع فيه وهو عجائبا ولا تسام بضم الفوقائية وفتح المهملة من غير همزة معطوف على تعد ونائب فاعله مستتر فيه يعود على آيات على الإكثار بكسر الهمزة بالسام بفتح السين المهملة المشددة والهمزة المخففة متعلقان بتسام .

[ومعنى البيتين] أن هذه الآيات معانيها كثيرة كوج البحر مددا وفوق جوهره حسنا وقيمة ومسح كثرتها لا توصف بالملالة وعجائبا لا تعد ولا تحصى .

أى مثل موج البحر فى كونه بمد بعضه بعضا إذ ما من موج إلا وبهدها موجة وهكذا وأشار بذلك الى قول بعضهم أقل ما قيل فى العلوم التى فى القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم وما حكى عن بعضهم من أنه قال لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقول على كرم الله وجهه لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين ويظهر وجه ما قاله رضى الله عنه من خمسة كنوز الأول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه الى بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة وما يليق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم على جميع أنواعه وأعداده الثانى معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج فى ضمن ذلك الى بيان جميع الأسماء الثالث معنى ملك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم وما فيه من المواطن والأحوال الرابع معنى إياك نعبد وإياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفاتها وأدائها على اختلاف أنواعها والعايد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وأنواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمفضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وقوله وفوق جوهره فى الحسن والقيم عطف على قوله كوج البحر فى مدد أى ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر فى حسنها البديع وفى قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب على الظرفية وإن كانت مجازية ونحوه فى التنزيل قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم والضمير فى جوهره للبحر والراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازا لأنها فى الأصل ما قطع به المقومون وبذلك اندفع ما قد يقال إن معانيها قديمة على ما تقدم والقديم لا يوصف بأن له قيمة ووجه الاندفاع أن المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الأصلى وفى هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو أن يدخل شيئين فى معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد أدخل هنا معانى القرآن والبحر فى المدد والكثرة ثم فرق بينهما بأن حسنهما وقدرهما يزيدان على حسن جوهره وقيمه (قوله فلا تعد ولا تحصى الخ) هذا البيت مفرع على البيت قبله فالشطر الأول مفرع على الشطر الأول والثانى على الثانى وقوله عجائبا أى معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهو الشيء العديم النظير أو قليله وقوله ولا تسام بضم التاء وفتح السين المهملة بعدها ألف لينة وفى آخره ميم أى لا توصف وقوله على الإكثار أى مع الإكثار منها الذى لا غاية له فعلى بمعنى مع وقوله بالسام بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة أى اللال والجار والمجرور متعلق بتسام . وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كوج البحر فى الكثرة التى لا غاية لها وفوق جوهره فى الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك أنها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم تنهاها ولا توصف باللال مع الإكثار منها لحسنها فقيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف باللال مع الإكثار

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ ظَنَرْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ فَأَعْتَصِمَ
 ٦٤ إِنْ تَقَلَّهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّمِ

قوت أى بردت بالسرور وزاد نورها والظفر الفوز وبحبل أى بسبب يوصلك الى دار كرامته فاعتصم أى استمسك به والتلاوة القراءة والخيفة الخوف ولظى جهنم وهو اسم من أسماء النار ووردها موردها والشيم البارد .

[الإعراب] قوت بفتح القاف وتشديد الراء المهملة فعل ماض وتاء تأنيث ساكنة بها متعلق بقوت والضمير لآيات عين فاعل قوت قاريها مضاف اليه ققلت بضم التاء فعل وفاعل له متعلق بقلت والضمير للقاري، لقد حرف تحقيق ظفرت بفتح الظاء فعل وفاعل والجملة جواب قسم محذوف بحبل بالحاء المهملة والباء الموحدة متعلق بظفرت الله مضاف اليه فاعتصم فعل أمر وفاعل إن حرف شرط تتلها فعل الشرط وهو محذوم لأن علامة جزمه حذف الواو خيفة بكسر الحاء المعجمة مفعول لأجله من حر بالحاء المهملة متعلق بخيفة نار مضاف إليها ومضافة لظى بالمعجمة مضاف إليها أطفأت بفتح التاء فعل ماض وفاعل جواب الشرط حر مفعول أطفأت لظى بالمعجمة مضاف إليها وهو من إقامة الظاهر مقام الضمر من وردها بكسر الواو وسكون الراء متعلق بأطفأت الشيم بفتح المعجمة وكسر الموحدة نعت وردها .

[ومعنى البيتين] أن هذه الآيات قوت عين تاليها بسببها ققلت له والله لقد قوت من الله تعالى بسبب يوصلك الى دار

منه فيعمل مع التردد ويعادى إذا أعيد بخلاف آيات القرآن كما ورد في الحديث فقارها لا يعلمها وسامعها لا يجهها بل الاكباب على تلاوتها يزيد بها حلاوة ويوجب لها حبة وطلاوة (قوله قوت بها الخ) أى سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قاريها بأبدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فإن عين الحزين تكون مضطربة وعين السرور تكون ساكنة فقوت من القرار بمعنى السكون وقيل من القربض القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارها والضمير المضاف اليه عائد على الآيات التى هى الألفاظ إن فسر قاريها بتاليها فإن فسر بقاصدها من قرأت اليه أى قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعنى وقوله ققلت له أى فلما قوت عينه بقراءة ألقاظها أوبقصد معانيها قلت لقارها بمعنى تاليها أوقاصدها وقوله لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم أى والله لقد قوت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصريحية مرشحة لأنه شبه القرآن بالحبل بجامع أن كلا سبب يتوصل به الى الأشياء فالقرآن يتوصل به الى ثوابه والحبل يتوصل به الى أمور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبّه وذكر الاعتصام ترشيح لأنه يناسب المستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية مرشحة لأنه شبه فيه الإيمان بالعروة واستعيرت العروة للإيمان والاستمسك ترشيح لأنه يناسب المستعار منه (قوله إن تتلها الخ) أى إن تقرأها الخ وقوله خيفة أى خوفا فيكون مفعولا لأجله أوثاقا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى أى التى هى جهنم وقوله أطفأت الخ جواب الشرط وقوله نار لظى فيه إظهار في مقام الإضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون الراء أى من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورد وهو المحل الذى يورد منه الماء وقوله الشيم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة أى البارد وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمرافى النفس بجمع الحياة بكل إذ الماء به حياة الأشباح والآيات بها حياة الأرواح أو بجامع إطفاء الحرارة بكل فالماء يطفى حرارة العطش والآيات تطفى حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الورد والشيم ترشيح لأنه يناسب المشبه به . وحاصل المعنى إن تقرأها خوفا من حر نار لظى أوثاقا منه أطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من أجل موردها البارد والشاهد لذلك ما فى مسلم اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيها لأصحابه (قوله كأنها الحوض الخ) أى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه مجاز بالحذف أو أنه عبر باسم المحل وأراد الحال

كرامته فاستمسك به وإنك إن قتلها خوفا من نار جهنم أطفأت أنت حرها من وردها البارد شبه الآيات بالماء لأنها سبب

حياة الأرواح كما أن الماء سبب حياة الأشباح فجعل موردها وهو النعم كافي في الاطفاء وفى البيت الجنس الشبيه المشتق في قوت وقاريها

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُ الْوُجُوهُ بِهِ مِنَ الْعَصَا وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحَمَمِ

الحوض المراد به الكوثر والعصاة جمع عاص ضد المطيع والحم جمع حممة وهي جرة انطفأت نارها وبقيت حممة مسودة والقسط العدل والصراط جسر منصوب على متن جهنم والميزان ما يوزن به أعمال السالكين والويزان جبريل والناس اسم جمع انسان والإقامة الدوام ، [الاعراب] كأنها حرف تشبيه وضمير الآيات اسمها الحوض بالحاء المهملة والضاد المعجمة خبرها تبيض الوجوه فصل وفاعل حال من الحوض به متعلق بتبيض وهو رابط الحال صاحبها من العصاة حال من الوجوه وقد حرف تحقيق جاءوه فعل وفاعل ومفعول حال من العصاة والرابط الواو والماء للحوض كالحلم بضم الحاء المهملة وفتح الهم الأولي في موضع الحال من جاءوه فهي حال متداخلة وكالصراط وكالميزان معطوفان على خبر آيات حق أول البيت الحادي عشر من الآيات قبله معدلة تميز بالقسط بكسر القاف مبتدأ من غيرها في الناس متعلقان بيقم لم يقم بضم الياء وحكسر القاف خبر القسط ،

[ومعنى البيتين] كأن الآيات في تبيض وجوه القارئ لها كحوض الكوثر في تبيض وجوه العصاة به إذا جاءوه كالفحم الأسود فبهر بالوجوه عن الدوات وبينها بالنصاة وعن الماء بالحوض لأنه محله وإنما آيات حق مستقيمة عادلة كالصراط في الاستقامة وكالميزان في العدل الدائم فالعدل من غيرها من الكتب لم يدم في الناس بل نسخ

به فيكون فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق أو بمعنى الماء على ما علمت وقوله الوجوه أى ذوو الوجوه فهو على تقدير مضاف وأنه عبر بالوجوه عن الدوات من باب التعبير باسم الجزء وإرادة الكل وقوله به أى بالحوض وقوله من العصاة أى حال كونهم بعض العصاة فمن التبعض ويحتمل أنها بيانية وقوله وقد جاءوه الخ أى والحال أنهم قد جاءوه الخ فالواو للحال والضمير الفاعل راجع للعصاة والضمير للمفعول راجع للحوض وقوله كالحلم أى حال كونهم كالحلم بضم الحاء المهملة وفتح الهم الأولي أى مثل الفحم فالحلم جمع حممة بمعنى حممة ووجه تشبيهها بالحوض للذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه بشفاعتها كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد عيبتهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار فيه فيعودون أيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة وممراده بالحوض نهر الحياة لأن تلك صفته لما في الخبر من اغتسال الجهنميين في نهر الحياة في خبر الصحيحين فيخرجون منها أى من النار فيلقون في ماء الحياة وفي رواية فيصب عليهم ماء الحياة وفي هذا البيت التليخ للخبر السابق (قوله وكالصراط الخ) أى وهذه الآيات كالصراط استقامة وإعما حذف ذلك أعنى استقامة لدلالة المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الحق أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف أو واسع في حق ناس ضيق في حق آخرين على الخلاف في ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر أعمالهم فإنه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من أبعاض الثلاثة لا بالنسبة لجلته لأنه قد ورد أنه ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط وقوله وكالميزان معدلة أى وكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدلا تميز فإن قيل ليس من لوازم الميزان العدل . أجيب بأن أل في الميزان للعهد والمعهود هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة ومن لوازمه العدل أو المعهود هو الميزان المستقيم ولو كان في الدنيا وليست للاستغراق في شمل كل ميزان وقوله فالقسط من غيرها في الناس لم يقم أى فالقسط بكسر القاف الذي هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقم في الناس . فإن قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم في الناس كالمأخوذ من السنة أو الإجماع أو القياس . أجيب بأن ذلك مأخوذ منها أيضا أما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وأما المأخوذ من الإجماع والقياس فلأن مستندهما الكتاب والسنة والمراد بالناس الخصوص والالزم أن لا يكون في أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل (قوله لا تعجب الخ) لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصا قال له طي وجه التعجب إذا كانت الآيات بالمثزلة التي وصفت فكيف أنكرها كثير من الكفار فقال له لا تعجب الخ أى لا ينبغي العجب لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب وهنا قد ظهر السبب وهو الحسد فإنه هو الذي دعاه الى

العجب الاستعظام والحسود الذي يتعنى زوال النعمة عن غيره سواء وصات إليه أم لا وراح ينكرها أى ذهب يحجدها والتجاهل أن يظهر الجهل من نفسه وليس عنده والحاذق الناهر والفهم الكثير الفهم والرمد داء يصيب العين والسقم للرض .

[الاعراب] لاحرف نهى تعجبين بسكون النون الخفيفة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا لحسود بكسر اللام وفتح الحاء وضم السين المهملتين متعلق بتعجبين راح نعت حسود ينكرها حال من فاعل راح المستتر فيه تجاهلا مفعول لأجله وهو بسكون الماء مبتدأ عين خبره الحاذق بالدال المعجمة مضاف إليه الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء نعت الحاذق وحمله الابتدأ والخبر حال من فاعل تنكر المستتر فيه قد حرف تحقيق تنكر العين فعل وفاعل ضوء مفعول الشمس مضاف إليه من رمد متعلق بتنكر على أنه علة له وينكر القم بالتشديد فصل وفاعل معطوف على تنكر العين طعم مفعول الماء مضاف إليه من سقم يفتحان متعلق بتنكر الثانى على أنه علة له .

[ومعنى البيتين] لانهجب أيها المؤمن بهذه الآيات من حسود الذي صلى الله عليه وسلم حمله حسده على إنكارها تجاهلا منه والحال أنه عالم وليس بجاهل وإنما هو نفس الحاذق الكثير الفهم ولكن بقلبه مرض حمله على إنكارها فإن العين الباصرة إذا رمدت تنكر

ضوء الشمس والقمر إذا حصل له سقم ينكر طعم الماء العذب .

إنكارها تجاهلا وإظهارا للجهل مع علمه في الواقع بما اشتملت عليه من أنواع الإعجاز وقوله لحسود متعلق بتعجبين ومعنى الحسود ذوالحسد وقوله راح ينكرها أى ذهب ينكر كونها من عند الله وأصل راح سار بالعنى ثم استعمل في الذهاب والمراد أنه أنكر ما انتضحت دلالة حتى صار كالأشياء المحسوسة بحاسة البصر في نصف النهار الذي هو أول وقت الرواح وقوله تجاهلا أى حال كونه متجاهلا أى مظهرا للجهل فإنكاره ليس لجهله حقيقة بل لحسده وإن كان قد أظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم أى والحال أنه عين الحاذق بالدال المعجمة أى الماهر الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء أى الشديد الفهم وحينئذ فإنكارها عناد دغله إليه الحسد فلا عجب لإنكارها للحسد وأشار بقوله الفهم الى أن حذقه ليس ناشئا عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه فاهما بالأصالة ولاشك أنه يحصل بالتمرين مع كونه فاهما بحسب الأصالة مالا يحصل مع كونه بليدا بحسب الأصالة وبهذا التقرير ظهر أن الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم (قوله قد تنكر الخ) لما ادعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالعجزات المذكورة أثبت ذلك بأمرين محسوسين الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها والثانى إنكار القم طعم الماء من أجل السقم القائم به فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالنسبة فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل وكلامه على حذف مضاف فيهما والتقدير قد ينكر ذوالعين الخ وقد ينكر ذوالقم الخ لأن المنكر في الحقيقة إنما هو صاحب كل منهما (قوله ياخير من يم الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه الغيبة أقبل عليه بالخطاب فقال ياخير من يم الخ أى ياخير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحتهم وحريم داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين في التوفى ليحصلوا حاجتهم أقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التي ترسم الأرض وتؤثر فيها لحصول الحاجة سريعا وقصده بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة حريم الدار الواسع وصعيا بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو الظاهر والأينق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أنوق ثم قلبوها ياء فصار أينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم ضم الراء للشدة وضم السين جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء عليها [ومن هنا الى آخر قوله وجل مقدار الخ] خاصيتها لمن خاف أن يلومه السلطان على جناية وقعت منه فليكتبها في جلد جمل ويجعله منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله أكبر ثلاثا فإنه لا يكلمه أبدا ومن وقع بينه وبين زوجته خصومة أو بين أحد من أحبابه فليكتبها في جلد أسد ويجعلها في كور عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت فإن حبيبه يسدؤه بالكلام ويكون محب له وإياك

أن

يَا خَيْرَ مَنْ يَمُّ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتَوْنِ الْأَيْنُقِ الرُّسْمِ

وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِعَتِيدِ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُتَمِّمِ

يَعْنِي أَيُّ قَصْدٍ وَالْعَافُونَ جَمْعُ عَافٍ وَهُوَ طَالِبُ الْمَعْرُوفِ وَالسَّاحَةِ النَّاحِيَةِ وَالْمُرَادُ هُنَا حَرَمُ الدَّارِ وَالسَّمَى الشَّيْءُ السَّرِيعُ وَالْمَتْنُ الْفُظْهُرُ وَجَمْعُهُ مَتُونٌ وَالْأَيْنِقُ جَمْعُ نَاقَةٍ وَأَصْلُهُ أَنْوَقَ قَدِمَتْ الْوَاوُ عَلَى النُّونِ (٦٧) لَا اسْتِقَالُ الضَّمَّةِ عَلَى الْوَاوِ ثُمَّ بَدَلَتْ الْوَاوُ

ياه لأن يات الياء أكثر من يات
الواو والرسم بضميتين جمع رسوم بفتح
الراء وهى التى تؤثر فى الأرض من
شدة الوباء والآية العلامة والمعتبر هو
الذى يصرف فكره الى معرفة الحق
من الباطل والنعمة واحدة النعم وهى
رغد العيش والعظمى تأنيث الأعظم
والمفتن من اغتتمت النية أخذته
غشمة .

[الاعراب] يا حرف نداء خير من
بفتح الميم منادى منصوب مضاف الى
من الموصولة بـم العافون سachte فعل
وفاعل ومنمّول والجملة صلة من
وعائدها الهاء من سachte سعيّا حال
من العافون وفوق ظرف متعلق بحال
محدوفة أى وركبانا فوق متون بضم
الميم والتاء الفوقية مضاف إليه وهو
مضاف أيضا الأتيق بتقديم الياء على
النون مضاف اليها الرسم بضم الراء
والسين المهملتين نعت الأتيق ومن
بفتح الميم اسم موصول معطوف على
من المجرورة بإضافة خير اليها هو الآية
مبتداً وخبر صلة من الكبرى نعت الآية
لمعتبر بفتح اللّثاء الفوقية وكسر الموحدة
متعلق بالآية ومن بفتح الميم موصول
اسمى معطوف على مثله هو النعمة مبتداً
وخبر صلة من العظمى نعت النعمة
لغتم بكسر النون متعلق النعمة .

[ومعنى البيتين] ياخير من قصد

أن تفعل هذا للحرام فائق الله اه (قوله ومن هو الخ) أى ويامن هو الخ فهو معطوف على الندى فى البيت قبله وأجاز بعضهم أن يكون معطوفا على من فى قوله ياخير من الخ والأول هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده بخلافه على الثانى فإنها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله الآية الكبرى ليعبر أى الآية الكبرى التى هى أكبر الآيات لتأمل ومتفكر لأنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التى لا تحصى وبالعلوم التى لا تستقصى الى قوم مغمورين فى الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلاتهم أن يعبدوا الأصنام فدلهم على الله وأرشدهم الى ما لا ينال الا بتخصيص من المولى الوهاب فمن تأمل ذلك عرف أنه الآية الكبرى أى الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق قال تعالى وإنك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله ومن هو الخ أى ويامن هو الخ فهو معطوف على الندى فى البيت قبله ويحتمل أنه معطوف على من على ما قاله بعضهم كما علمت فى نظيره وقوله النعمة العظمى لمعتم أى النعمة العظمى التى هى أعظم النعم للسريد أن يعتنم ما عند الله من السعادة الأبدية لأنه صلى الله عليه وسلم أخذ الخلائق من النار ومن الدخول فى دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصع فمن أراد أن يعتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى له ولسائر العالمين قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (قوله سرى الخ) كأنه قال ومن معجزاتك أنك سرى الخ ومعنى سرى سرى ليل لأن السرى هو السير ليلاً وسرى وأسرى بمعنى وقال السهلى سرى لازم وأسرى متعد لکن کثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة أنهما بمعنى فالمفعول فى قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده محذوف والتقدير أسرى البراق بعبده حذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالخبر أو حذف لقوة البدالة عليه وقوله من حرم أى حرم مكة وقوله ليلاً أى فى ليل فإن قيل إذا كان معنى سرى سرى ليلاً ومعنى أسرى بعبده جعله سارياً أى سائراً ليلاً فما فائدة قوله بعد ذلك ليلاً . أجب بأن فائدته فى النظم والآية التأكيد كما قاله الجوهري أو الإعلام بأنه فى جزء من الليل كما قاله الزحشرى بقرينة تنكيره لأنه للتفليل ولولم يذكر لاحتمال أن يكون ذلك فى الليل كله وليس كذلك قال الزحشرى ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعضه وإنما خص الليل بذلك دون النهار لأنه وقت تفرغ البال وقطع العلائق وقيل لأن الله تعالى لما محآ آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فبر بآن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل

الطالبون حريم داره ساعين على الأقدام ورا كبين فوق الإبل السريعة كقوله تعالى يأتوك رجالا وعلى كل ضامر، وبأخير من هو العلامة الكبرى لمن يريد معرفة الحق من الباطل وبأخير من هو النعمة العظمى لمن يغتم النعم وهي الهداية إلى الإسلام وفي البيت الثاني من البيدع الموازنة وهي أن تتساوى الفاصلتان من القرينتين في الوزن دون التقفية .

سَرَبَتْ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَذْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظَّالِمِ

وَبِتَّ تَرَقَى إِلَى أَنْ نَزَلَتْ مَنْزِلَةً

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرَكَ وَلَمْ تَرْمَ
سريت أى سرت ليلا والحرم المكان
المحترم والبدر القمر عند كاله والداجي
المظلم والرقى الصعود وقاب قوسين أى
مقدارهما لم تدرك أى لم يصل أحد إليها
ولم ترم أى لم تطلب لعزة مكانها .

[الاعراب] سريت بفتح التاء فعل
وفاعل من حرم ليلا الى حرم متعلقان
بسريت كما جار ومجرور ومصدرية
سرى البدر فعل وفاعل صلة ما فى داج
بالجيم متعلق بسرى من الظلم بضم الظاء
المعجمة وفتح اللام نعت داج وبت بكسر
الموحدة وفتح المثناة الفوقية المشددة
فعل ماض ناقص والتاء اسمها ترقى بفتح
المثناة الفوقية والقاف خبرها الى حرف
جر أن بفتح المنزة موصول حرفى نلت
بكسر النون وفتح التاء فعل وفاعل
صلة أن المصدرية وأن وصلتها فى تأويل
مصدر مجرور بالى منزلة مفعول نلت
من قاب نعت منزلة قوسين بفتح السين
مضاف إليه لم تدرك بالتاء الفوقية والبناء
للمفعول ونائب الفاعل مستتر يعود الى
منزلة ولم ترم بضم التاء الفوقية وفتح
الراء معطوف على لم تدرك .

[ومعنى البيتين] سريت يارسول الله
من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى
ليلا كسرى البدر فى ليل مظلم ولازلت
ترقى الى أن نلت منزلة قريبة من الحضرة
القدسية مقدار قاب قوسين وهذه
المنزلة لم يصل اليها أحد من الأنبياء
غيرك ولم يطلبها لعزة مكانها والتشبيه
فى سرعة السير والكمال والإنارة
وقطع المنازل .

بالشمس قليل لا تفتخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيخرج بشمس الأرض
فى الليل الى السماء وقيل لأنه سراج والسراج إنما يوقد فى الليل وقيل لأنه سمى
بدر فى قوله تعالى طه فإن الطاء بتسعة والهاء خمسة وذلك أربعة عشر فكانه تعالى
قال يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر والله در القائل حيث قال :

قلت ياسيدى ولم تؤثر الميصل على بهجة النهار النير
قال لا أستطيع تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع البدر
إنما زرت فى الظلام لكما يشرق الليل من أشعة نورى

وقوله الى حرم أى حرم بيت المقدس وقوله كما سرى البدر أى مثل سير البدر الذى
هو القمر ليلة كاله وهى ليلة أربعة عشر سمى بذلك لأنه يسير الشمس فى الطلوع
ووجه التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالbدر وأتم وقد قطع مسافة عظيمة
فى ليل مظلم كما يسرى البدر المنير فى ليل مظلم مع سرعة السير وكال الإنارة والداج
اسم ليل المظلم يقال دجا الليل أى أظلم فهو داج أى مظلم فقولته من الظلم تكلمة
أى من ذى الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن للبيان للشوب بالتبعض
وفى هذا البيت إشارة الى قصة الإسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحانه الذى
أسرى بعده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله وحاصلها
أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بيته أوفى المسجد على اختلاف الروايات فى ذلك جاء
جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه وشقا صدره وغسله جبريل وملاه
علما وحكمة وإيمانا وقينا ثم أتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ (قوله وبت ترقى الخ) عطف على قوله
سريت الخ أى وبعد وصولك الى بيت المقدس بت ترقى أى تصعد فإنه صلى الله عليه
وسلم نصب له معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو الذى تعرج عليه أرواح
المؤمنين فدللت له مرقاة فصعد عليها الى سماء الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقبل من
الباب قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل أوفد أرسل اليه قال نعم قبل مرحبا به
وأهلا ونعم المهيء جاء فلما جاوز السماء الأولى دللت المرقاة الثانية فصعد عليها الى
السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم الى الكرسى ثم الى سدرة المنتهى ثم الى
مستوى سمع فيه صريف الأقلام ثم دلى الرغرف وهو سحابة خضراء فصعد عليها الى
ما شاء الله تعالى وهذا المكان هو الذى أعده الله للخطاب وفرض الصلوات وإلا فالله
تعالى منزله عن المكان وقوله الى أن نلت منزلة غاية لما قبله أى الى أن أعطيت مرتبة
فى القرب وقوله من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن فى العبارة قلب والأصل من قابى
قوس أى من قدر ما بين قابى القوس لأن كل قوس له قبان وبينهما شئ قليل جدا
فبينهما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فيبينهما غاية القرب
لكن المراد هنا القرب العنوى وقوله لم تدرك بالبناء للمجهول أى لم يدركها غيرك
وقوله ولم ترم بالبناء للمجهول أيضا أى لم يرمها غيرك ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك
وفى هذا البيت إشارة الى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله ثم دنا فتدلى

وَقَدَّمَكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلُ تَقْدِمْ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوَكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ

التقديم ضد التأخير والقدم في مرتبة المخدم والتأخر في مرتبة (٦٩) الخادم واخترق الطريق قطعه والسبع الطباق

السموات السبع أخذنا من قوله عز وجل سبع سموات طباقا جمع طبق أو طبقة والمراد بعضها فوق بعض وحققها مختلفة فقد نقل الكمال الدميري عن كعب الأحبار أنه قال خلق الله تعالى السماء الدنيا موجا معكفوا والثانية صخرة والثالثة حديدا والرابعة نحاسا والخامسة فضة والسادسة ذهباً والسابعة ياقوتاً والمراد بها الجملة من القرسان والمراد هنا جماعة من الملائكة والعلم رمح في رأسه راية والمراد بصاحب العلم هنا كبير القوم المقدم عليهم وليس المراد من تكون الراجحة في يده .

[الاعراب] وقدمتك جميع فعل ومفعول وفاعل الأنبياء مضاف إليه بها متعلق بقدمتك والباء للظرفية والهاء للنزلة والرسول بالجر عطف على الأنبياء من عطف الخاص على العام وبالرفع عطف على جميع وبالنصب عطف على المفعول معه تقديم مفعول مطلق مخدوم مضاف إليه على خدم بفتحين متعلق بتقديم وأنت مبتدأ تخترق السبع فعل وفاعل ومفعول خبر المبتدأ الطباق بكسر الطاء نعت السبع بهم متعلق بحال مخدومة أي ماراً بهم في موكب بفتح الهم وكسر الكاف متعلق بما تعلق به المجرور قبله كنت بفتح التاء فعل ماض ناقص والتاء اسم

فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت حاصلها (قوله وقدمتك الخ) عطف على قوله سريت الخ أيضاً ثم إنه يحتمل أن المراد التقديم في الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله تقديم مخدوم على خدم وذلك لأن الله قد أطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحي في مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين الآية ويحتمل أن المراد التقديم في الحسن والخارج كما يدل عليه ما روى من أنه حشره جميع الأنبياء والرسول ليلة الإسراء وصلى بهم في المسجد الأقصى بعد أن أثنى كل على ربه بما هو أهله وكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في ذلك فأثنى على الله بما ألهمه له فقال إبراهيم عند ذلك بهذا فضلكم محمد وذلك كان قبل العراج على المشهور ولا يخفى أن الكاف مفعول وجميع الأنبياء فاعل وألحق الفعل التاء لأن جميع في معنى جماعة أو لإضافته إلى جمع التكسير الذي يجوز تأنيثه وقوله جميع الأنبياء بالمد وقوله بها أي بتلك النزلة أو الليلة المفهومة من قوله ليلاً وقوله والرسول أي وجميع الرسل فهو بالجر معطوف على الأنبياء ويحتمل أنه بالرفع معطوف على جميع وعلى الأول فهو صريح في العموم وعلى الثاني فهو ظاهر فيه وهل كانت الأنبياء والرسول بأجسامهم وأرواحهم أو بأرواحهم فقط والراجح أنهم كانوا بأرواحهم فقط لإعيسى وإدريس فإنهما كانا بروحهما وجسمهما وبعضهم رجع أن الأنبياء جميعاً كانوا بأجسامهم وأرواحهم وعطف الرسول على الأنبياء من عطف الخاص على العام كما هو المشهور لشرفهم وقوله تقديم مخدوم على خدم أي تقديماً مثل تقديم مخدوم على خدم فهو بالنصب على الصدورية لكن على وجه التشبيه (قوله وأنت تخترق الخ) أي وقدمتك جميع الأنبياء والحال أنك تخترق بمعنى تقطع السموات السبع الطباق أي التي هي طبقة فوق طبقة فالواو للاحال لكنها حال منتظرة لامقارنة ووصف السموات بأنها طباق مأخوذ من قوله تعالى سبع سموات طباقاً أي طبقة فوق طبقة وقوله بهم أي حال كونك ماراً بهم يعني بالذي لقيه منهم في حديث الإسراء في مسلم أنه مر في السماء الدنيا بآدم وفي الثانية بعيسى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة بإدريس وفي الخامسة بهرون وفي السادسة بموسى وفي السابعة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله في موكب بكسر الكاف أي حال كونك في موكب فهو حال أو هو خبر ثان لأنك والموكب الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة وقد كان معه صلى الله عليه وسلم جبريل وما أعظمهما وأعظم هيئتهما وحملته كنت فيه صاحب العلم صفة لموكب أي كنت فيه للشار إليه لأن العلم الرمح في رأسه راية ومن شأن صاحبه أن يشار إليه

فيه متعلق بكان والضمير للموكب صاحب خبر كان العلم بفتحين مضاف إليه . [ومعنى البيتين] وقدمتك جميع الأنبياء والرسول في المنزلة تقديم المخدوم على الخدم وأنت تخترق السموات السبع بعد سماء حال كونك ماراً بالرسول واحداً بعد واحد ففي السماء الدنيا مررت بآدم وفي السماء الثانية مررت بعيسى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة بإدريس وفي الخامسة بهرون وفي السادسة بموسى وفي السابعة إبراهيم وأنت في جمع من الملائكة الكرام صاحب التحية والاكرام .

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأَوًا لِمُسْتَبَقٍ مِنَ الدُّنْوِ وَلَا مَرَقًا لِمُسْتَمٍّ

حتى هنا غاية لتخترق وتدع أى تركه شأوا أى غاية لمستبق أى ساع لسبق والدنوالقرب والمرق موضع الرق والمستم أى لطالب رفة [الاعراب] حتى حرف غاية إذاظرف (٧٠) زمان مجرد عن معنى الشرط لم تدع بفتح الدال جازم ومجزوم

شأوا بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وبالواو مفعول تدع لمستبق بضم الميم وسكون السين الهملة وفتح الشاة القوية وكسر اللوحدة من الدنو المجروران متعلقان بتدع ولامرق بالتونين معطوف على شأوا لمستم بضم الميم الأولى وسكون السين الهملة وفتح الشاة القوية وكسر النون متعلق بتدع أيضا .

[ومعنى البيت] لازات نخترق الى وقت لم تترك فيه غاية لمن يريدالسبق الى القرب ولا موضع رقى لطالب رفة .

خَفَضْتُ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ بِمِثْلِ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ كَيْفَا تَفُوزُ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَمِّرٍ عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيْ مُكْتَمٍّ الخفض ضد الرفع والراد انحطاط الرتبة والمقام المنزلة والإضافة النسبة والنداء طلب الإقبال والمفرد التوحيد في قومه والعلم المشهور العالى القدر وتفوز أى تظفر والوصل ضد القطع والستر المحجوب والعيون جمع عين الباصرة .

[الاعراب] خفضت بفتح التاء فعل وفاعل كل مفعول به مقام بفتح الميم مضاف إليه بالإضافة متعلق بخفضت إذ ظرف لماضى متعلق بخفضت نوديت بضم النون وكسر الدال فعل ماض مبني للمفعول ونائب الفاعل تاء المخاطب بالرفع متعلق بنوديت مثل نعت مصدر

وهو المراد فأطلق اسم للزوم وأريد اللازم أولعنى على التشبيه وكان جبريل يستفتح فى كل سماء فيقال له ومن معك فيقول مجد كما تقدم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم هو المشار اليه فى ذلك الموكب (قوله حتى إذا الخ) غاية لقوله وأنت تخترق الخ وإذا ظرفية مجازية أى إلى مقام القرب وقوله لم تدع شأوا والمستبق أى لم تترك غاية لطالب سبق فلم تدع بمعنى لم تترك وشأوا بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وفى آخره واو أى غاية والمستبق طالب سبق وهو الساعى ليسبق والجار والمجرور متعلق بشأوا وقوله من لدنوبيان للشأوا أى من القرب وقوله ولامرقى لمستم أى تدع مرقى لمستم والمرقى محل الرقى وهو الدرجة والمستم طالب الرفة وهو الساعى ليرتفع والجار والمجرور متعلق بمرقى . وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد الى مقام القرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب سبق ولم يترك درجة لطالب رفة وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب وهو للعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين (قوله خفضت كل مقام الخ) هذا البيت جواب إذا فى البيت قبله أى خفضت كل رتبة لغيرك وقوله بالإضافة أى بالنسبة الى مقامك لامطلقا وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال لكنه صلى الله عليه وسلم أكمل فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق وإن كان ذلك المقام المنخفض مرتفعا فى نفسه وإنما انخفض بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم وإياك أن تعتقد أن غيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء ليس متصفا بالكمال لأن ذلك كفر فالواجب عليك أن تعتقد أنهم متصفون بالكمال لكن نبينا أكمل وقوله إذ نوديت بالرفع أى لأنك نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع شأنك الى ما لم يصله أحد غيرك وهو أعلى مقامات القرب فاذ للتعليل وقيل ظرف لازمان الماضى وقوله مثل المفرد العلم أى حال كونك ممائلا للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودى نداء مصحوبا برفع لفظه فكما أن المفرد العلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين أقسام المنادى فان ماعداء منها منصوب كذلك صلى الله عليه وسلم بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين سائر الأنبياء فإن ماعداء منهم محفوض المقام بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم . فان قيل المفرد العلم إنما نودى بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم التشبيه . أجيب بأن البناء على الضم رفع فى المعنى والمراد بالمفرد العلم المعرفة من إطلاق الخاص وإرادة العام لأن النكرة المقصودة من أقسام المعرفة عند المحققين فانها تعرف بالقصد والإقبال عليه كاللشار اليه وذلك كما فى قولك مقبلا على رجل مخصوص يارجل فالقصد رجل معين لاشاع فى جنسه والظاهر أن التشبيه بالمفرد العلم إنما هو فى النداء بالرفع خاصة لافى خفض مقامات غيره (قوله كيفا تفوز الخ) أى لكيف تفوز الخ فاللام مقدرة قبل كي فتكون

مصدرية

محذوف منصوب على المفعول المطلق المفرد مضاف إليه العلم بفتحتين نعت المفرد كيفا كي

حرف جرو تليل ومازائدة تفوز فعل مضارع منصوب بأن مقدرة بعد كي بوصل متعلق بتفوز أى بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة نعت وصل مستر مضاف إليه عن العيون متعلق بمستر وسر بكسر السين الهملة معطوف على وصل أى بفتح الهمزة

مضاف اليه [ومعنى اليتيم] خففت

كل مقام لغريك بالنسبة الى مقامك حين نوديت بالارتفاع نداء مثل نداء المفرد العلم لأجل أن تفوز بوصل مستتر عن عيون الناظرين استتارا أى استتاروسر مكتم عن غيرك اكتتاما أى اكتتم وجمع في البيت الأول بين الخفض والإضافة والنداء والرفع والمفرد والعم وهو جمع حسن .

فَحَزَّتْ كُلَّ نَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكٍ

وَجَزَّتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحِمٍ

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وَلِيَتْ مِنْ رُتَبٍ

وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ

الحيازة الجمع والفخار مايفتخر به من الفضائل والمشارك ضد المختص والجواز المرور والمقام المنزلة والازدحام المزاحمة وجل أى عظم والمقدار القدر وماوليت أى قللت وصار أمره اليك والرتب جمع رتبة وهى الدرجة العالية وعز الشيء تمنع وعسر حصوله والإدراك هنا الوجدان وأوليت أى أعطيت والنعم جمع نعمة .

[الاعراب] لحزت بضم الحاء المهملة

وسكون الزاى وفتح التاء فعل وفاعل

كل مفعول به نثار بفتح الفاء والحاء

المعجمة مضاف اليه غير بالنصب نعت

كل مشترك بفتح الراء مضاف اليه

وجزت بضم الجيم وسكون الزاى فعل

وفاعل كل مفعول به مقام بفتح الميم

مضاف اليه غير بالنصب نعت كل مزدحم

بضم الميم وسكون الزاى وفتح الدال

والحاء المهملتين مضاف اليه وجل بفتح

الجيم فعل ماض مقدار فاعل ماموصول

لفاعل الفاعل والفاعله وغير مامر السماع عادله

وهو مايفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك أى بينك وبين غيرك بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاى أى عبرت وتجاوزت وقوله كل مقام مفعول لجزت والقام الرتبة وقوله غير مزدحم بفتح الحاء أى غير مزدحم فيه لعدم الواصلين اليه وهو من باب الحذف والإيصال ولا يخفى أن لفظ غير في الموضعين مجرور على أنه صفة للمجرور قبله وحاصل المعنى فبسبب ما نلت من تلك المرتبة جمعت كل مايفتخر به من الفضائل المختصة بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها لأنه لا يصل اليها غيرك (قوله وجل الخ)

اسمى في محله جر بالإضافة وليت بضم الواو وكسر اللام المشددة وسكون المثناة التحتية وفتح الفوقية فعل ماض مبنى للمفعول والتاء نائب الفاعل والجملة صلة ما والعائد محذوف أى وليته من رتب بضم الراء وفتح المثناة الفوقية بيان لما متعلق بوليت وعز بفتح

المهملة والراى فعل ماض معطوف على جل إدراك بكسر الهجزة فاعل عز ماموصول اسمى فى محل جر بالإضافة أوليت بضم
 الهجزة وسكون الواو وكسر اللام فعل ماض مبنى للمفعول صلة ما والعائد محذوف أى أوليته من ثم بكسر النون وفتح
 العين المهملة بيان لما متعلق بأوليت . [ومعنى البيتين] جمعت كل غير مستقل بك غير مشترك بينك وبين غيرك وعبرت
 كل مكان بمفردك غير مزاحم لغيرك وعظم ما أوليت من المناصب الشريفة وامتنع الوصول إلى كمال ما أعطيت من الفضائل المنيفة
 وفى البيت الأول الجناس المحرف فى قوله (٧٢) حذرت وحزت وفى الثانى الجناس الناقص فى قوله أوليت وأوليت :

بُشِّرَى لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا
 مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
 لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لِبَطَاعَتِهِ
 بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا كَرَمَ الْأُمَمِ
 بشرى اسم من البشارة يطلق ويراد
 به الخبر السار المفيد البشر والمعشر
 الجماعة الذين يشملهم وصف واحد
 والعناية من عنى بحاجتى أى اعنى بها
 وركن الشئ ما يعتمد عليه والانهدام
 التغير ودعا أى سعى وداعينا أى النبى
 صلى الله عليه وسلم والطاعة ضد المعصية
 والأم جمع أمة وهى الجماعة .

[الاعراب] بشرى مبتدأ ونعتها
 محذوف أى بشرى عظيمة لنا خبره
 معشر منصوب على الاختصاص بفعل
 محذوف تقديره أخص الإسلام مضاف
 إليه إن بكسر الهجزة أوفتحها وتشديد
 النون لنا خبرها مقدم من العناية بكسر
 العين وفتح النون حال من الضمير فى لنا
 ركننا اسم إن مؤخر غير بالنصب نعت
 ركننا منهم مضاف إليه وهذه الجملة
 تعليلية فان حُكِرَتْ إن فهى تعليل
 مستأنف وإن فتحت فعلى تقدير لام
 العلة لما بفتح اللام وتشديد اليم حرف

أى عظم ذلك فلا يخاط به وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أى ما أولاك الله قوله من رتب
 بيان لما والرتب المناصب الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاى أى امتنع
 ذلك فلا يحصل لأحد غيرك وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أى ما أولاك مولاك وقوله
 من نعم بيان لما والمراد من النعم الأمور المنعم بها وكل من الجمتين إما مستأنف
 أو معطوف على ما تقدم (قوله بشرى لنا الخ) أى هذه المناقب بشرى لنا الخ فبشرى
 خبر مبتدأ محذوف ولنا صفة له ويحتمل أن بشرى مبتدأ ولنا خبر وساغ الابتداء
 ببشرى لأنها فى معنى النكرة للوصوفة فإنها بمعنى الخبر السار وقوله معشر الإسلام
 أى معشر أهل الإسلام وهو منصوب على الاختصاص أى أخص معشر الإسلام
 وقوله إن لنا من العناية ركننا غير منهم أى إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية
 بنا فى الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة على سبيل الاستعارة
 التصريحية الأصلية حيث شبه الشريعة بمعنى الركن بجامع الثبات فى كل واستعار اسم
 المشبه به للمشبه والمراد بالانهدام التغير لكن لامطلقا بل بخصوص النسخ ، أماتا الله
 على سنته واتباع ملته عنه وفضله ورحمته (قوله لما دعا الله الخ) أى لما سعى الله الخ
 ولا يخفى أن لما شرطية ودعا فعل الشرط والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته متعلق
 بداعينا وبأكرم الرسل متعلق بدعا وكنا أكرم الأمم جواب الشرط والمعنى لما
 سعى الله النبى صلى الله عليه وسلم الذى دعانا أى طلبنا لطاعته تعالى بأكرم الرسل
 كنا معشر أمته أكرم الأمم لأن أكرم الرسل لا يبعث إلا لأكرم الأمم وفى التنزيل
 كنتم خير أمة أخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من الفاعل وجعل
 لطاعته متعلقا بدعا والمعنى عليه لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل
 كنا أكرم الأمم والأول أقرب كما لا يخفى (قوله راعت الخ) أى افترعت الخ وهذه
 الجملة مستأنفة وقلوب بالنصب مفعول مقدم لراعت لكن على تقدير مضاف أى أصحاب
 قلوب ويحتمل أنه سعى الدوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء وأراد الكل على
 سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو وللراد بهم الكفار وأبناء
 بعثته بالرفع فاعل مؤخر لراعت ولا يخفى أن إسناد راعت الى أبناء البعثة من المجاز

العقل

وجود لوجود أو ظرف بمعنى حين على القولين دعا الله فعل وفاعل داعينا مفعول

وسكن الياء على لغة من يعرب المتقوس فى الأحوال الثلاثة بحركات مقدرة لطاعته متعلق بداعينا بأكرم جار ومجرور متعلق
 بدعا الرسل بسكون السين مضاف إليه كنا كان واسمها أكرم خبرها الأمم مضاف إليها والجملة جواب لما . [ومعنى البيتين]
 بشرى عظيمة لنا أيها المسلمون لأن لنا شريعة باقية غير منسوخة ولما سعى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأكرم الرسل كنا أكرم
 الأمم السالفة قبل عيسى الإسلام صدقه قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أتم خير أمة وإنما كانت أمته خير الأمم لأنه هو خير الرسل
 رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَهُ يَفْتَتِرُ كَنْبَاءَهُ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْفَتْرِ

مَازَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرَكٍ حَتَّى حَكَمُوا بِالْقَنَاءِ لِحَمَائِهِ وَضَمَّ

راعت أى أفزعت والعداء الأعداء والأنباء الأخبار والبشة الرسالة والنبأ الصرخة وأجفلت أى أفزعت وغفلا جمع أغفل وهو البليد الغافل الذى لا يحس بالأمارات الواضحة والغم اسم جنس والمعتك موضع الاعتراك وهو الازدحام فى الحرب وحكوا شابهوا والقنا جمع قناة وهى الرمح والوضم ما يوضع عليه الجزار اللحم من قصب (٧٢) أو غيره معدا لمن يأخذه . [الاعراب]

راعت بالراء والعين المهملتين فعل ماض وتاء تأنيث قلوب مفعول مقدم العداء بكسر العين وضمة واو القصر مضاف اليه أنباء بفتح الهمزة الأولى وسكون النون وفتح الموحدة والد فاعل راعت مؤخر بعته بكسر الموحدة وفتح المثناة وكسر المثناة الفوقية مضاف اليه كنبأة بفتح النون وسكون الموحدة وفتح الهمزة فى موضع الحال من أنباء أجفلت فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى نبأة والجملة صفتها غفلا بضم المعجمة وسكون الفاء مفعول أجفلت من الغم بفتح العين المعجمة والنون نعت غفلا ومن للبيان ما حرف نفي زال فعل ماض ناقص اسمه مستتر فيه يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم يلقيهم بضم الميم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول جملة فى موضع نصب خبر زال وضمير الجمع للأعداء من الكفار فى كل متعلق يلقيهم معتك بضم الميم وسكون المهملة وفتح المثناة فوق والراء مضاف اليه حتى حرف ابتداء حكوا بفتح المهملة والكاف فاعل ماض وفاعل والضمير للأعداء بالقنا بفتح القاف والنون متعلق بحكوا لما بفتح اللام وسكون المهملة مفعول حكوا على وضم

العقل لأن موجد الروح فى القلوب هو الله تعالى وأنباء بعته إنما هى سبب فهو من إسناد الفعل الى سببه وللراد بأنباء بعته أخبارها التى صدرت من الكهان والأخبار وغيرهم كقولهم إنه سيظهر دين يطلب كل دين وإنما أفزعتهم لفتنتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه بعد ولو كانوا ملتفتين اليها ما فزعوا منها وقوله كنبأة أى مثل نبأة أى زارة الأسد التى هى صوته وجملة أجفلت بالجيم والفاء أى أفزعت صفة لنبأة وغفلا بضم الفين وسكون الفاء جمع غافل وهو مفعول لأجفلت وقوله من الغم بيان لغفلا مشوب بتبعض وإنما كانت غفلا لكونها راتعة فى ربيعها مشغلة فى أكلها وشهواتها فأجفلها ذلك الصوت وفرقها (قوله مازال الخ) أى لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقيهم بنفسه تارة وبخيله ورجله أخرى فى كل معتك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ويلقيهم بالاشباع والجار والمجرور متعلق به والمعتك بفتح الراء عمل الاعتراك أى الازدحام للحرب وقوله حتى الخ غاية لقوله مازال يلقيهم فى كل معتك وقوله حكوا بفتح الكاف لأن أصله حكوا قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف للالتقاء الساكنين ومعنى حكوا شابهوا وقوله بالقنا أى بطعن القنا فهو على تقدير مضاف والباء للسببية أى بسبب طعنهم بالقنا وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل والقنا جمع قناة وهى الرمح ولحما مفعول لقوله حكوا وقوله على وضم متعلق بمحذوف صفة للحما والوضم بالضاد المعجمة ما يوضع القصاب اللحم عليه معدا لمن يأخذه وهو المسمى بالطبلية وقيل إنه الحديد الذى يفرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل . وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم مازال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لأكل السباع والطيور لحومهم ويقال للذليل الحقير لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل أن يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة (قوله ودوا الفرار الخ) أى تمنوا الهرب منه صلى الله عليه وسلم وإنما تمنوه مع أنه أقبح الحصول وأذمها عند العرب فإنه من أفعال اللثام وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ولما كثرت ودادتهم للفرار وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ولات حين فرار لهم من غضب الله تعالى الذى حل بهم على يد رسول صلى الله عليه وسلم ويد المؤمنين نزل هربهم منزلة الحال الذى لا ينال الا بالتمنى

(١٠ - باجورى - برده)

بشة النبي صلى الله عليه وسلم أفزعت قلوب الأعداء وفرقت شملهم كما أفزعت صيحة الأسد قلوب غم غافلة ومازال صلى الله عليه وسلم يحاربهم حتى بضهم وصاروا كلهم ملقى على الأرض تأكله السباع والوحوش والطيور ، وفى البيت الأول الجناس الشبيه بالمشتق فى قوله أنباء ونبأة :

وَدَّوْا الْفَرَارَ فَكَادُوا يَغِيْطُوْنَ بِهٖ أَشْلَاءَ شَاكَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحْمِ

تَمْضَى اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ

ودوا أى تمنوا والفرار الحرب وبكاد أى يقارب والغبطة تمنى مثل حال الغبوط ولم يرد زوالها وأشلاء جمع شلو بكسر المعجمة وسكون اللام وهو العضو من اللحم وشالت أى ارتفعت والعقبان جمع عقاب نوع من كرائم الطير والرخم جمع رخمة وهو طائر يشبه النسر يقع على الميتات وتمضى تمر والليالى جمع ليلة على غير قياس والمراد الليالى والأيام وخص الليالى بالذكر لأن مقاساة المحنوم فيها أشد ولا يدرون أى لا يعلمون والعدة العدد والأشهر الحرم أربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والحرم جمع حرام . [الاعراب] ودوا بفتح الواو وضم (٧٤) الدال فعل ماض وفاعل والضمير للأعداء الفرار بكسر الفاء

وقوله فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم أى فلتمنيهن ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار أشلاء على وزن أشياء أى أعضاء شالت أى ارتفعت حال كونها مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع رخمة وهو نوع من الطير أيضا وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما والغبطة هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره فكأنهم يقولون ياليت لنا مثل ما لأعضاء اللحم التى ارتفعت مع العقبان والرخم الى منازلها وأشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم وإنما غبطوا الأعضاء دون العقبان والرخم التى ارتفعت بها لما بينهما وبين تلك الأعضاء من الشابهة لأنهم لأحرمة لهم ولا قوة بسبب طعن القنا وغيره فحالتهم كحالة الأعضاء لا كحالة العقبان والرخم (قوله تمضى الليالى الخ) أى تمر عليهم الليالى بأيامها والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل فى قلوبهم من الفزع وخاص بواطنهم من الهلع بسبب جهاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم فيسكرون من الخوف وتذهب عقولهم وينعدم تمييزهم فلا يدرون عدة الأيام بلياليها وعلم مما تقرر أن الواو فى قوله ولا يدرون عدتها واو الحال وقوله ما لم تكن من ليالى الأشهر الحرم أى ما لم تكن تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم التى هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بخلاف ما إذا كانت تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم المذكورة فإنها تمضى عليهم ويدرون عدتها لكونهم يفيقون من سكرهم من الخوف وترجع اليهم عقولهم ويوجد لهم تمييزهم لإمسك النبي والمؤمنين عن جهادهم فى الأشهر الحرم فى صدر الإسلام عند من رأى أن منع قتالهم فيها نسخ وقال عطاء لم ينسخ وهو ضعيف وما ذكرناه فى عهد الأشهر الحرم هو الصحيح وقيل هى المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وعلى الأول فهى من سنتين وعلى الثانى فهى من سنة ويترتب على الخلاف ما لو نذر صومها مرتبة فيصوم على الأول ذا القعدة أولا الى آخرها ويصوم على الثانى الحرم الى آخرها

مفعول ودوا فكادوا فعل ماض والواو اسمته يغبطون بفتح المثناة التحتية وسكون الشين المعجمة وكسر الموحدة وضم الطاء المهملة فعل مضارع وفاعل والجملة فى موضع نصب خبر كاد به متعلق يغبطون والضمير للفرار أشلاء بهجتين مفتوحتين بينهما شين معجمة ساكنة ولام مفتوحة والد غير تنوين للضرورة لأن أصله أشلاو قلبت الواو همزة لتطرفها إثر ألف زائدة كسواء مفعول يغبطون شالت بالشين المعجمة فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى أشلاء والجملة نعت أشلاء مع بفتح العين متعلق بشالت العقبان بكسر العين مضاف اليها والرخم بفتح المهملة والحاء المعجمة معطوف على العقبان تمضى الليالى فعل وفاعل والمعطوف محذوف أى والأيام على حد سراييل تفيكم الحر أى والبرد ولا حرف نفي يدرون فعل مضارع وفاعله عدتها بكسر العين مفعول يدرون ما ظرفية مصدرية لم تكن صلة ما واسم تكن مستتر فيها يعود الى الليالى من ليالى خبر تكن

(قوله

الأشهر مضاف اليها الحرم بضم الحاء والراء المهملتين نعت الأشهر .

[ومعنى البيتين] تمنى الأعداء الفرار من الحرب لشدة ما حصل عليهم فلم يقدرُوا عليه وتمنوا أن يحصل لهم مثل ما حصل لأعضاء أسلهم حين وقعت عليها الطيور فأكلت منها ما اختارت وارتفعت منها بما شاءت ليخاصوا بمهام فيه فإن الإنسان إذا اشتد عليه الحال ولا يجد لشدة فرجا ولا لضيقة مخرجاً يتعنى الموت وإذا استولى عليه الخوف لا يميز بين الأيام والليالى ولا يضبط عدد الليل والنهار فكذلك هؤلاء تمر عليهم الليالى والأيام لا يعرفون عددها لشدة ما حصل عليهم من القتال والمخاربة لهم فإذا دخلت الأشهر الحرم عرفوها بأمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن القتال فيها رعية لحرمتها ووفاء بحمتها .

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلٌّ سَاحَتِهِمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى تَحْمِ الْعِدَا قَرْمٍ

الدين الإسلام وحلّ نزل والساحة المكان وقرم يسكون الرأ السيد وبكسرهما شديد الشهوة الى اللحم والمراد شديد الظهور على قتل أعداء الدين . [الاعراب] كأنما حرف تشبيه الدين (٧٥)

المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على ضيف ساحتهم مفعول فيسه بحلّ والجملة نعت ضيف بكل متعلق بحلّ قرم بفتح القاف وسكون الرأ مضاف اليه الى لحم متعلق بقرم آخر البيت العدا بكسر العين والقصر مضاف اليهم قرم بفتح القاف وكسر الرأ نعت قرم يسكون الرأ المتقدم .

[ومعنى البيت] كان دين الإسلام ضيف نزل ساحة كل سيد من الصحابة شديد الشهوة الى قتل أهل الكفر وتزيق لحومهم، وفي البيت من البديع الجنس المحرف بين قوله قرم وقرم .

يَجْرُ بِحَرْ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِجَةٍ
تَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَظِمٍ
مِنْ كُلِّ مُتَنَدِّبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفَرِ مُضْطَلِمٍ
البحر كناية عن الكثرة والخميس الجيش سمى بذلك لأنه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة قاله في القاموس وخيل ساجدة إذا مدت يدها للجري مأخوذ من السباحة وهي العوم في الماء والأبطال جمع بطل بفتح الطاء وهو الشجاع وموج ملتطم أى دخل بعضه على بعض لكثرتة والنتدب الحبيب يقال نذبه لكذا فانتدب أى دعاه فأجابه والاحتسب من يقدم الخير ويعسده فيما يدره ويسطو أى يصول ومستأصل للكفر

(قوله كأنما الدين الح) أى كأنما دين الإسلام ضيف حلّ ونزل ساحة الكفار فالضمير في ساحتهم عائد على الكفار كما قاله بعض الشارحين وهو قضية السياق أو ساحة الصحابة فالضمير في ذلك راجع للصحابة كما قاله بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله بكل قرم بفتح القاف وسكون الرأ أى مع كل شجاع لأن هذا الضيف الذى وقع التشبيه به شجاع فلذا نزل مع شجاع أمثاله فالباء بمعنى مع والقرم بفتح فسكون الشجاع وقوله الى لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الرأ أى شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين فالقرم بفتح فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور متعلق به . وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم عائدا على الكفار كأنما دين الإسلام ضيف حلّ ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين ومن شأن الضيوف إذا كانوا أكراما أن يشبعوا عند الضيف لهم مما يشتهون وفيه على هذا إقامة الظاهر مقام الضمير والافكان مقتضى الظاهر أن يقول الى لحمهم ونكتته التصريح بوصفهم بالعداوة للمسلمين . وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم راجعا الى الصحابة كأنما دين الإسلام ضيف حلّ ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين ومن شأن الضيف أن يشبع ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الإخبار بكثرة القتل في الكفار (قوله بجرّ الح) أى يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون الرأ الذى هو الشجاع فالمراد بالجر هنا الاستتباع ليكون قد شبه الاستتباع بالجر واستعار اسم المشبه به للشبه ثم اشتق منه بجر بمعنى يستتبع ويحتمل أنه شبه الخميس الذى كالبحر بداية بجر برسن تشبيها مضمرّا في النفس وحذف اسم المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الجر فهو تخيل الاستعارة بالكناية وقوله بجر خميس أى خميسا كالبحر في تموجه واهلاكه الكفار فهو من إضافة التشبيه به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمى بذلك لأنه مركب من خمس قوائم مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقوله فوق ساجدة أى كأن فوق خيل ساجدة أى مسرعة في طلب الكفار كالساج في البحر وقوله يرمى بموج الح صفة للخميس والمراد بالموج ما يصل الى الكفار من الطعن والقتل وغيرها فيكون قد شبه ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للشبه على طريق التصريح وقوله من الأبطال أى صادر ذلك الموج من الأبطال وإنما لم يقل منهم مع أن الأبطال نفس الجيش لإفادة أن ذلك الجيش كله أبطال والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة لموج أى ملتطم بعضه ببعض (قوله من كل منتدب الح) الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله أى من كل محبب الح فالمنتدب بكسر الدال

أى يقلعه من أصله والاصطلام الاستئصال قاله في الصحاح . [الاعراب] بجر بضم الجيم فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى الضيف بجر يسكون المهملة مفعول به خميس بفتح الخاء المعجمة مضاف اليه فوق ظرف مكان منصوب بيجر ساجدة بمحملتين بينهما باء موحدة مكسورة مضاف اليها والمنعوت بها محذوف تقديره خيل ساجدة يرمى بفتح الباء المثناة .

التحتية فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى بحر بموج جار ومجرور متعلق يرمى من الأبطال نعت موج ملتحظ بضم الميم الأولى وفتح التاء الفوقية وكسر الطاء المهملة نعت ثان لموج من كل بدل من الأبطال باعادة من منتدب بضم الميم وسكون النون وفتح الشدة الفوقية وكسر الدال المهملة مضاف اليه الله متعلق بمنتدب محسوب بضم الميم وسكون الحاء وكسر السين المهملتين نعت منتدب بكسر الدال دون فتحها يسطو بفتح الباء المثناة التحتية وسكون السين وضم الطاء المهملتين فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى منتدب بمستأصل بضم الميم وسكون السين للمهملة وفتح المثناة الفوقية وسكون الهمزة وكسر الصاد المهملة متعلق بيسطو على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى بسيف مستأصل للكفر متعلق بمستأصل على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى لأصل الكفر مصطلم بضم الميم الأولى (٧٦) وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين واللام نعت منتدب .

[ومعنى البيتين] يجر ذلك الضيف جيشا بموج كجوز البحر للتلطيم فوق خيل ساجدة بكل فارس منتدب لله تعالى محسوب بعمله عند الله تعالى يصول بسيف قاطع قاطع لأصل الكفر مهلك لأهله .

حَقَّ غَدَتْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةٌ الرَّحِمِ مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَتَّمْ غَدَتْ صَارَتْ وَالْمِلَّةُ الشَّرِيعَةُ وَالْفَرِيقَةُ الْبَعِيدَةُ عَنْ أَهْلِهَا وَصَلَةُ الرَّحِمِ قَرَبُ ذَوَى الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي تَعَاظِفِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ وَالْمَكْفُولُ الَّذِي يَقَامُ بِحَقِّهِ وَالْأَبَدُ الدَّائِمُ وَالْبَعْلُ الزَّوْجُ وَيَتِمُّ الصَّبِيُّ بِالْكَسْرِ يَتِمُّ بِالْفَتْحِ إِذَا مَاتَ أَبُوهُ وَأَتَمَّتِ الْمَرْأَةُ تَتِمُّ أَيْمَةً وَأَيُّهَا إِذَا خَلَّتْ مِنْ زَوْجٍ .

[الاعراب] حتى حرف ابتداء غدت بالغين المعجمة فعل ماض ناقص ملة اسمها الإسلام مضاف اليه وهي بهم

على أنه اسم فاعل وضبطه بعض الشروح بفتحها على أنه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقوله لله متعلق به وقوله محسوب أى مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو أى يصول وقوله بمستأصل للكفر أى بالآلة مستأصلة لأهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال أى مزيل لهم من أصلهم يقال استأصله إذا أزاله من أصله وقوله مصطلم أى مهلك لهم يقال اصطلمه إذا أهلكه وفي الصحاح الاصطلام الاستئصال وعليه فهو تأكيد (قوله حق غدت الخ) أى وما زال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لأهل الكفر الى إن غدت الخ فهو غاية لخدوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المعجمة وقوله ملة الإسلام أى ملة هي الإسلام فالإضافة في ذلك من إضافة الأعم الى الأخص لأن الملة تشمل سائر الأديان وقوله وهي بهم أى وهي مصحوبة بالصحابة والجملة اعتراضية بين اسم غدت وهو ملة الإسلام وخبرها وهو موصولة الرحم وقوله من بعد غربتها متعلق بغدت بمعنى صارت والراد بغربتها عدم شهرتها لقلة من ينتمى اليها وقوله موصولة الرحم بالنصب على أنه خبر لغدت كما علمت والراد بكونها موصولة الرحم كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمى اليها ويدخل فيها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصول الرحم واستعار اسم الشبه به للشبه وأشار بذلك الى حديث مسلم بدأ الإسلام غريباً أى ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم (قوله مكفولة الخ) أى محفوفة الخ وهو خبر ثان لغدت وقوله أبدا ظرف لقوله مكفولة وقوله منهم أى من الكفار وقوله بخير أب وخير بعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أشفق على أمته من الأب على أولاده وأقوم بمصالحهم من البعل على زوجته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين ولا شك أن المرأة التي كفها خير أب وخير بعل في غاية من المكانة ورفاهية من العيش وقوله فلم تيتم

بفتح

مبتدأ وخبره وضمير بهم للأبطال والجملة حال من ملة مرتبطة بالواو والضمير من بعد

متعلق بغدت غربتها بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة مضاف اليها موصولة بالنصب خبر غدت الرحم بكسر الحاء المهملة مضاف اليها مكفولة بالنصب خبر بعد خبر أبدا ظرف زمان منصوب بمكفولة منهم بخير متعلقان بمكفولة والضمير للأبطال أب مضاف اليه وخير الجار معطوف على خير المجرور بالباء بعل بالموحدة والمهملة مضاف اليه فلم تيتم بتأين متناهين من فوق مفتوحين بينهما ياء مشناة تحتية ساكنة جازم ومجزوم ولم تتم بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة جازم ومجزوم معطوف على ما قبله وفيه لف ونشر لأن نفي التيم مع وجود الأيوه ونفي التأييم مع وجود البعولة . [ومعنى البيتين] لم يزل السيف قائماً حتى صارت ملة الإسلام موصولة بعد أن كانت مقطوعة الوصلة ومكفولة بخير أب وخير زوج وهو النبي صلى الله عليه وسلم فلم يحصل لها يتم من جهة الأب ولان تأييم من جهة الزوج لأنه أبو الملة وبعلاها في الشفقة على أهلها .

هَمْ الْجِبَالُ فَتَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
وَسَلَّ حَتِينًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا فُصُولُ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوُخْمِ

الجبال جمع جبل وتصادم الفارسان إذا التقيا بأجسادهما والمصطدم (٧٧) موضع الاصطدام وحنين وأدقريب من

الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا
وبدر اسم ماء بينه وبين المدينة بمائة
وعشرون فرسخا على طريق مكة وأحد
جبل عند المدينة الشريفة والمراد بهذه
الأمكنة الثلاثة الغزوات عندها
والفصول جمع فصل والمراد بها هنا
أنواع الهلاك والحنف الهلاك وأدهى
أفعل تفضيل من الداهية والوخم
الوباء .

[الاعراب] هم الجبال بالجيم مبتدأ
وخبر فعل فعل أمر وفاعل عنهم
متعلق به مصادمهم بضم الميم الأولى
وفتح الثانية وكسر الدال مفعول به
والضمير للأبطال ما اسم استفهام مبتدأ
ذاخبره وهو اسم موصول رأى بفتح
الراء والهمزة صلة ذا وفاعله ضمير مستتر
فيه يعود الى مصادمهم والعايد محذوف
أى رآه ويحتمل أن تكون ماذا كلمة
واحدة في موضع نصب رأى منهم في
كل متعلقان برأى مصطدم بضم الميم
الأولى وسكون الصاد وفتح الطاء والدال
المهملات مضاف اليه وسل حنينا بضم
الحاء المهملة وفتح النون فعل وفاعل
ومفعول وسل بدرا بفتح الواو وفتح
وقاعل ومفعول وسل أحسدا بضم
الهمزة والحاء المهملة فعل وفاعل
ومفعول والجلل الثلاث معطوفة على
سل مصادمهم من عطف الخاص على
العام فصول بضم الفاء والصاد المهملة

بفتح التاء وسكون اللام التنية بينهما أى من جهة الأب وقوله ولم تلم بفتح التاء
وكسر الهمزة أى من جهة البعل فى ذلك لف ونشر مرتب يقال يتم الولد بكسر
التاء يتم بفتحها إذا مات أبوه وهو ضمير ويقال آتت المرأة تقيم مكبات تبع
إذا دخلت من زوجها ومنه قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم (قوله هم الجبال الخ)
هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأنها جواب عما يقال من الذين صارت بهم الملة الى
هذه الحالة والكلام على التشبيه أى هم كالجبال فى الصبر والصلابة وهذا يسميه
البيانون تشبيها بليغا لاستعارة وقوله فصل عنهم مصادمهم أى إن ارتبت فى هذا
فصل عنهم من صادمهم من أعدائهم ولعل مراده فصل عنهم مؤرخ أخبار مصادمهم
أو فصل مصادمهم على تقدير حياته والافكيف يتصور سؤاله الآن وقد مات من
مدة مئين من السنين حتى عادر فانا والمصادمة اصطكاك الصفيين وقوله ماذا رأى
منهم أى من الشدة التى لاتوصف لعظمها وما اسم استفهام مبتدأ وذاسم موصول
خبر أى أى شيء الذى رأى ويصح أن يكون ماذا بتمامها اسم استفهام وعلى هذا
فهو مفرد بخلافه على الأول فهو جملة وقوله فى كل مصطدم بفتح الدال أى فى كل
مكان الاصطدام الذى هو اصطكاك الصفيين كما مر والمراد بالمصطدم الأماكن التى
التقوا فيها مع أعدائهم وبين مصادمهم ومصطدم تجنيس الاشتقاق وهو رد
الصدور على الأعجاز ومن هنا الى قوله طارت قلوب العدا الخ [خاصيتها] أن من كتبها
على باب بلد أودار أوبستان مادامت مكتوبة لا يصل الى ذلك سارق ولا دود ولا غير
ذلك قال قائل هذه الفائدة قد جربت فى القمع والشعير وغيرهما وقال أيضا كتبت
هذه الأبيات على باب دار لجاء السارق فسمع صوتا فى الدار فرجع ثم قال لأصحابه
ذلك فأخبروه بأن صاحب البيت غائب جمعتين ثم رجع ثانى لیسلة فسمع فيه صوتا
يقول له ما غبت شيئا ومنعه الله ببركة هذه الأبيات (قوله وسل حنينا الخ) أى وسل
زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة أحد ويحتمل أن يكون
مراده وسل أهل حنين وسل أهل بدر وسل أهل أحد أو وسل مؤرخ وقعة
حنين وسل مؤرخ وقعة بدر وسل مؤرخ وقعة أحد والتفسير الأول أولى لأن
قوله فصول حنف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل وبعضهم جعله
خبر مبتدأ محذوف أى هى فصول الخ ومعنى قوله فصول حنف لهم أزمنة موت
للكفار وقوله أدهى من الوخم أى أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيه من الوخم الذى
هو الوباء فإن ما يموت منهم فى زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ كثرة من يموت منهم

خبر مبتدأ محذوف أى هى فصول ويجوز نصبها على البدلية من الأمكنة الثلاثة لأن المراد بها زمن القتال فيها حنف بفتح الحاء
المهملة وسكون اللام التنية القوية مضاف اليه لهم متعلق بحنف أدهى اسم تفضيل نعت حنف من الوخم بفتح الواو والحاء المعجمة
متعلق بأدهى . [ومعنى البيتين] هم الأبطال الراسخون فى القتال فاسأل عنهم من صادمهم فى الحرب ما الذى رآه منهم فى كل
موضع من مواضع الاصطدام واسأل عنهم وقعة حنين وقعة بدر وقعة أحد تخبرك أنها كانت عليهم فصول وباء وهلاك .

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت من العدا كل مسود من اللهم
والكاتبين بسم الخط ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منبجهم

المصدرى جمع مصدر من قولهم صدر عن (٧٨) الماء أى رجع عنه وأصدر غيره فهو مصدر والبيض جمع أبيض

والمراد السيوف المصقولة وحمراء جمع أحمر والورود الاتيان والعدا اسم جمع عدو ومسود اسم مفعول من أسود بتشديد الدال والهم جمع لمة وهى الشعر إذا جاوز شحمة الأذن فإذا بلغ المنكبين فهو حمة والسمر الرماح والخط شجر يؤخذ منه خشب الرماح واسم موضع باليمامة وهو خط هجر تجلب اليه الرماح من الهند فتقوم به واليه تنسب الرماح الخطية والأفلام جمع قلم والمراد أسنة الرماح والحرف والطرف والمنعجم من أعجمت الكتاب نقطته وحقيقة اللفظ أزلت عنه العجمة.

[الاعراب] المصدرى بضم الميم وسكون الصاد وكسر الدال المهملتين بالجر نعت الأبطال فى البيت السادس قبله وحذفت النون للإضافة البيض مضاف اليها حمرا بضم الحاء حال من البيض بعد ظرف زمان منصوب بالمصدرى ما مصدرية وردت صلتها من العدا بكسر العين وضمها متعلق بوردت كل مفعول وردت مسود بضم الميم وسكون السين وفتح الواو وتشديد الدال مضاف اليه من الهم بكسر اللام وفتح الميم الأولى نعت مسود والكاتبين معطوف على المصدرى بسم بضم السين المهملة وسكون الميم متعلق بالكاتبين الخط بالحاء المعجمة والطاء المهملة مضاف اليه مانافية تركت

فى زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصره كالساعة الواحدة وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواد بين مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع المشركين فانهمز الكفار وتسل منهم كثير وسبيت أموالهم ونساؤهم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها فى يوم الجمعة سنة ثنتين وبدر اسم ماء على طريق مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا وعنده كانت هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون وكان عددهم نحو ألف والمسلمون نحو ثلثمائة وروى أنه نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمام بيض قد أرخوا أطرافها بين اكتافهم ولم تقاتل الملائكة فى سوى يوم بدر وإنما يكونون عددا ومددا وكانت غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث وهو اسم لجبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان المسلمون سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف والحرب سجال واحدة لنا وواحدة علينا (قوله المصدرى البيض الخ) أى أمدح المصدرى البيض الخ فهو مفعول لفعل محذوف وأصله المصدرين لكن حذفت نونه للإضافة إن جعلنا المصدرى مضافا للبيض أو للتخفيف إن جعلناه غير مضاف والمصدرين جمع مصدر بضم الميم من أصدر عن الماء رجع ويقال أصدره غيره أى أرجعه والمراد من البيض السيوف المصقولة فشبه السيوف المذكورة بابل بيض أوردت ينبوعا أسود يجرى بماء أحمر ثم أصدرت عنه حمراء من تلبيسها بالماء الذى وردته تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الإصدار ففيه استعارة بالكناية وتخيل وقوله حمرا أى من الدماء التى خالطتها وهو حال من البيض وقوله بعد ما وردت أى بعد ورودها فما مصدرية وقوله من العدا حال من قوله كل مسود الواقع مفعولا لقوله وردت وقوله من الهم أى الشعر المجاوز شحمة الأذن فالهم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المذكور ومن زائدة لأن المعنى على الإضافة والتقدير كل مسود الهم فحصل المعنى أمدح الصحابة الذين أصدروا أى أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود الهم حال كونه من العدا وفى ذلك دليل على شجاعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حيث لا يرضون الا بقتل سود الهم من العدا وهم الشبان فى الغالب (قوله والكاتبين بسم الخط) عطف على قوله المصدرى البيض وأراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه

الطعن

أقلامهم فعل وفاعل حرف بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين مفعول به جسم بكسر الجيم مضاف اليه

غير بالصب نعت حرف منعجم بضم الميم وسكون النون وفتح العين المهملة وكسر الجيم مضاف اليه . [ومعنى البيتين] الراجعين أسبغهم المصقولة حمرا من دم القتلى بعد ما وردت كل شعر أسود وطعنت الرماح الخطية كل جسم فلم تترك طرفا منه بلا أثر طعنة وفى البيت الأول الجمع بين الصدور والورود وهو نوع من المطابقة والجمع بين البياض والحمرة والسواد وهو مراعاة النظير .

شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سِمَا تَمَيِّزُهُمْ
وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّمَا مِنَ السَّلَمِ
تَهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ
فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَسْكَامِ كُلِّ كَمِي
شَاكِي مِنَ الشُّوْكَ وَهِيَ الْحِدَّةُ وَالشَّدَّةُ
يَقَالُ رَجُلٌ شَاكِي السَّلَاحِ أَيْ حَادَهُ
وَالسَّلَاحُ آتَى مِنَ الْحَرْبِ وَالسِّمَا الْعِلَامَةُ
تَمَيِّزُهُمْ أَيْ تَعْيِينُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ وَالسَّلَمُ شَجَرٌ
لَهُ شَوْكٌ يَشْبَهُ شَجَرَ الْوَرْدِ وَيَمْتَازُ الْوَرْدُ
عَنْهُ بِحَسَنِ الْحَلْقَةِ وَبِهَاءِ الْمَنْظَرِ وَطِيبِ
الرَّائِحَةِ وَيَمْتَازُ فِي النُّورِ فَإِنَّ شَجَرَةَ الْوَرْدِ
نُورُهُ أَحْمَرُ غَالِبًا وَالسَّلَمُ نُورُهُ أَسْفَرُ
وَالْهَدْيَةُ اسْمٌ مَا يَهْدِي بِهِ وَالرِّيَّاحُ جَمْعُ
رِيحٍ وَالنَّصْرُ التَّأْيِيدُ وَقَهْرُ الْأَعْدَاءِ
وَالنَّشْرُ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ وَتَحْسِبُ تَظُنُّ
وَالْأَسْكَامُ جَمْعُ كَمْ بِكَسْرِ الْكَافِ وَهُوَ
الْعَلَافُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الزَّهْرِ وَإِنَّمَا
خَصَّ الزَّهْرَ فِي أَسْكَامِهِ لِكَوْنِهِ أَكْثَرُ
رَائِحَةً وَأَحْسَنَ مَنَظَرًا وَالْكَمِي الرَّجُلُ
الشَّجَاعُ الَّذِي يَكْمِي جَسَدَهُ بِالسَّلَاحِ
أَيْ يَسْتُرُهُ .

[الاعراب] شَاكِي مَنْصُوبٌ عَلَى
الْحَالِ مِنَ الْأَبْطَالِ لِأَنَّهُ صِفَةٌ مُضَافَةٌ إِلَى
مَعْمُولِهَا وَأَصْلُهَا لَا تَفِيدُ التَّعْرِيفَ
وَالْأَصْلُ شَاكِيْنَ حَذَفَتْ الزُّوْنُ لِلْإِضَافَةِ
السَّلَاحُ مُضَافٌ إِلَيْهِ لَمْ يَخْبِرْ مُقَدِّمُ
وَالضَّمِيرُ لِلْأَبْطَالِ سِمَا بِكَسْرِ السِّينِ
الْمُهْمَلَةُ وَسَكُونُ الْيَاءِ الْمُثَنَّى التَّحْتِيَّةُ
وَالْقَصْرُ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ تَمَيِّزُهُمْ بِهَيْئَةِ النَّاءِ
الْفَوْقِيَّةِ وَكَسْرُ التَّحْتِيَّةِ الْمُشَدَّدَةِ وَبِالزَّايِ
فَعْلٌ وَفَاعِلٌ نَعْتٌ سِمَا وَالْوَرْدُ بَفَتْحِ الْوَاوِ
مُبْتَدَأٌ يَمْتَازُ بِالزَّايِ خَبَرُهُ بِالسِّمَا مُتَعَلِّقٌ
بِیْمَتَازُ مِنَ السَّلَمِ بَفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ
وَاللَّامِ مُتَعَلِّقٌ بِیْمَتَازُ أَيْضًا تَهْدِي بِضَمِّ

الطَّعْنِ بِالسَّكَاةِ بِجَمَاعِ التَّأْيِيدِ فِي كُلِّ وَاسْتِعَارِ السَّكَاةِ لِلطَّعْنِ وَاسْتَقْبَلَ مِنَ السَّكَاةِ بِمَعْنَى
الطَّعْنِ السَّكَاةِ بِمَعْنَى الطَّاعِنِينَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّصْرِیحِيَّةِ التَّجْعِيَّةِ وَالْمُرَادُ بِسَمَرِ
الْحَطِّ الرِّمَاحُ الْحَطِّيَّةُ فَالسَّمَرُ جَمْعُ أَسْمَرٍ وَهُوَ الرَّمْحُ وَالْحَطُّ شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ تِلْكَ الرِّمَاحُ
وَقِيلَ مَوْضِعٌ بِالْمِثَامَةِ تَجَلِبُ إِلَيْهِ تِلْكَ الرِّمَاحُ مِنَ الْهِنْدِ وَقَوْلُهُ مَا تَرَكْتَ أَقْلَامَهُمْ حَرْفٌ
جِسْمٌ غَيْرٌ مَنَعَجٌ أَيْ لَمْ تَتْرِكْ أَسْنَةَ رِمَاحِهِمْ طَرَفَ جِسْمٍ مِنْ أَجْسَامِ الْكُفَّارِ غَيْرَ مَزَالٍ
عَجَمَتُهُ بَلْ أَزَالَتْ عَجَمَتُهُ أَيْ خَفَاءَهُ بِالطَّعْنِ بِأَنَّهُ طَعْنَتْهُ لِيَتَمَيِّزَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فَإِنَّ الْأَمْرَ مَحْتَلِطٌ فِي الْحُرُوبِ فَيَتَمَيِّزُ الْكُفَّارُ بِطَاعْنِهِ وَالْمُؤْمِنُ بِسَلَامَتِهِ كَمَا يَتَمَيِّزُ الْحَرْفُ
الْمَنَعَجُ بِنَقْطِهِ وَالْمُهْمَلُ بِخَلْوِهِ عَنِ النُّقْطِ فَالْمُرَادُ بِأَقْلَامِهِمْ أَسْنَةُ رِمَاحِهِمْ فَيَكُونُ قَدْ شَبَّهَ
أَسْنَةَ رِمَاحِهِمْ بِالْأَقْلَامِ وَاسْتِعَارَ اسْمَ الْمَشْبِهِ بِهِ الْمَشْبُوهَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّصْرِیحِيَّةِ
الْأَصَابِيَّةِ وَالْحَرْفُ بِمَعْنَى الطَّرَفِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ أَيْ
عَلَى طَرَفٍ وَجَانِبٍ مِنَ الدِّينِ وَفِي هَذَا الْبَيْتِ لَطَائِفٌ مِنْهَا تَشْبِيهُ الصَّحَابَةِ بِالسَّكَاةِ وَأَسْنَةُ
رِمَاحِهِمْ بِالْأَقْلَامِ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ إِحْكَامِهِمْ لِلطَّعْنِ بِهَا حَتَّى إِنَّمَا فِي أَيْدِيهِمْ كَالْأَقْلَامِ
فِي يَدِ السَّكَاةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ كَبِيرُ مَشَقَّةٍ فِي التَّصَرُّفِ بِهَا وَمِنْهَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَطْعَنُونَ
طَعْنَةً إِلَّا فِي مَحَلِّهَا كَمَا لَا تَنْقُطُ السَّكَاةُ نَقْطَةً إِلَّا فِي مَحَلِّهَا وَمِنْهَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُمْ أَعْجَمُوا
حُرُوفَ أَجْسَامِ الْكُفَّارِ لِيَتَمَيِّزُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُوجَدُ فِي بَعْضِ النُّسخِ بَيْتٌ وَهُوَ :

إِنْ قَامَ فِي جَمَاعِ الْهَيْجَاءِ خَاطِبُهُمْ تَصَالَمَتْ عَنْهُ أَذْنَا صَمَةِ الصَّمِ
أَيْ إِنْ قَامَ فِي مَجْتَمَعِ الْحَرْبِ خَاطِبُ الصَّحَابَةِ تَغَافَلَتْ عَنْهُ أَذْنَا صَمَةِ الصَّمِ أَيْ أَشَدَّهُمْ
شَجَاعَةً قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَثْبُتْ فِي رِوَايَتِي وَإِنَّمَا هُوَ فِي بَعْضِ النُّسخِ
وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّازِمِ وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْاضْطِرَابُ فِي تَفْسِيرِهِ وَهَذَا شَأْنٌ كَثِيرٌ
مِمَّا أَدْخَلَ فِيهِ وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ وَصِدْقِ مَحَبَّتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَرُّعًا
بِرُكَاةِهِ (قَوْلُهُ شَاكِي السَّلَاحِ إلخ) أَيْ حَادِيهِ كَمَا عَلَيْهِ الْجَوْهَرِيُّ وَبَعْضُهُمْ فُسِّرَ بِتَأْيِيدِهِ
أَيْ جَامِعِينَ لِأَنْوَاعِهِ وَالنَّاسِبُ لِأَخْذِهِ مِنَ الشُّوْكَ الَّتِي هِيَ الْحِدَّةُ الْأُولَى وَتَرْكِيبُ شَاكِي
السَّلَاحِ كَتَرْكِيبِ الْمَصْدَرِ الْبِضِّ فَأَصْلُهُ شَاكِيْنَ السَّلَاحِ لَكِنْ حَذَفَتْ مِنْهُ الزُّوْنُ
لِلْإِضَافَةِ أَوَّلًا لِتَخْفِيفِ وَأَصْلُ شَاكِي شَاوُكٌ فَدَخَلَ الْقَلْبُ الْمَسْكَانِي فَصَارَ شَاوُكُومٌ دَخَلَ
الْقَلْبُ الدَّائِي فَصَارَ شَاكِي وَقَوْلُهُ لَهُمْ سِمَا تَمَيِّزُهُمْ أَيْ لَهُمْ عِلَامَةٌ تَمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ قَالَ
تَعَالَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهًا فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ بَعْضُهُمْ يَكُونُ
مَوْضِعُ السُّجُودِ مِنْ وُجُوهِهِمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ وَقَوْلُهُ وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّمَا عَنِ السَّلَمِ
أَيْ وَالْوَرْدُ يَتَمَيِّزُ مِنَ السَّلَمِ بِالْعِلَامَةِ مِنْ طِيبِ الرَّائِحَةِ وَحَسَنِ الْحَلْقَةِ وَبِهَاءِ الْمَنْظَرِ فَإِنَّ
السَّلَمَ بَضْدُ ذَلِكَ فَالْوَرْدُ وَالسَّلَمُ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي أَنَّ كِلَا شَجَرٍ مُورِقٌ ذُو شَوْكٍ الْأَنْ بَيْنَهُمَا
فَرْقًا ظَاهِرًا لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَغَيْرُهُمْ فَانْهَمَا وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي أَنَّ كِلَا
ذُو سَلَاحٍ إِلَّا أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا ظَاهِرًا لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ فَالصَّحَابَةُ يَمْتَازُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ
بَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ وَطِيبِ الرَّائِحَةِ وَبِهَاءِ الْمَنْظَرِ وَحَسَنِ الْحَلْقَةِ فَانْ غَيْرُهُمْ بَضْدُ ذَلِكَ فَالْمَقْصُودُ
مِنْ قَوْلِهِ وَالْوَرْدُ إلخ تَوْضِيحُ لِفَرْقِ (قَوْلُهُ تَهْدِي إِلَيْكَ إلخ) أَيْ تَرْسُلُ إِلَيْكَ الرِّيَّاحُ الَّتِي

النَّاءُ الْفَوْقِيَّةُ وَسَكُونُ الْمَاءِ وَكَسْرُ الدَّالِ مُضَارِعٌ أَهْدَى إِلَيْكَ مُتَعَلِّقٌ بِتَهْدِي رِيَّاحُ بِالْمَثَنَّى التَّحْتِيَّةِ فَاعِلٌ تَهْدِي النَّصْرَ مُضَافٌ إِلَيْهِ

نشرهم بفتح النون وسكون الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وضم الهاء واليم مفعول تهدي فتحسب فصل مضارع يتعدى الى اثنين الزهر بالزاي مفعوله الأول في الأكام بفتح المعجمة حال من الزهر أو نعت له لأنه معرف بأل الجنسية كل مفعول ثان لتحسب كى بفتح الكاف وكسر اليم مضاف اليه (٨٠) وهو من باب القلب والأصل فتحسب كل كى الزهر في الأكام

[ومعنى اليتيم] الأبطال في حال كونهم شاكين السلاح لم بذلك علامة تميزهم من غيرهم كما يمتاز الورد من السلم بعلامة وهي طيب الرائحة وبهاء النظر وحسن الخلق تهدي اليك رياح النصر خبرهم الطيب فتظن أنت كل كى منهم في استتاره بسلاحه كأنه الزهر في استتاره بكامه لأنه في كامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه خارج كامه وفي قوله الأكام وكى الجنس الشبيه بالمشق :

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْحَيْلِ نَبَتْ رُبًا
مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَأَمِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ
طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا
فَمَا تَفَرَّقُ بَيْنَ الْبَنِي وَالْبَنِي
الحيل اسم جمع واحد في المعنى فرس وربا جمع ربوة بضم الراء وفتحها وكسرهما المرتفع من الأرض الحزم بالسكون ضبط الأمر وقوة الثبات والحزم بضمين جمع حزام مثل كتب وكتاب وهو ما يشد به السرج أو غيره على ظهر الدابة وطارت أى اضطربت وبأسهم شدتهم في الحرب وفرقا أى خوفا والبهيم بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهيمة وهي السخلة والبهيم بضم الباء وفتح الهاء جمع بهيمة بضم الباء وسكون الهاء وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى في الحرب لشدة بأسه .

حصل بها النصر خبرهم السار على وجه الهدية فتهدى بمعنى ترسل وهو بضم التاء من أهدي والمراد بريح النصر الرياح التى حصل بها النصر بالإضافة لأذى ملابسته ويحتمل أن المراد بها بركات النصر ونعماته وقديراد بالرياح الدولات كما في قول الشاعر :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فغني كل عاصفة سكون

والمراد بالنشر الخبر السار وإن كان في الأصل الرائحة الطيبة وقوله فتحسب الزهر في الأكام كل كى كان حق الكلام أن يقول فتحسب كل كى الزهر في الأكام لكن المصنف قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قوله :

ومعه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

والزهر نور الشجر كما مر والأكام جمع كم وهو غلاف النور والكى الشجاع في سلاحه من كى جسده بالسلاح إذا استره به وأصله كى بتشديد الياء حنفت منه الياء الساكنة وسكنت المتحركة للوقف . وحاصل المعنى أنه لما فتحت الأزهار في رياض ملة الإسلام بريح نصرهم كان كلما تهب هذه الرياح من تلك الأزهار وتنتشر الى الشام روايح نشرهم فتظن كل بطل في الدروع الفاصرة زهرا في الأكام الفاخرة وإنما قيد بكونه في الأكام لأنه في أكامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه في خارج الأكام (قوله كأنهم في ظهور الحيل الخ) أى كأن الصحابة حالة كونهم على ظهور الحيل نبت ربا في الاستقرار والثبوت حتى إنهم لو تحركوا عليها لم ينقلعوا من ظهور الحيل وإنما يتحركون للطعن والأتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك نبت الربا إذا حركته الرياح فالضمير للصحابة وفي ظهور الحيل حال وفي معنى على كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون وأصلبنيكم في جذوع النخل والربا جمع ربوة بتثنية الراء وهي ما ارتفع من الأرض ونبتها يكون أثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل إلى الماء ويكون أحسن من غيره لأنه لا يستقر عليه الماء فيأخذ حظه من الشمس والرياح فتجده أخضر يعجب حسنه الناظرين أما غيره فقد يستقر عليه الماء فيقتله أو يضعفه فيصفر لونه وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة في حميل السيل وإنما يشبههم بالشجر لأن الكفار تشبهه في عدم التحرك فانهم لا يتحركون للطعن والأتقاء وأما النبت فالرياح تميله يمينا وشمالا وقوله من شدة الحزم بكسر الشين المعجمة وفتح الحاء المهملة وسكون الزاي أى وذلك أغنى استقرارهم وثبوتهم في ظهور الحيل من قوة جودة رأيهم وتديبرهم وقوله لامن شدة الحزم بفتح الشين المعجمة وضم الحاء والزاي أى لامن ربط الحزم الذى يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة وظاهر أن من في الموضعين بمعنى لام التعليل (قوله طارت قلوب العدا الخ) أى اضطربت قلوب العدا الخ فشبه الاضطراب

بالطيران

[الاعراب] كأنهم كأن واسمها في ظهور حال من اسم كأن الحيل بفتح الحاء

المعجمة مضاف اليه نبت بفتح النون وسكون الواو خبر كأن ربا بضم الراء المهملة وفتح الواو والقصر مضاف اليه من شدة بكسر الشين المعجمة متعلق بكأن لما فيها من معنى التشبيه الحزم بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي مضاف اليه لامن شدة بفتح الشين المعجمة للمرة من الشد معطوف على الجار والجرور قبله الحزم بضم الحاء المهملة والزاي مضاف اليها طارت قلوب فاعل

جملة مستأفة العدا بكسر العين للهمة والقصر مضاف اليه من بأسهم متعلق بطارت فرقا بفتح الفاء والراء والقاف مفعول لأجله
فما حرف نفي تفرق بضم التاء الفوقية وفتح الفاء وكسر الراء المشددة فعل مضارع وقاعله مستتر فيه يعود إلى قلوب العدا بين
ظرف مكان منصوب بفتح الهمزة بفتح اللوحدة وسكون الهاء مضاف اليه والهمزة بضم اللوحدة وفتح الهاء معطوفة على الهمزة
[ومعنى البيتين] كأنهم في ثباتهم على ظهور الخيل مثل ثبات (٨١) نبت الربا ونبتها أثبت في الأرض من نبت

غيرها لطول عروقه حتى تصل إلى الماء
بخلاف نبت غيرها وثباتهم على ظهور
الخيل من شدة حزمها لا من شد الحزم
على السرج واضطربت قلوب الأعداء
من ثباتهم في الحرب خوفا منهم حتى
صارت من الخوف لا تفرق من دهشتها
بين سخال الغنم وشجاعة الفرسان
وفي البيت الأول من البديع الجناس
الحرف بين قوله شدة وشدة الأولى
بالكسر وهي القوة والثانية بالفتح
وهي المرة من الشد وهو الربط وبين
قوله الحزم والحزم وفي البيت الثاني
الجناس الحرف أيضا في قوله بهم وبهم
والجناس التشبيه بالمشتق في قوله فرقا
وتفرق ثم أخذ يبين السبب الموصل إلى
ذلك فقال :

وَمَنْ تَسْكُنُ رَسُولُ اللَّهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلَقَّهُ الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ
وَأَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّ غَيْرِ مُنْقَصِرٍ
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ
النصرة التأييد والأسد جمع أسد وهو
الحيوان المفترس والآجام جمع أجمة وهي
الغابة وتجم مضارع وجم إذا أمسك
عن الكلام وغيره لحوف أو هيبة
أو غيرها وتري تبصر ومن ولي أي
صديق والمتنصر المنتقم والمنقم بالقاف
المنكسر المقطوع والقاف بلاقطع
والرواية بالقاف .

بالطيران واستعار اسم للشبه به للشبه واشتق من الطيران بعد استعارته للاضطراب
طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من بأسهم أي
من شدتهم وقوتهم في الحرب ومن في ذلك بمعنى لام التعليل وقوله فرقا بفتحات أي
فرقا وهو مفعول لأجله أي لأجل الفرق والفرق الذي حل بهم وقوله فما تفرق بين
الهمزة والهمزة أي فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق بين الهمزة
بفتح الباء اللوحدة وسكون الهاء جمع بهمة وهي السخلة فالهمزة هي السخال وهي
أولاد الضأن وبين الهمزة بضم الباء اللوحدة وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء وسكون
الهاء وهو الشجاع فالهمزة هم الشجاعة ولا يخفى أن تفرق في كلامه بضم التاء وتشديد
الراء من فرق بالتشديد لا من فرق بالتخفيف (قوله ومن تكن برسول الله الخ)
لما ذكر أنه حصل للعداء الفرع الشديد من بأس الصحابة أشار إلى أن ذلك إنما هو
بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ومن تكن برسول الله الخ أي ومن تكن
نصرته برسول الله كالصحابة ومن هذا حذوهم الخ ولا تكون النصرة برسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته وذلك هو تقوى
الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل شيء حتى الأسد في آجامها
فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من بأسه وسلم من أعدائه وقوله
إن تلقه الأسد في آجامها تجم أي إن تلق الأسد التي هي جمع أسد وهو الحيوان
المفترس من تكون نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم حالة كونها في آجامها
التي هي جمع أجمة وهي الغابات أي المحلات التي تستتر فيها كالأشجار الملتفة تجم
بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيئته فلا يسمع لها صوت خوفا من أن يكون صوتها
دالا عليها فيأتيها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها وإنما قيد الأسد
بكونها في آجامها لأنها فيها أجزأ منها في غيرها فإنه لا يقدر أحد على أن يدخل عليها
فيها ولو اتزعت منه أعز ما يكون عليه لكن إن نصبت المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم انعكس الحال هذا ويحتمل أن المراد بالأسد الشجاعة والآجام الحصون
ويناسب حمل الأسد على حقيقتها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
الأسد وهي أنه خرج عليه سبع بالصحراء فقال أقسمت عليك برسول الله أن تسكن
فسكن ، وهذا البيت والليذان بعده [خاصيتها] أن من كان خائفا في بحر أو بر وكتبها
بريقه في كفه وأراها تلبسها فلأنها تذهب عنه بإذن الله تعالى (قوله ولن ترى من ولي الخ)
تري بصيرة على ما يقتضيه كلام بعض الشارحين ويحتمل أنها علية ومن زائدة

(١١ - باجوري - برده) [الأعراب] ومن بفتح الهمزة اسم شرط مبتدأ تكن بالفوقية والتحتية
فعل الشرط خبر من فهي عاملة في لفظه الجزم وفي محل الجملة الرفع برسول الله خبر تسكن مقدم على اسمها إن قرئ تسكن بالفوقية
نصرته اسم تسكن مؤخر وإن قرئ يكن بالتحتية فاسمها مستتر فيه يعود إلى من الشرطية ونصرته مبتدأ خبره في الجور قبله والجملة
خبر يكن إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط تلقه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف الألف والهاء يعود إلى من الشرطية

الأسد بضم الهزة وسكون السين فاعل تلقه في آجامها بمد الهزة وبالجم حال من الأسد نجم بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم جواب إن وإن وجوابها جواب من ولن حرف نفي ترى منصوب بلن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف وفاعله ضمير المخاطب من ولي مفعول ترى ومن زائدة في المفعول به غير بالجر نعت ولي على لفظه وبالنصب على محله إن كانت ترى بصرية وإن كانت عليّة فهي للمفعول الثاني منتصر بكسر الصاد مضاف إليه به متعلق بمنتصر والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ولا حرف نفي من عدو معطوف على من ولي غير نعت عدو (٨٢) وفيها ما تقدم منقسم بضم الميم وفتح القاف وكسر الصاد مضاف إليه .

[ومعنى البيتين] ومن تكن نصرته وتأيدته بإعانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو المنتصر والمؤيد ولولفته السباع في غاباتها التي هي أشد فيها بالوتوب من غيرها سكنت وخضعت له فلذلك لا تبصر وليا وصديقا مسلما الا وهو به منصور ولا تبصر عدوا كافرا الا وهو به منقسم مقهور ولا يخفى ما فيه من الموازنة والتكرير :

أَحَلُّ أُمَّتِهِ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ

كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمٍ

أحل أنزل أمة أي أمة الإجابة في حصن حصين والملة الدين الذي أملى من السماء وهو دين الإسلام والليث الأسد والأشبال جمع شبل وهو ولد الأسد وأجم بفتح تين جمع أجمة وهي الغابة . [الاعراب] أحل بفتح الهزة

والحاء المهملة فصل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمة مفعول أحل في حرز متعلق بأحل ملته مضاف إليها كالليث في موضع الحال من فاعل أحل المستتر فيه حل فعل ماض وفاعله ضمير الليث للمستتر فيه والجملة حال من الليث مع بفتح السين

وكسرها متعلق بحل الأشبال بفتح الهزة مضاف إليها في أجم بفتح الهزة والجم حال من الأشبال كثيرا

في المفعول والمراد بالولي من آمن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده وقوله به أي برسول الله فإن قيل ما الفائدة قوله ولان عدو الخ بعد قوله ولن ترى من ولي الخ مع أنه إذا أخبر بأن الولي منتصر علم منه أن العدو منقسم لأن من المعلوم أن أحد المتقابلين إذا انتصر كان مقابله بضد ذلك ، وبضدها تتميز الأشياء . أوجب بأننا لانسلم أنه إذا أخبر بأن الولي منتصر علم منه أن العدو منقسم وإنما يعلم منه أنه غير منتصر وذلك أعم من كونه منقسما لجواز أن يهزم مع سلامته والأعم لا إشعار له بالأخص وعلى تسليم علم ذلك منه ففعله منه بالزوم والمناسب لقام المدح التصريح والمنقسم بالقاف وفي بعض النسخ بالفاء والأول أولى لأن القسم بالفاء القطع من غير إبانة والقسم بالقاف القطع مع الإبانة كما تقدم (قوله أحل أمة الخ) هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكأنه قال لأنه أحل أمة الخ وقوله في حرز ملته أي في ملته الشبيهة بالحرس بالإضافة في ذلك من إضافة للشبه به للشبه كما في قول الشاعر :

والريح تعبت بالحصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وإنما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرس لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر فهي كأعظم الحصون النيرة التي لا يدخلها الا من هو من أهلها وقوله كالليث حل مع الأشبال في أجم أي فائتي صلى الله عليه وسلم حل مع أمة في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم فكأنه لا يستطيع أحد الدخول على الليث مع أشباله في الأجم لا يستطيع أحد الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمة في ملته والليث هو الأسد والأشبال هي أولاده والأجم جمع أجمة وهي الغابة أي الشجر الملتف لا يقال ما أفاده قوله كالليث الخ من أن الليث في هذه الحالة يخاف منه غيره بخلافه ما أفاده قوله سابقا إن تلقه الأسد في آجامها نجم لأننا نقول الأسد إنما نجم في آجامها من المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما استفيد مما تقدم وهذا لا ينافي أن غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا (قوله كم جدلت كلمات الله الخ) لما كانت النصرة تارة تكون بالسيف وتارة تكون بالحجج وقد تقدم الكلام على الحالة الأولى أخذ بتكلم على الحالة الثانية فقال كم جدلت كلمات الله الخ وكما خبرية في الوضعين بمعنى

وكسرها متعلق بحل الأشبال بفتح الهزة مضاف إليها في أجم بفتح الهزة والجم حال من الأشبال كثيرا

[ومعنى البيت] أنزل النبي صلى الله عليه وسلم أمة في حرز دينه الحصين من نار الكفر كما ينزل الليث مع أولاده في الغابة للتحصين من عدو يطرقهم والتشبيه بالأسد في السلطنة وكال الشجاعة ورقة الهمة وشدة البطش لمن يتمرد عليه وعدا التعرض لمن يتذلل له والشفقة على أتباعه وشبه الأمة بالأشبال لأنه صلى الله عليه وسلم أصلهم في الإسلام وأزواجه أمهاتهم وسبب حياتهم الحقيقية ومنه نشوؤهم :

كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدِيلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصِمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ

الجدالة وجه الأرض وجدته أوقه على الجدالة وكلت الله القرآن والجدل بكسر الدال المهملة كثير الجدال أى الخصومة وخضم
بفتح الحاء والصاد غلب فى الخصام والبرهان الدليل القاطع والخضم بكسر الصاد الألف الشديد الخصام . [الإعراب] كم خبرية
موضها نصب على المصدرية أو الظرفية جدلت بفتح الجيم والدال المهملة المشددة فعل ماض وتاء التأنيث كلت الله فاعل جدلت
ومضاف إليه من جدل بفتح الجيم وكسر الدال المهملة مفعول جدلت (٨٣) ومن زائدة فيه متعلق بجدل لأنه صفة

مشبهة والهاء للنبي صلى الله عليه وسلم
وكم خبرية معطوفة على كم المتقدمة خصم
بفتح الحاء المعجمة والصاد المهملة المخففة
فعل ماض البرهان بضم الموحدة فاعله
من خصم بفتح الحاء المعجمة وكسر
الصاد المهملة مفعول خصم ومن زائدة
وتمييز كم فى الموضعين محذوف .

[ومعنى البيت] كم مرة رمت الى
الأرض فى الجدالة آيات الله تعالى التى
أتى بها من عند الله تعالى شخصا كثيرا
الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع
شخصا كثير الخصام وفيه الجناس
الشبيه بالمشتق .

كفأك بالعلم فى الأمي معجزة

فى الجاهلية والتأديب فى اليتيم
الأمي منسوب الى الأم كأنه باق على
أصل الحاققة وهو فى العرف من
لا يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط
ولم يتعلم بطريق العادة من معلم
والجاهلية عبارة عن زمان لاعلم فيه
والتأديب مصدر أدبه والأدب ما يحصل
للنفس من الأخلاق الحسنة وما يحصل
من العلوم المكتسبة واليتيم مصدر يتم
فهو يتم إذا مات أبوه وهو صغير .

[الإعراب] كفأك فعل ماض
ومفعول بالعلم فاعل كفأك والباء زائدة
فى الأمي حال من العلم معجزة تمييز
فى الجاهلية متعلق بمحذوف حال من

كثيرا والمجرور تمييز لها وجدلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها أى قطعت وأزال
جداله وكلت الله هى القرآن والجدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا أى
أحكم الخصومة إحكاما وقوله فيه أى فى أمره صلى الله عليه وسلم وقوله وكم خصم
البرهان من خصم أى وكثيرا خصم البرهان الذى هو الدليل القاطع من خصم بكسر
الصاد وهو شديد الخصومة وفيه الخنف من الأواخر لدلالة الأوائل والتقدير من
خصم فيه أى فى أمره صلى الله عليه وسلم . وحاصل معنى البيت كثيرا ما أزال
القرآن جدال المجادل فى أمره صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما أزال الدليل القاطع
خصومة شديد الخصومة فى أمره صلى الله عليه وسلم والأول إشارة إلى ما وقع
فى القرآن من جواب الماعدين السائلين له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما نقل من
أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين
فإن أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن البعض وسكت
عن البعض فهو نبي فنزلت قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ونزل قل الروح
من أمر ربى فأحال علمها الى ربه والثانى إشارة الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم
من الآيات حين سأله آية على رسالته كأنه شقاق القمر وغيره ولا يخفى أن عطف
الثانى على الأول من عطف العام على الخاص [وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما]
أن من كتبهما فى ورقة بيضاء لصغير وجعلها فى قسبة وربطها فى خيط حرير وعلقها
عليه فإنه لا يصيبه شيطان ولا مرض ولا غير ذلك (قوله كفأك بالعلم الخ) لما ذكر
أنه كثيرا ما خصم البرهان من خصم عتب ذلك بذكر برهانه حيث قال كفأك بالعلم
الخ أى كفأك العلم فالباء زائدة فى الفاعل لأن زيادتها فى فاعل كفى كثيرة وقوله
فى الأمي أى فى النبي الأمي وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب نسبة للأم كأنه على الهيئة التى
نزل عليها من أمه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لأنه دليل على أن
القرآن من عند الله وأما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم والجار
والمجرور حال من العلم أو صفة له وقوله معجزة أى من جهة المعجزة فهو تمييز للنسبة
فى كفى وقوله فى الجاهلية أى الزمن الذى لاعلم فيه والجار والمجرور مثل الجار
والمجرور قبله وإعما قيد بقوله فى الأمي وقوله فى الجاهلية لأن كلا من كونه أميا وكونه
فى الجاهلية مظنة لعدم العلم لأنه لا يصحكون إلا بمطالعة الكتب العلمية وهو لا يقرأ
ولا يكتب أو بملافة العلماء وهو مستغنى فى الجاهلية فتعين أن علمه صلى الله عليه وسلم
ليس بالاعتليم من الله تعالى وقوله والتأديب فى اليتيم أى وكفأك بالتأديب فى اليتيم معجزة

العلم والتأديب بالجر عطفًا على لفظ العلم وبالرفع عطفًا على محله والأول هو الرواية فى اليتيم بضم التاء الفوقية على لغة لاتبعًا للتحية
حال من التأديب . [ومعنى البيت] كفأك أيها المخاطب بالعلم الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معجزة له مع كونه أميا لا يقرأ
ولا يكتب ومولودا جاء فى زمن الجاهلية الذين لاعلم عندهم يكتسبه منهم وكفأك بالتأديب الحاصل منه معجزة لكونه من غير
مؤدب مع أنه ربى يتقيا لأب له يؤدبه .

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَقِيلَ بِهِ ذُنُوبَ عُمَرِ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْحَدَمِ
إِذْ قَلْدَانِي مَا تَخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنِّي بِهَا هَدَى مِنَ النِّعَمِ

خدمته أي مدحته والماء للنبي صلى الله عليه وسلم والمدح عدّ الفضائل وبيانها والمدح اسم لما يمدح به من الثناء الحسن وأستقيل أطلب الإقالة والذنوب جمع ذنب وهي الجرائم وعمر الإنسان مدة حياته ومضى أي ذهب وقارب الفراغ والشعر الكلام اللوزون من أي بحر كان والخدم جمع خدمة وهي (٨٤)

في عنقه والحشية الخوف والعواقب جمع عاقبة وهي ما يتوَلَّى إليه الأمر آخرها وعاقبة كل شيء آخره والهدى ما يهدي إلى الحرم من النعم وهي الإبل غالباً . [الإعراب] خدمته بضم التاء فعل ماض وفاعل ومفعول بمدح متعلق بخدمته أستقيل بفتح الهمزة وكسر القاف فعل مضارع وفاعله ضمير المتكلم مستتر فيه وجوابه متعلق بأستقيل والضمير للمديح ذنوب بضم الدال المعجمة مفعول أستقيل عَمَرَ بضم المهملة وسكون الميم مضاف إليه مضى بفتح الضاد المعجمة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى عمر والجملة نعت له في الشعر بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة متعلق بمضى والخدم بكسر الحاء المعجمة وفتح الدال المهملة معطوف على الشعر إذ بسكون الدال المعجمة تعليل أستقيل قلداني بفتح القاف واللام والدال وحسب التوَن وفتح الياء فعل وفاعل ومفعول أول وضمير التثنية وهو الألف يعود إلى الشعر والخدم مانكرة موصوفة في موضع المفعول الثاني أي أمراً تخشى بضم التاء القوية وسكون الحاء وفتح الشين المعجمتين

فهو معطوف على قوله بالعلم لكن المراد بالمعجزة مطلق الأمر الحارق للعادة وإن لم يكن مقروناً بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة فاندفع ما يقال إن كونه صلى الله عليه وسلم مؤدباً في حال يتمه لا يعد معجزة لأن المعجزة هي الأمر الحارق للعادة المقرون بالتحدي وهو صلى الله عليه وسلم في حال يتمه لم يتحد لأن التحدي لا يكون إلا بعد الأربعين والمراد من التأديب التأديب أو أنه مصدر البني للمفعول فهو بمعنى كونه مؤدباً ليكون وصفاً للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما قيد بقوله في اليتيم بضميتين كما هو لغة في اليتيم بضم فسكون لأن شأن اليتيم وهو الصغير الذي لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون في غيره فإن الأب غالباً يهتم بتأديب ابنه ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة بخلاف غير الأب وهو صلى الله عليه وسلم قد مات عنه أبوه قبل ولادته وقيل بعدها وتربى عليه الصلاة والسلام في كفالة عمه أبي طالب وكان صلى الله عليه وسلم مؤدباً بأحسن الأخلاق على خلاف العادة في اليتيم وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله أدبني فأحسن تأديبي وبالجملة فقد بلغ صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغه من تصدى لها ومن الآداب ما لا يناله من له مؤدب فدل ذلك على أنه رسول الله حقاً (قوله خدمته بمدح الخ) أي خدمته صلى الله عليه وسلم بما تقدم من المدح أطلب من الله أن يقبلني بسبب هذا المدح ذنوب عمر مضى في الشعر مدحا لأبناء الدنيا والخدم بكسر الحاء المعجمة وفتح الدال المهملة جمع خدمة فالمراد بالمديح ما تقدم من المدح والسين والتاء للطلب كما تقدمت الإشارة إليه وجملة قوله مضى الخ صفة لعمر وقد ذكر بعضهم أن الناظم كان في مبدأ أمره كاتب إنشاء عند بعض السلاطين وقيل إنه كان وزيراً وهذا وإن كان مباحاً إلا أنه قد يهوج إلى الحرم كما يؤخذ من البيت بعده [ومن هنا إلى آخر قوله ولم أرد زهرة الدنيا خاصيتها] للسبوح تكتب بماء الطر والورد وتمحى وشر بها فإنها تزول سريعاً بإذن الله تعالى (قوله إذ قلداني الخ) أي لأنهما قلداني الخ فهذا البيت تعليل للبيت قبله والضمير الفاعل في قلداني للشعر والخدم وقوله ما تخشى عواقبه أي آثاماً تخشى عواقبها من أنواع العذاب إن لم يفرها الله تعالى فما واقعة على الآثام والمراد بعواقبها أنواع العذاب وقوله

صكأتني

فعل مضارع مبني للمفعول عواقبه نائب الفاعل والجملة نعت ما ورا بطها الماء من عواقبه

كأنني حرف تشبيه وياء التثنية اسمها بهما بكسر الواحدة حال من اسم كان هدى بفتح الهاء وسكون الدال خبر كأن من النعم بفتحين نعت هدى . [ومعنى البيتين] مدحت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدح أطلب من الله تعالى أن يقبلني به من أوزار عمر انقضى غالبه في إنشاد الشعر والخدم لأبناء الدنيا من الملوك وأصحاب الدولة فإن الشعر والخدم كلفاني ارتكاب أمور من السكاره تخشى عواقبها كأنها قلادة في عنق وكأني في التقليد كأنهم القلدة للهدى إلى الحرم وفي البيت الأول رد العجز على الصدر في قوله خدمته والخدم وفي التشبيه بالهدى دقيقة وهي أنه خشي على نفسه الهلاك المتوقع للابل القلدة .

أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمَ وَمَنْ يَبِيعُ آجِلًا مِنْهُ بِمَاجِلِهِ
فَيَا خُسَارَةَ نَفْسِي فِي تِجَارَتِهَا

أطعت امتثلت والتي الضلال والصبا حدائة السن والحالتين حالة (٨٥) الشعر وحالة الخدم والآثام الذنوب والندم

الحسرة والخسارة ضد الريح والتجارة
التقليب في المال اطلب الريح والسوم
العرض للشراء والآجل بعد المهمة ضد
العاجل ويسع يعطى وبين يظهر والعين
النقص والسلم صنف من البيع .

[الاعراب] أطعت بضم التاء فعل
وفاعل غي بفتح العين المصحة مفعول
به الصبا مضاف اليه في الحالتين متعلق
بأطعت وما حرف نفي حصلت فعمل
وفاعل الاحرف إيجاب على الآثام بفتح
المهمزة المدودة والمثلثة متعلق بحصلت
على الاستثناء الفرج والندم بفتح
النون والبدال المهمة معطوف على الآثام
فيا حرف نداء خسارة نفس منادى على
طريق التعجب أى ما أخسر نفسا
في تجارتها متعلق بخسارة لم تشتت بالمشاة
فوق جازم ومجزوم نعت نفس الدين
بكسر الدال المهمة مفعول تشتت بالدنيا
متعلق بتشتت ولم تسم بضم السين
المهمة معطوف على لم تشتت ومن بفتح
الهم اسم شرط مبتدأ بيع خبرها آجلا
بعد المهمة مفعول بيع منه نعت آجلا
والضمير لمن بماجله متعلق ببيع بين
بفتح الياء المشاة تحت وكسر الوحدة
جواب الشرط له متعلق بين العين
بفتح الصجمة وسكون الوحدة فاعل
بين في بيع متعلق بالعين وفي سلم بفتح
السين واللام معطوف على في بيع .

[ومعنى الأبيات الثلاثة] امتثلت

أمر ضلال الصبا في حالة اشتغالي بالشعر وفي حالة اشتغالي بخدم الناس لما حصل لي إلا الآثم والندامة فما أخسر نفسي في تجارتها
إذا لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تتعرض لأخذه بل أخذت الدنيا وتركتم الدين الذى تنجوبه في الآخرة وما مثلها في الخسارة
إلا مثل من باع عينا حاضرة بدين غائب فإنه قد يتخلف الوفاء بالدين فيؤدى إلى العين سواء وقع العقد بلفظ البيع أم بلفظ السلم
فكيف من باع ما ينفعه آجلا بما يضره عاجلا فإنه أشد غيبا ،

كاننى بهما هدى من النعم أى كائن بسبب الشعر والخدم هدى من النعم التى هى
الإبل والبقر والنعم ومن شأن الهدى أن يقلد بحمل شئ في عنقه من نعل ونحوه ليعلم
أنه هدى . وحاصل المعنى أن الشعر والخدم جعلوا الآثام التى تخشى عواقبها من أنواع
المذاب قلادة في عنق فصرت بسببها أشبه الهدى من النعم فكما لا يخفى حال الهدى
على من رآه بما جعل في عنقه من نعل ونحوه كذلك لا يخفى حالى على من رآنى
وعرف حالى بما اكتسبته من الآثام التى تخشى عواقبها بسبب الشعر والخدم (قوله
أطعت غي الصبا الخ) بين بهذا البيت سبب كون الشعر والخدم قلده الآثام التى
تخشى عواقبها وذلك السبب هو اطاعة غي الصبا والنمى ضد الهدى وأضيف للصبا
لأنه يدعو إليه فإنه زمن الجهل والبطالة وقوله في الحالتين أى حالى الشعر والخدم
وقوله وما حصلت إلا على الآثام والندم أى وما حصلت منهما إلا على الآثام التى صدرت
منى وعلى الندم على تلك الآثام (قوله فيا خسارة نفس الخ) هذا البيت تحقيق للندم
وتبكيت للنفس لأن فيه نداء عليها بالخسارة في تجارتها فكأنه قال يا خسارة نفس
موصوفة بما ذكر احضرى فهذا أوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه
النفس والتعجب منها فإن عادة العرب إذا استعظموا شئنا وتعجبوا منه نادوه ليحضر
وقوله في تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتت الدين بالدنيا أى لم تأخذ الدين بدل
الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقي الى الحسيس الفانى وقوله ولم تسم بفتح المشاة
الفوقية وضم السين المهمة أى ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا بل أخذت الدنيا
وتركت الدين الذى تنجوبه في الآخرة وكأن الناظم عن نفسه فنادى عليها بالخسارة
حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا ولومحجها التوفيق لترك ذلك واشتغلت بالدين
لكن التوفيق بيد الله يعطيه من يشاء (قوله ومن يبيع آجلا منه الخ) هذا البيت
تتميم لتحقيق الندم وتبكيت النفس لأن فيه توعدا بالعين حيث بين فيه أن من
يبع الآجل بالعاجل يظهر له العين والمراد بالآجل الثواب الذى يكون في الآخرة
الحققة الباقية وبالعاجل الذى يأخذه من الدنيا الداهية الفانية وهذا على ما في كثير من
النسخ مما نصه ومن يبيع آجلا منه بعاجله وفي بعضها ومن يبيع عاجلا منه بآجله وعليه
فالمراد بالعاجل الثواب الذى يكون في الآخرة الحققة الباقية وبالآجل الشئ الذى
يأخذ من الدنيا الفانية الداهية وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة آجلة
ولما كان الثواب المذكور محققا ولا بد أطلق عليه عاجل لأنه كأنه حاصل بالفعل
ولما كان الشئ الذى يأخذه من الدنيا غير محقق أطلق عليه آجل والظاهر أن الضمير

إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمَنْتَقِضٍ مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمَنْتَصِرٍ
فَإِنْ لِي ذِمَّةٌ مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَدًّا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمِّ

العهد الميثاق وتنقض العهد عدم الوفاء به (٨٦) والحبل الوصل والنصرم المنقطع والذمة الأمان قاله أبو عبيدة

في منه راجع للدين في البيت قبله كذا قال بعض الشارحين والأظهر أنه راجع لمن
بيع كالضمير في عاجله وقوله بين له العين أي يظهر له الخداع وقوله في بيع وفي سلم
كل منهما متعلق بالعين والمطف في ذلك من قبيل عطف التفسير لأن البيع المذكور
في كلام المصنف يسمى سلما فاندفع ما يقال الذي تقدم في كلام الناظم هو صورة السلم
وأين صورة البيع غير بيع السلم وبعض الشارحين طرّف احتمال أن يكون في كلام
الناظم حذف والتقدير ومن بيع أجلا من متاع الآخرة بأجله من متاع الدنيا
أو يشتري عاجلا من متاع الدنيا بأجله من متاع الآخرة فقوله في بيع راجع للصورة
الأولى وقوله وفي سلم راجع للصورة الثانية وفيه تكلف (قوله إن آت ذنبا إلخ) هذا
البيت تأنيس للنفس وترجّ لها في رحمة الله تعالى وآت أصله آت بهزتين قلبت
الثانية ألفا فصارت بالمد وهو مجزوم بأن الشرطية وعلامة جزمه حذف الياء وقوله
لما عهدي بمنقض من النبي أي لما إيماني بمنقطع عن النبي لأن الذنب لا ينقض
الإيمان فالمراد بالعهد الإيمان فتكون الإضافة في قوله عهدي للعهد والمهود هو
الإيمان وقوله ولا حبلي بمنصرم أي ولا وصلي بمنقطع من النبي صلى الله عليه وسلم
فالحبل مستعار للوصل وفي البيت الحذف من الثاني لدلالة الأول كفا في نظائره والتقدير
ولا حبلي بمنصرم من النبي (قوله فإن لي ذمة إلخ) هذا البيت تعاليل للبيت قبله ووجه
ذلك أن اختياره التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته فيه فإنه لا يسمى
بالاسم إلا من أحب مسما وأما من يكرهه فلا يسمى به وقوله وهو أوفى الخلق بالذم
أي وهو صلى الله عليه وسلم أشدهم وقابها فيقوم بحقها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه
وعلو مكانته عند ربه وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم
وقد جاء في ذلك أحاديث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بـ
استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل عبادي ادخلا الجنة
فأبى آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد وعن جعفر بن محمد
إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقيم من اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه
صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر ينادى يوم القيامة يا محمد فيرفع رأسه في الموقف
فيقول الله عز وجل أشهدكم أنني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن أبي أمامة
من ولده مولود فسماه محمدا تبركا كان هو ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من

والتسمية جعل الاسم علما على الذات
وأوفى اسم تفضيل من وفي بالعهد
إذا رعى مقتضاه والذم جمع ذمة .

[الإعراب] ان بكسر الهمزة
وسكون النون حرف شرط آت بعد
الهمزة وكسر التاء الفوقية فعل الشرط
وفاعله مستتر فيه وجوبا ذنبا بفتح
المعجمة وسكون النون مفعول آت فما
حرف نفى عهدي اسمها بمنقض بالعطف
والضاد المعجمة خبرها من النبي متعلق
بمنقض ولا حرف نفى حبل بفتح الحاء
المهملة وسكون الواو الواحدة اسمها بمنصرم
بضم الميم وفتح الصاد وكسر الراء
للمهملتين خبرها والباء زائدة في الموضعين
وجملة لما عهدي إلخ جواب الشرط على
إقامة السبب مقام السبب والأصل
إن آت ذنبا فإن أرجو ستره وغفرانه
لأن عهدي ثابت ولا يصح جعلها جوابا
أصالة لفساد المعنى فإن مفهومه أنه إذا لم
يأت ذنبا فإنه ينقض عهده وليس
كذلك لأن عهده ثابت على كل حال
سواء أت ذنبا أم لا فإن بكسر الهمزة
وتشديد النون حرف توكيد لي خبرها
مقدم ذمة بكسر الدال المعجمة اسمها
مؤخر منه نعت ذمة والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم بتسميته متعلق بذمة
والباء للسببية وتسميته مصدر يتعدى
لمفعولين وهو مضاف إلى مفعوله الأول
وهو ياء المتكلم محمدا مفعوله الثاني

اسمه

وهو أوفى بفتح الهمزة وانفاء مبتدأ وخبر الخلق مضاف إليه بالذم

بكسر الدال المعجمة وفتح الميم الأولى متعلق بأوفى : [ومعنى البيتين] إن عدت بعد توبتي وأتيت ذنبا فإن أرجو غفرانه
فإن تقضى التوبة لا ينقض عهدي من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقطع سبب الوصلة به فإن لي أمانا منه بسبب تسميته باسمه
الشريف وارثا لثواب الذنب لا يقطع التسمية فإنه أكثر الناس وفاء بالعهد .

بِحَسْبِ جَعْنٍ فِي مَعَادِي آخِذًا يَبْدَى فَضْلاً وَإِلَّا قُتِلَ بِمَازَلَةِ الْقَدَمِ
حَاشَا أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ

المعاد المود إلى دار الجزاء والأخذ باليد الخلاص من الشدة والفضل التبرع وزلة القدم كناية عن الوقوع في الشدة وحلها أي
تنزيهه أن يحرم أي يمنع والرجاء الطمع في يمكن الحصول والمكارم جمع (٨٧)

الداخل في الجوار والمهترم الموقر .

[الإعراب] إن حرف شرط لم حرف
جزم يكن بالياء المثناة التحتية مجزوم
لم ولم يكن في محل جزم بأن واسم
يكن مستتر فيها يعود إلى النبي صلى الله
عليه وسلم في معادى بفتح الميم والعين
وكرر الدال المهملتين متعلق بـيكن
آخِذًا بهمزة ممدودة وبهاء وذال
معجمتين خبر بـيكن يبدى متعلق بآخِذا
فضلا مفعول لأجله منصوب بآخِذا
وإلا حرف شرط مقرون بلا النافية
وفعل الشرط وجوابه محذوفان أي
وإن كان آخِذا يبدى فزت لأن نفي
النفي إثبات والجملة مقترنة بـأو الاعتراض
بين الشرط الأول وجوابه وفي بعض
الشروح تقديره وإن لم يكن آخِذا
يبدى وهو توكيد للشرط الأول وفيه
نظر من جهة حذف الشرط والعطف
بـأو فإن الحذف يتأني التوكيد
والعطف في توكيد الجملة خاص بهم
والأول قاله ابن مالك والثاني قاله
أبوحيان ثم إن سمعت من يقول بين
اليقظة والنام قوله وإلا زائدة في الكلام
فعل جواب الشرط الأول يا حرف نداء
زلة بفتح الزاي منادى منصوب القدم
بفتح الدال مضاف إليه أي بازلة القدم
تعالى فهذا أو أنك حاشاء مصدر منصوب

اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك للنزل مرتين وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه
وسلم أمر مندوب إليه نسأل الله تعالى أن ينظمتنا في سلك محبته عنه وفضله ورحمته
(قوله إن لم يكن في معادى الخ) أي إن لم يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودى إلى
الله تعالى آخِذا يبدى بأن يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه لالسابقة منى تقتضى ذلك
فعل يازلة القدم وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة وإلا أي وإلا لم يكن
في ذلك اليوم آخِذا يبدى بأن كان آخِذا يبدى فعل يثبت القدم وهو كناية عن حسن
الحال وحصول النعمة فقوله خطابا لمن جرده من نفسه فعل يازلة القدم جواب الشرط
الأول وهو قوله إن لم يكن في معادى آخِذا يبدى وجواب الشرط الثاني وهو قوله
وإلا فإن أصله إن الشرطية المدغمة في لا النافية محذوف لدلالة المقام والسياق عليه
والتقدير والا فقل يثبت القدم أي وإن انتفى لم يكن آخِذا يبدى بأن كان آخِذا يبدى
فعل يثبت قدمي وهذا يندفع استحكال هذا البيت بأن الظاهر منه أن قوله فقل
يازلة القدم جواب الشرط الثاني فيصير المعنى وإن انتفى لم يكن آخِذا يبدى بأن كان
آخِذا يبدى فقل يازلة القدم وهذا فاسد لاشك في بطلانه وهذا كله على ما في النسخ
من قوله إن لم يكن في معادى الخ وقيل الرواية فإن يكن في معادى الخ وعليه فلا إشكال
لأن جواب الشرط الأول محذوف للعلم به من المقام والسياق وجواب الشرط الثاني
مذكور بقوله فقل يازلة القدم وتقدير البيت على هذا فإن يكن صلى الله عليه وسلم
في يوم عودى إلى الله تعالى آخِذا يبدى بأن يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه
لالسابقة منى تقتضى ذلك فقل يثبت القدم والا أي وإن لم يكن كذلك فقل يازلة
القدم وهذا ظاهر لا إشكال فيه (قوله حاشاء أن يحرم الخ) هذا البيت لزيادة تسكين
النفس من خوفها وتقوية تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى الحاشاة وهي
التزیه فهو واقع موقع الصدر فيكون منصوبا بفعل مضمر والتقدير أحاشيه حاشاء
أي أنزهه تنزيهه والضمير للتصل به في محل جر باضافته إليه وأما حاشا المستعمل
في الاستثناء فتارة يستعمل فعلا وتارة يستعمل حرفا كما هو مشهور وقوله أن يحرم
الراجي مكارمه أي من أن يحرم النبي صلى الله عليه وسلم الراجي منه مكارمه فهو
على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والراجي مفعول
وسكنت ياؤه على لنة والمكارم جمع مكرومة والمراد منها الشفاعة ويجوز ضم ياء يحرم

بفعل محذوف والماء مضاف إليها والتقدير أحاشيه حاشا أي أنزهه تنزيها أن يفتح الهمزة وسكون النون يحرم بضم أوله
وكسر ثالثة مضارع أجزم مبنى للفاعل وفاعله مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم الراجي بسكون الياء على لغة مفعوله الأول
مكارمه مفعوله الثاني أو يرجع بالنصب عطفا على يحرم الجار بالجم فاعل يرجع منه متعلق بـيرجع والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم غير حال
من الجار محترم بفتح التاء والراء مضاف إليه . [ومعنى البيتين] إن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة لدار الجزاء
آخِذا يبدى فيشفع لي فضلا منه وإحسانا إليّ وإلا فيازلة قدمي عن الصراط المستقيم إلى نار الجحيم وإن كان كما أرجو فروح وريحان

على أنه مضارع أحرم وفتحها على أنه مضارع حرم فإنه يقال أحرمه يحرمه بضم الياء
 وحرمه يحرمه بفتحها ويصح بناء الفعل للفاعل وقد قدمنا الحل عليه ويصح أيضا
 بناؤه للمفعول وعليه فالراجح نائب فاعل وتسكين يائه حينئذ ظاهر وقوله أو يرجع
 الجار منه غير محترم الظاهر أن أو بمعنى الواو فالمعنى وحاشاه من أن يرجع الجار منه
 أى للاستجير به الداخلة في جواره حال كونه غير محترم بل يرجع محترما بشفاعته
 صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى الاستجير ومنه بمعنى به وغير محترم حال من الجار .
 جلنا الله من أهل شفاعته أجمعين (قوله ومنذ ألزمت أفكاري الخ) هذا البيت
 استدلال على قوة رجائه وأنه لا يخيب في ظنه فكأنه قال إنما قوى رجائي وأنى
 لا أخيب في ظني لأنى منذ ألزمت أفكاري الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجوده
 وأفكاري مفعول أول لألزمت ومدائحه مفعوله الثانى والضمير العائد على النبي
 صلى الله عليه وسلم مفعول أول لوجدت وخير ملتزم بكسر الزاى مفعوله الثانى وبه
 يتعلق الجار والمجرور قبله وتقدير البيت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن
 الذى ألزمت فيه أفكاري مدائحه خير ملتزم لخلاصى من جميع الشدائد التى تصيبني
 والأفكار جمع فكر وهو حركة النفس فى العقولات والدائخ جمع مدح وهو الثناء
 الحسن وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لأنه وفى بخلاصه
 منها على أحسن الوجوه وأتمها وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذى كان أصابه وهو
 داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب فى إنشاء هذه القصيدة فإنه لما
 أصيب به عملها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ومسح بيده الكريمة عليه
 فعوفى فلما استيقظ قال له بعض أصحابه الصالحين أسمعنى القصيدة التى مدحت بها النبي
 صلى الله عليه وسلم فلقد سمعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتأيل مثل القضب
 (قوله ولئن يفوت الفنى الخ) هذه الجملة مستأنفة والفنى بالكسر مع القصر اليسار ومع
 اللد تطرب الصوت مع سرور وبالفتح مع القصر الإقامة ومع اللد الكفاية والضمير
 فى منه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف إماسة
 للفنى أحوال فالأول إن قدر معرفة والثانى إن قدر نكرة ومنع للاشتداء وقوله بدا
 مفعول وجملة قوله تربت صفة ليدا وتربت بكسر الراء أى التصقت بالتراب لسكونها
 مفتقرة افتقارا حسيا بأن ضيقت ما كانت فيها من الأموال أو معنويا بأن ضيقت
 ما كان لها من الثواب لاقترافها المعاصى وإنما لم يفوت الفنى منه صلى الله عليه وسلم
 اليد المذكورة لمعوم الفنى منه صلى الله عليه وسلم لجميع الأيدي التى تكون كذلك
 ومنها يد الناظم وقد استدل على ذلك بقوله إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكمل ووجه
 الاستدلال بذلك أنه كما يشاهد محسوسا أن الحيا بالقصر الذى هو المطر ينبت الأزهار
 جمع زهر فى الأكمل بضمين جمع أكمة حكتفص جمع قصبة والأكمة هى الروبة
 أى الحل المرتفع من الأرض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الماء عليها
 لمعواها كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الفنى من ليس مظنة الفنى وهو اليد التى تربت
 وإنما نبت الحيا الأزهار فى الأكمل مع أنها مظنة عدم النبات بسبب عدم استقرار الماء

وجنة نعيم وحاشى قدره الجليل أن يحرم
 الراجح الدليل كرمه الجزيل وأن يرجع
 من التبجأ إلى جواره النسيم وجنابه الرفيع
 محروما من نواله الواسع .

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
 وَجَدْتُهُ خَيْرَ مُلْتَزِمٍ
 وَلَنْ يَفُوتَ الْفَنَى مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ
 إِنَّ الْحَيَا يَنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ

وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَعَتْ يَدَا زَهْرِيرٍ بِمَا أَتْنِي عَلَى هَرَمٍ

أثرت نفس الأمر أي جعلتها لازمة له والأفكار جمع فكر وهو قوة في الإنسان يحصل به التأمل والمدائح جمع مدحجة لاجمع مدحج لأن فيلا لا يجمع على فاعل تكفل وأوجب على نفسه وقائه الشيء سبقه فلم يدركه والغنى الاستغناء بالشفاعة عن الأعمال وبدا ترتب أي افتقرت والحيا بالقصر المطر والأزهار جمع زهر والأكرم جمع أكمة بفتح الكاف الربوة وزهرة الدنيا نعيمها واكتطفت جنت وزهير هو ابن أبي سلمى بضم السين للزنى والزاي والنون وكان بمدح هرم بن سنان المرءى بالمهملة وهو من أجواد ملوك العرب حصل زهير منه عطايا كثيرة خارجة عن العادات ، ومن مدحه له قوله :

قف بالديار التي لم يصفها القدم * بلى وغيرها الأرواح والديم إن البخيل ملوم حيث كان ولعلكن الجواد على علته هرم هو الجواد الذي يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فينظم وإن أئاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم [الاعراب] ومنذ ظرف زمان لمخولها على الجملة الفعلية في محل (٨٩) نصب بوجدت ، أثرت بضم التاء فعل

وفاعل أفكارى بفتح الهمزة مفعول أول لأثرت مدائح مفعوله الثاني وجدته بالجيم فعل وفاعل ومفعول أول خلاصى متعلق بوجدت خير مفعول ثان لوجدت ملترزم بكسر الزاي على الرواية الشهيرة مضاف إليه ولن يفوت بالفاء والثناة الفوقية ناصب ومنصوب الغنى بكسر الغين المعجمة وفتح النون فاعل يفوت منه متعلق يفوت والهاء للنبي صلى الله عليه وسلم يدا بفتح الياء التحتية مفعول يفوت تربت بفتح التاء الفوقية وكسر الراء وفتح الموحدة فعل وفاعل نعت يدا إن بكسر الهمزة وفتح النون المشددة الحيا بفتح المهملة والياء للثناة التحتية والقصر اسم إن يثبت بضم الياء التحتية وسكون النون وكسر الموحدة فعل مضارع وفاعله

عنها وسرعة انحداره عنها لعمومه حتى للأكرم والتشبيه المذكور إنما هو على سبيل التقریب وإلا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كاله إلا الله تعالى (قوله ولم أَرِدْ زهرة الدنيا الخ) لما كان قوله ولن يفوت الغنى الخ يوم التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا دفع هذا التوهم بقوله ولم أَرِدْ زهرة الدنيا الخ أي وإنما أردت الغنى منه في الآخرة بالشفاعة في المؤمنين والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره وإنما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعا فيكون في ذلك استعارة تصريحية والتعبير بالانقطاع ترشيح لها وهو إما باق على حقيقته أو مستعار للأخذ وقوله يدا زهير فاعل باقتطفت والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبي سلمى بضم السين أبو كعب صاحب بانت سعاد القصيدة المشهورة وله أخت تسمى الحفساء كانت شاعرة مشهورة وكان الشعر فيهم وراثته ولذلك كان زهير من الشعراء المتقدمين على سائر الشعراء الجاهلية كأمير القيس والناطقة الدياني وعنتر وطرفة بن العبد وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير وعمره مائة سنة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعذني من شيطانه فما لأك بعدها بيتا حتى مات وقوله بما أتني على هرم أي بالمدح الذي أتني به على هرم بكسر الراء وهو أحد أجواد العرب وكان أحد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان بالحاء المهملة وبعدها مشاة تحتية وكان يصل زهيرا بالصلوات الجزيلة الخارجة عن العادة ومن جملة ما وافق

(١٢ - باجورى - برده) مستتر فيه يعود الى الحيا الأزهار بفتح الهمزة وسكون الزاي مفعول به في الأكرم

بفتحتين متعلقين بيبنت ولم أَرِدْ بضم الهمزة وكسر الراء فعل وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا زهرة بفتح الزاي مفعول به الدنيا مضاف إليها التي اسم موصول اقتطعت صلة التي وعائدها محذوف أي اقتطعتها يدا فاعل اقتطعت وحذفت النون للإضافة بناء على أنه منى ويجوز أن يكون مفردا مقصورا على لغة من قال : يارب ساريات ما توسدا إلا ذراع العيس أو كفف اليد زهير بضم الزاي وفتح الهاء مضاف إليه بما الباء للسببية متعلق باقتطعت وما حرف موصول أتني بفتح الهمزة وسكون المثناة وفتح النون فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى زهير والجملة صلة ما على هرم بفتح الهاء وكسر الراء متعلق بأتني .

[ومعنى الآيات الثلاثة] ومنذ أثرت أفكارى مدائح وجدته خير ملترزم خلاصى من كل مكروه وعطايه لانفوت يد فقير ذى فاقة فان المطر إذا نزل إلى الأرض عم الصالح منها وغير الصالح وأثبت الرياحين والأزهار على رؤوس المنازل وأطراف الروابي وأنا على قفري ومسيس حاجتى ما أريد على مدحه شيئا من حطام الدنيا مثل ما حصل لزهير من هرم بن سنان بسبب ثنائه عليه حيث مدحه لحطام الدنيا القانية وإنما أريد الشفاعة من وزير البضاعة وأقول :

له معه إنه حلف أنه كلما مدحه أعطاه غرة عبدا أو أمة أو قيمتها وإنه كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى إنه من كثرة إعطائه له استغنيا منه فكان إذا رآه في قوم قال أنعموا صباحا غير هرم فكل هذا لم يردده الناظم لإجلال مدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك إذ لا يتوصل بالعظيم إلا لليل عظيم (قوله يا أكرم الرسل الخ) لما مدح النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإخبار عن الغائب أقبل بالخطاب عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا أكرم الرسل وفي بعض النسخ يا أكرم الخلق ولكونه صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل وأكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى وهي شفاعة صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء كما تقدم وقوله مالى من أئود به سواك أى ليس لى أحد أتجئ إليه غيرك وقوله عند حلول الحادث العمم أى عند نزول الحادث العام أى الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك الحادث هول يوم القيامة فإن كلام الرسل يقول حينئذ نفس نفس ويخبر بأن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى وقيل المراد بذلك الحادث الموت (قوله ولن يضيق رسول الله جاهك الخ) أى بل هو رجب واسع يسع كل عاص مثلى لجذ على بالشفاعة لتتقدى مما استحقه من العقاب والمراد من الجاه القدر والمنزلة وهو مأخوذ من الوجاهة وهى رفعة القدر وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه أى معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأي وقوله بى أى عني وقوله إذا الكريم تحلى باسم منتقم أى وذلك أعنى عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت كون المولى اتصف باسم هو منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة وذلك الوقت هو يوم القيامة وتحلى بالحاء المهملة بمعنى اتصف وبالجم بمعنى انكشف والأول أصح رواية والآخر أصح دراية وهذا الشرط لا مفهوم له فهو مفهوم موافقة لأن جاهه عليه الصلاة والسلام لا يضيق فى كل وقت وقد قيل فى كلام الناظم إشكال كبير وقلق عسير أما الإشكال فلا أنه يقتضى أن الكريم يتصف فى المستقبل بالانتقام لأن إذا للاستقبال مع إن صفاته تعالى قديمة لم تزل ولا تزال وأما القلق فلا أن الاسم عند أهل السنة هو المسمى وحينئذ فيكون التقدير إذا اتصف المسمى الذى هو الكريم بالمسمى الذى هو الاسم وهو المسمى الذى هو المنتقم وهو فى غاية القلق ورد ذلك بأن كلام الناظم مبنى على طريق أبى الحسن الأشعرى وهو الرضى من مذهب أهل السنة. وحاصله فى ذلك أن الكريم والمنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية عند الأشاعرة حادثة لأنه لا يرجع منها إلى الفاعل معنى قائم به ولذا قال أئمتنا لا يتصف البارى تعالى بكونه خالفا فى الأزل إلا مجازا ولا نسلم أن كل اسم عين المسمى بل من أسمائه تعالى ما هو غيره وهو كل مادلت التسمية به على فعل كالحالقي وبذلك اندفع الإشكال والقلق فى كلام الناظم نعم يرد عليه أنه يؤذن كلامه باجتماع صفتين متضادتين فى وقت واحد فى محل واحد فإن المراد بالكريم التجاوز عن الذنب أو ما يتضمن ذلك والمراد بالانتقام المؤاخضة بالذنب ولا يتأتى اجتماعهما فى الوقت الواحد فى المحل الواحد ويحاج بأن المراد بالكريم من شأنه الكرم

يَا أكرم الخالق مالى من أئود به
سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بى
إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فَإِنْ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ

أَوْذُ التَّجْبِيءِ سِوَاكَ غَيْرِكَ وَحُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ وَقُوعِ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ وَالْجَاءِ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ أَيْ الْخَالِقِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَتَعَالَى شَأْنُهُ وَتَحَلَّى بِالْمُهْمَلَةِ أَيْ اتَّصَفَ وَالرَّادِ وَقَعَ الْإِنْتِقَامُ لِأَنَّ التَّحْلِيَةَ تَجِدُ الصِّفَةَ وَهِيَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ وَاللَّتَقَمِ الْمَعْقَبِ لِمَنْ عَصَاهُ وَضَرَةَ لِلرَّأَةِ امْرَأَةً زَوْجَهَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَهُمَا مِنْ ضَرَرٍ لِلْعَاشِرَةِ فَلَا تَسْكَدَانِ تَجْتَمِعَانِ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ كَمَا أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرَتَانِ لِأَنَّهُمَا لَا تَجْتَمِعَانِ لَطَالِبٍ وَاحِدٍ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّنَافِي وَالْمَعْلُومِ جَمْعُ عِلْمٍ وَإِنَّمَا جَمْعُ بَاعْتِبَارِ أَنْوَاعِهِ وَلِلنَّاسِ أَقْوَالٌ شَقِيَّةٌ فِي حَقِيقَةِ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ وَلِلرَّادِ هَذَا عِلْمٌ مَا كَتَبَهُ الْقَلَمُ وَثَبَتَ فِي اللُّوحِ . [الإعراب] يَحْرَفُ نِدَاءُ أَكْرَمِ الْخَالِقِ مَنَادِي مَنْصُوبٍ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ مَا حَرَفَ نَفِي لِي خَيْرٍ مَقْدَمٍ مِنْ يَفْتَحُ لِي مَبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَهُوَ نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ بِمَعْنَى أَحَدٍ أَلُوذُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَضَمِّ اللَّامِ وَبِالدَّالِّ الْمَعْجَمَةِ فَعَلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرَفٍ فِيهِ وَجُوبًا بِهِ مُتَعَلِّقٌ بِأَلُوذِ وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ مِنْ وَعَائِدِهَا الْمَاءُ مِنْ بِهِ سِوَاكَ بِكَسْرِ السِّينِ وَالْقَصْرِ بَدَلٌ مِنَ النِّكَرَةِ أَوْ صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لَهَا أَيْ غَيْرِكَ (٩١) أَوْ ظَرَفٌ مَكَانٌ أَيْ مَكَانَكَ عِنْدَ مَنْصُوبٍ

بِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْإِسْتِقْرَارِ حُلُولُ بَضْمِ الْمُهْمَلَةِ وَاللَّامِ الْأُولَى مُضَافٌ إِلَيْهِ وَمُضَافٌ أَيْضًا الْحَادِثُ بِالْمُهْمَلَةِ وَالْمَثَلَةُ مُضَافٌ إِلَيْهِ الْعَمَمُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ الْمِيمِ نَعَتْ الْحَادِثِ وَلَنْ يَضِيقَ يَفْتَحُ الْيَاءُ الْمُنَاةَ التَّحْتِيَّةَ وَكَسَرَ الضَّادِ الْمَعْجَمَةَ نَاصِبٌ وَمَنْصُوبٌ رَسُولُ اللَّهِ بِالنَّصْبِ مَنَادِي مُضَافٌ سَقَطَ مِنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ جَاهُكَ بِالْجِيمِ وَضَمُّ الْمَاءِ فَاعِلٌ يَضِيقُ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ بِي بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ مُتَعَلِّقٌ يَضِيقُ إِذَا بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الدَّالِّ الْمَعْجَمَةِ ظَرَفٌ لِمَا يَسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ الْكَرَمِ فَاعِلٌ فَعَلٌ مَعْدُوفٌ يَفْسِرُهُ تَحَلَّى وَالتَّقْدِيرُ إِذَا تَحَلَّى الْكَرِيمُ عَلَى حَدِّ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ تَحَلَّى بِفَتْحِ الْمُنَاةِ الْفَوْقِيَّةِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَاللَّامِ الْمَشْدُودَةِ فَاعِلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ مُسْتَرَفٍ يَعُودُ إِلَى الْكَرِيمِ وَيُرْوَى إِذْ يَسْكُونُ

وَالْتَجَاوَزَ عَنِ الْمَهْفُوتِ وَالرَّادُ بِالْمَنْتَقِمِ مِنْ اتَّصَفَ بِالْإِنْتِقَامِ بِالْفَعْلِ فَصَفَتْهُ تَعَالَى حِينَئِذٍ الْإِنْتِقَامُ وَالْأَخْذُ بِالْجُرْأَتِ بِالْفَعْلِ وَهَذَا لَا يَنَاقِي أَنَّ شَأْنَهُ تَعَالَى الْكَرَمِ وَالتَّجَاوُزَ عَنِ الْمَهْفُوتِ (قَوْلُهُ فَإِنْ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا الْح) هَذَا الْبَيْتُ تَعْلِيلٌ لِلْبَيْتِ قَبْلَهُ فَكَأَنَّهُ قَالَ وَإِنَّمَا كَانَ جَاهُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَضِيقُ بِي بَلْ يَسْعَى وَغَيْرِي مِنَ الْعَصَاةِ لِأَنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا الْح وَمِنْ لَتَبِيعُضٍ وَالرَّادُ مِنَ الدُّنْيَا مَقَابِلُ الْآخِرَةِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا التَّناظِمَ ضَرَّتْهَا وَفِي كَلَامِهِ تَقْدِيرٌ مُضَافٌ أَيْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا الَّتِي هِيَ الْآخِرَةُ فَخَيْرُ الدُّنْيَا هِدَايَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ وَمِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ شَفَاعَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ وَقَوْلُهُ وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ مِنْ جِهَةِ التَّعْلِيلِ لِكَوْنِ جَاهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضِيقُ عَنْهُ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ عَظَمِ الْجَاءِ وَعِلْوِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا وَمِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ عُلُومِكَ لِلتَّبْيِيزِ أَيْضًا فَهِيَ لِلتَّبْيِيزِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ وَالرَّادُ بِمَعْلُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى عُلُومِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالرَّادُ بِعِلْمِ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا الْقَلَمُ فِي اللُّوحِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ وَرَدَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ وَمَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنِّي أَيْ أَيْسَ عَلَى طَرِيقِي . وَاسْتَشْكَلَ جَعَلَ عِلْمَ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ بَعْضَ عُلُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ عِلْمِ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ الْأُمُورَ الْحَسَنَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي آخِرِ سُورَةِ الْقَمَانِ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَجْعَلُهَا لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَأْذَنَ بِعِلْمِهَا فَلَا يَتِمُّ التَّبْيِيزُ

الدَّالِّ وَالْكَرِيمِ عَلَى هَذَا مَبْتَدَأٌ وَتَحَلَّى خَبَرَهُ بِاسْمٍ مُتَعَلِّقٌ بِتَحَلَّى مُنْتَقِمٍ بِكَسْرِ الْقَافِ مُضَافٌ إِلَيْهِ فَإِنْ حَرَفَ تَوَكَّدَ مِنْ جُودِكَ بَضْمُ الْجِيمِ خَبَرَهَا مَقْدَمُ الدُّنْيَا اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ وَضَرَّتْهَا بِفَتْحِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ وَالْمُنَاةُ الْفَوْقِيَّةُ مَعْطُوفٌ عَلَى الدُّنْيَا وَمِنْ عُلُومِكَ مَعْطُوفٌ عَلَى مِنْ جُودِكَ عِلْمٌ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَنَصْبِ الْمِيمِ مَعْطُوفٌ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ عَطَفِ الْأَسْمِ عَلَى الْأَسْمِ وَالْخَبَرُ عَلَى الْخَبَرِ وَكَرَّرَ مِنْ هَرَبًا مِنَ الْعَطْفِ عَلَى مَعْمُولِي عَامِلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عِلْمٌ مَرْفُوعًا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ تَقْدِمُ خَبَرَهُ فِي الْمَجْرُورِ قَبْلَهُ وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي لَهَا فِيهِ مِنَ التَّأَكُّدِ بِإِنَّ اللُّوحَ بِالْمُهْمَلَةِ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَالْقَلَمُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَاللَّامِ مَعْطُوفٌ عَلَى اللُّوحِ .

[وَمَعْنَى الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ] يَا أَكْرَمَ كُلِّ مَخْلُوقٍ مَالِي أَحَدُ غَيْرِكَ أَتَجْبِيءُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ هَوْلِهِ الْعَمِيمِ وَالْخَالِقِ مَتَطَاوِلُونَ إِلَى جَاهُكَ الرَّفِيعِ وَجَنَابِكَ الْمُنِيعِ وَلَنْ يَضِيقَ بِي جَاهُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَعَيْلُ الصَّبْرِ وَانْتَقَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَصَاهُ فَإِنَّكَ أَعْظَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مِنْ جُودِكَ وَعِلْمِي اللُّوحِ وَالْقَلَمِ مِنْ عِلْمِكَ وَأَنْتَ الْحَقِيقُ بِذَلِكَ وَالْمَعْلُوفُ فِي الشَّفَاعَةِ عَلَيْكَ وَلَا أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَأَقُولُ :

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الْكِبَارَ فِي الْغُفْرَانِ كَالْقَلَمِ
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَفْصِمُهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ ٩٢

القنوط اليأس والزلة الذنب الشامل الكبير والصغير وعظمت أى كبرت والكبار جمع كبيرة والغفران الغفرة واللم صغار الذنوب وحسب بفتح السين القدر والعصيان ضد الطاعة يشمل الصغار والكبار والقسم جمع قسمة وهى ما يقسمه الله تعالى لخلق .

[الإعراب] يا حرف نداء نفس بكسر السين منادى مضاف لياء التشكيم حذف المضاف إليه وا كتنى بالكسرة وإن قرئ بالضم فهو انة قليلة إلا أن تكون نكرة مقصودة لا حرف نهى تقنطى بكسر النون مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون من زلة بفتح الزاى متعلق بتقنطى عظمت بضم الظاء المعجمة نعت زلة إن الكبار إن واسمها فى الغفران متعلق بما تعلق به خبر إن كاللهم بفتح اللام واليم الأولى خبر إن فيتعلق بالاستقرار لعل حرف ترج رحمة اسمها ربى مضاف إليه حين ظرف زمان منصوب بتأتى يقسمها فصل وفاعل ومفعول فى موضع جر بإضافة حين إليها تأتى خبر لعل على حسب بفتح الحاء والسين المهمتين متعلق بتأتى العصيان بكسر العين وسكون الصاد المهمتين مضاف إليه فى القسم بكسر القاف وفتح السين متعلق بحسب .

[ومعنى البيتين] يا نفس لا تيأسى من مغفرة ذنب كبير إن الذنوب الكبار كالذنوب الصغار فى جواز الغفران قال الله تعالى إن الله لا يغفر

المذكور . وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم فى اللوح وإلا لاطلع عليها من شأنه أن يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين وعلى تسليم أنها مما كتب القلم فى اللوح فالمراد أن بعض علومه صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذى يطلع عليه المخلوق فخرجت هذه الأمور الخمسة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الأمور . فإن قيل إذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر . أجيب بأن البعض الآخر هو ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة لأن القلم إنما كتب فى اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فقط كما تقدم فى الحديث (قوله يا نفس لا تقنطى إلخ) لما خاف الناظم على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف أقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه وأصل قوله يا نفس يا نفس بالإضافة لياء التشكيم فحذف ياء التشكيم ويجوز ضم السين وكسرها كما فى قولك يا عبد وقوله لا تقنطى أى لا تيأسى وهو بفتح النون على لغة كسرها فى ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله من زلة عظمت أى من أجل زلة كبرت فمن للتعليل ويحتمل أنها للتعبية لكن على تقدير مضاف والأصل من غفران زلة عظمت والزلة بفتح الزاى وتشديد اللام الذنب وقوله إن الكبار فى الغفران كاللهم أى إن الذنوب العظام التى ارتكبتها أيتها النفس فى جانب الغفران أى بالنسبة له كصغار الذنوب فالكبار هى الذنوب العظام والهم بفتح اللام المشددة وفتح الهم أيضا صغار الذنوب ومعلوم أنه تعالى يغفر الصغار فكذا الكبار قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى قول الناظم إن الكبار فى الغفران كاللهم رد على من زعم أن الكبار ليست كالصغار كالمعتزلة فإنهم يقولون بأن الكبار لا تغفر بل مرتكبها يخلد فى النار لأنه ليس مؤمنا ولا كافرا فيقولون إنه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر والحق مذهب أهل السنة أن الكبار كالصغار فى الغفران وهو الموافق للقرآن والسنة والدليل العقلى لأنه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يتحتم عليه عقاب فالثواب من فضله والعقاب من عدله لا يستل عما يفعل وهم يستلون (قوله لعل رحمة ربى إلخ) لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كأنها قالت له أنا لا أقنط لكن أخشى أن لا يكون حظى من الرحمة قدر ذنوبى التى ارتكبتها فأجابها بقوله لعل رحمة ربى إلخ أى أرجو أن تكون رحمة ربى تأتى فى القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم فمن حمل من العصيان حملا كبيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا كبيرا ومن حمل من العصيان حملا صغيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا صغيرا والمراد الرحمة التى تنال العصاة لا الرحمة العامة التى تنال المطيع أيضا فلا يقال إذا قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق للمطيع منها حظ فإن قيل كلام الناظم يقتضى أن من كانت ذنوبه

أكثر

أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لعل رحمة ربى إذا قسمها تأتى

على قدر العصيان فتعم الكبار والصغار وأناذني كبير فأرجو أن يكون نصيبه من الرحمة بقدره .

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ
وَالطَّنْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمُ ٩٣

الرجاء بالمد الأمل وغير منعكس أي
غير مخالف لظني بك والحساب هنا
الاعتقاد والنخرم المنقطع والطف أي
ارفق في الدارين أي دار الدنيا والآخرة
والأهوال جمع هول وهو الأمر العظيم
للشقة والانهزام الهرب .

[الاعراب] يارب بحذف ياء التكلم
والاجتزاء بالكسر منادى واجعل
رجائي بالمد جملة معطوفة على جملة
مقدرة قبلها والتقدير يارب حقق
ظني واجعل رجائي غير بالنصب مفعول
ثان لاجعل منعكس مضاف إليه لديك
بفتح الدال المهملة متعلق بمنعكس
واجعل فعل وفاعل حسابي مفعوله
الأول غير مفعوله الثاني منخرم بفتح
الحاء المعجمة وكسر الراء مضاف إليه
والطف بضم الطاء معطوف على
اجعل بعبدك في الدارين متعلقان بالطف
إن له إن وخبرها صبرا متى بفتح الصاد
للمهملة وسكون الواحدة اسمها متى بفتح
الشدة الفوقية ظرف زمان متضمن معنى
الشرط يحزم فعلين منصوب بتدعاه
وتدعه مجزوم به وعلامة جزمه حذف
الواو الأهوال فاعل تدعه ينهزم بكسر
الزاي جواب متى وكسر حرف الروي
للقافية .

[ومعنى البيتين] يارب واجعل
ماأملته فيك غير مخالف له واجعل
مااعتقدته فيك من العفو غير منخرم
عندك فإنك وعدتني بالإجابة ، وقلت
ادعوني أستجب لكم وارفق بعبدك
في الدنيا والآخرة فيما قدرته عليه فيهما فإن له صبرا ضيفا لا يقيم على مقاساة الأهوال والشدائد متى تدعه الأهوال للملاقاتها ينهزم

أكثر كان مايناله من الرحمة أعظم وكيف يصح ذلك مع أن من كانت ذنوبه أقل
كان أقرب للرحمة وأقرب منه من كان طائفا . أوجب بأن الكلام في الرحمة التي تال
العاصين وقسمها على هذا الوجه يمكن لجواز العفو عما عدا الشرك . وأورد عليه أن
مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع أن المقرر في علم الكلام أنه
لا بد من دخول طائفة منهم النار ثم يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم . وأوجب
لأن الرحمة بالنسبة لهؤلاء هي الشفاعة العامة للإراحة من هول الموقف (يقوله يارب
واجعل رجائي الخ) لما اشتملت هذه القصيدة على أنواع التغزل وتوبيخ النفس
والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومدح القرآن ومدح
الصحابه وذم الكفار والاقرار بالذنب ختمها بالدعاء ثم بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله يارب أصله ياربني بالإضافة لياء التكلم ثم حذفت ياء التكلم
للتخفيف وقوله واجعل رجائي الخ معطوف على محذوف والتقدير يارب ارحمني
واجعل رجائي للرحمة غير منعكس أي غير خائب بأن يحصل المرجو من عفوك عن
ذنوبي كبائرهم وصغائرهم وقوله لديك أي عندك وهو ظرف لقوله اجعل أول منعكس
وقوله واجعل حسابي غير منخرم أي اجعل ما حسبت أي ظننت من الجليل فيك
وهو أن تنيلني من فضلك وكرامتك مايليق بي غير ناقص بأن يحصل المحسوب أي
المظنون تاما كاملا وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أي غير منخرم لديك
وفي الحديث حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر
وقد قال من غلب عليه الرجاء :

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بحميد اللطف ما الله صانع
وفسر بعضهم قوله واجعل حسابي غير منخرم بأن المعنى واجعل تعداد الأمور الصادرة
منك يا الله لي غير منقطع ونوقش بأنه يلزم عليه أن الناظم طلب أن لا ينقطع عذابه لأن
من نوقش الحساب عذب فكيف بمن طال حسابه فكيف بمن دام حسابه ولو قال
واجعل تعداد الأمور الصادرة منك يا الله لي غير معوج بأن يكون مستقيما لخلص من
من هذه المناقشة (قوله والطف بعبدك الخ) هذا البيت من تمام الدعاء ومعنى الطف
ارفق إذ اللطف معناه الرفق وعنى بالعبد نفسه واختار الوصف بالعبودية لما فيها من
غاية الذلة والخضوع وذلك مناسب لمقام الدعاء وقوله في الدارين أي دار الدنيا والآخرة
أي فيما قدرت عليه فيهما ثم علل ذلك بقوله إن له صبرا أي إن لعبدك صبرا لا يثبت بل
متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها فيصير العبد بلا صبر فيهلك وباللطف يندفع الهلاك وقد
امتثل الناظم في هذا الدعاء لأمره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا يقول اللهم هب لي
الصبر فقال له طلبت من الله البلاء فاطلب منه العافية (قوله وأئذن لسحب صلاة الخ)

في الدنيا والآخرة فيما قدرته عليه فيهما فإن له صبرا ضيفا لا يقيم على مقاساة الأهوال والشدائد متى تدعه الأهوال للملاقاتها ينهزم
منها من أول الأمر ولا يقابلها فهو مفتقر الى اللطف به والإحسان اليه

وَأَذِّنْ لِصَاحِبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ مِنْهُمْ لِيَوْمِئِذٍ وَمُنْشَجِمٍ

مَارَتْحَتْ هَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَا وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنِّعَمِ

وَأُذِنَ أَيُّ مَرٍّ وَالسَّحْبُ جَمْعُ سَحَابٍ وَهُوَ النِّعَمُ وَالصَّلَاةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ طَلَبُ مَزِيدِ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَامَةِ لَهُمْ وَيَكْرَهُ إِفْرَادُهَا عَنِ السَّلَامِ ثَرَا وَشَمْرَا وَخَطَا وَانْهَلَ الْمَطَرُ سَالَ بِشِدَّةٍ وَانْسَجَمَ سَالَ بِشِدَّةٍ وَغَيْرُهَا وَرَنَحَتْ الرِّيحُ النَّصْنَ أَمَّا هُذَبَاتُ الْبَانِ أَغْصَانُهُ وَالْبَانُ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ لَهُ أَغْصَانٌ لَطِيفَةٌ وَهُوَ الْمَسْمِيُّ (٩٤) بِالْخِلَافِ بِالْتَّخْفِيفِ وَالصَّبَا الرِّيحُ الْمَشْرِقِيَّةُ سَمِيَتْ صَبَا لِأَنَّهَا تَقَابِلُ

بِهَيْبِهَا بَابُ الْكِبَرَةِ كَأَنَّهَا تَصْبُو إِلَيْهَا وَتَسْمَى الْقَبُولُ وَيَقَابِلُهَا الدُّبُورُ وَالطَّرِبُ الْخَفَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ شِدَّةِ السَّرُورِ مَقْتَضِيَةٌ لِلْهَمَزَةِ وَالْحَرَكَةِ وَالْعَيْسُ جَمْعُ الْأَعْيَسِ وَهِيَ الْإِبِلُ الَّتِي يَخَالِطُ يَبَاصُهَا الشَّقْرَةُ وَقِيلَ هِيَ كِرَامُ الْإِبِلِ وَحَادِيهَا هُوَ الَّذِي يَسُوقُهَا وَالْحَدُو سَوْقُ الْإِبِلِ وَالْحَدَاءُ بِالْمَدِّ مَعَ ضَمِّ الْحَاءِ وَكُسْرُهَا الْغَنَاءُ لَهَا قَالُ الشَّاعِرُ :

فَغَنَاهَا وَهِيَ تِلْكَ الْغَدَاءُ

إِنْ غَنَاهُ الْإِبِلُ الْحَدَاءُ

وَالنِّعَمُ الصَّوْتُ الْحَسَنُ يُقَالُ فُلَانٌ حَسَنُ النَّعْمِ أَيْ حَسَنُ الصَّوْتِ وَالنِّعْمَةُ فِي الْعَرَفِ صَوْتٌ يَقْصُدُ بِهِ الْأَطْرَابُ .

[الْإِعْرَابُ] وَأُذِنَ بِسَكُونِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ فَعَلَ وَفَاعِلٌ لِسَحْبٍ بَضْمِ السَّيْنِ وَسَكُونِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ مُتَعَلِّقٌ بِأُذِنَ صَلَاةٌ مُضَافٌ إِلَيْهَا مِنْكَ نَمَتْ صَلَاةٌ دَائِمَةٌ بِالْجُرْ نَمَتْ صَلَاةٌ وَبِالنَّصْبِ حَالٌ مِنْهَا عَلَى النَّبِيِّ مُتَعَلِّقٌ بِدَائِمَةٍ لِابْتِلَاةٍ لِأَنَّ الْمَصْدَرِ الْمُتَعَوِّثَ قَبْلَ الْعَمَلِ لَا يَعْمَلُ بِمَنْهَلٍ بَضْمِ اللَّيْمِ وَفَتْحِ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ نَمَتْ سَحَبٌ عَلَى تَقْدِيرِ مُوصُوفٍ بَيْنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ أَيْ بِمَنْهَلٍ وَمِنْهَلٍ وَالْبَاءُ لِلْمَصَاحِبَةِ وَمِنْسَجَمٌ بَضْمِ اللَّيْمِ وَسَكُونِ النَّونِ وَفَتْحِ السَّيْنِ وَكُسْرُ الْجِيمِ مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْهَلٍ مَامْصَدْرِيَّةٌ

لَا يَخْفَى أَنَّ قَوْلَهُ أَذِنَ فَسَلَّ دَعَاءُ وَالْإِذْنُ فِي حَقِّهِ تَمَالَى بِمَعْنَى الْإِبَاحَةِ وَاللَّامُ لِلتَّعْدِيَةِ وَالسَّحْبُ بِسَكُونِ الْحَاءِ كَمَا هُوَ لَمَّةٌ فِي السَّحْبِ بَضْمُهَا وَإِنْ جَعَلَهُ بَعْضُ الشَّارِحِينَ لِلتَّخْفِيفِ وَهُوَ جَمْعُ سَحَابٍ الَّذِي هُوَ النِّعَمُ وَإِضَافَةُ سَحْبٍ لِلصَّلَاةِ مِنْ إِضَافَةِ الْمَشْبِ بِهِ لِلْمَشْبِ أَيْ لِلصَّلَاةِ الشَّيْبَةِ بِالسَّحْبِ فِي أَنَّ كَلَامَ رَحْمَةٍ وَقَوْلُهُ مِنْكَ صِفَةُ صَلَاةٍ وَقَوْلُهُ دَائِمَةٌ صِفَةُ أَيْضًا لِلصَّلَاةِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ صِفَةُ لِسَحْبٍ وَقَوْلُهُ عَلَى النَّبِيِّ أَيْ صَادِرَةٌ عَلَى النَّبِيِّ لِلْمُتَعَدِّ وَهُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ بِمَنْهَلٍ وَمِنْسَجَمٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِأُذِنَ فَهِيَ لِلتَّعْدِيَةِ وَفِي الْكَلَامِ مُوصُوفٌ مَحْذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ بِمَنْهَلٍ وَمِنْسَجَمٌ وَالْمَنْهَلُ الْمَنْصَبُ لَشِدَّتِهِ وَالْمِنْسَجَمُ السَّائِلُ لِعَدَمِ شِدَّتِهِ (قَوْلُهُ مَارَتْحَتْ عَذَبَاتُ الْبَانِ الْحُ) أَيْ مَدَّةُ تَرْنِيعِ عَذَبَاتِ الْبَانِ الْحُ لَهَا مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ وَالتَّرْنِيعُ التَّحْمِيلُ وَعَذَبَاتُ الْبَانِ أَغْصَانُهُ وَالْبَانُ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ وَقَوْلُهُ رِيحُ صَبَا بَفَتْحِ الصَّادِ فَاعِلٌ بِرَنَحَتْ وَالْمُرَادُ رِيحُ الصَّبَا الرِّيحُ الْمَشْرِقِيَّةُ الَّتِي تَهَبُ صَوْبَ بَابِ الْكِبَرَةِ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصْبُو أَيْ تَمِيلُ إِلَيْهَا وَتَسْمَى قَبُولًا بِفَتْحِ الْقَافِ لِأَنَّهَا تَقَابِلُ بِهَيْبِهَا الْمَشْرِقَ وَأَصُولُ الرِّيحِ أَرْبَعَةٌ الْأُولَى الصَّبَا وَقَدْ عَلِمْنَا وَالثَّانِيَةُ الدُّبُورُ وَهِيَ الرِّيحُ الْمَغْرِبِيَّةُ الَّتِي تَأْتِي مِنَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ اسْتَقْبَلِ الْمَشْرِقَ اسْتَدْبَرَهَا وَالثَّلَاثَةُ الشَّمَالُ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَهِيَ الرِّيحُ الْبَحْرِيَّةُ الَّتِي يَسَارُ بِهَا فِي الْبَحْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَإِنَّمَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَنْ شِمَالٍ مِنْ اسْتَقْبَلِ الْمَشْرِقَ وَالرَّابِعَةُ الْجَنُوبُ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَهِيَ الرِّيحُ الْقِبْلِيَّةُ وَعَامَّةُ الْمَصْرِيِّينَ يَصْبِرُونَ عَنْهَا بِالْمَرْيَسِ لِأَنَّهَا تَهَبُ مِنْ بِلَادِ الْمَرْسِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ السُّودَانِ حَسَنُ الْوَجْهِ وَكُلُّ رِيحٍ جَاءَتْ بَيْنَ مَهَبٍ وَرِيحَيْنِ يُقَالُ لَهَا التَّكْبَاءُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا نَسَكَبَتْ أَيْ عَدَلَتْ عَنْ مَهَبِ تِلْكَ الرِّيحِ الْأَرْبَعَةِ وَقَدْ نَظَّمَ الشَّيْخُ الْمَسْجَاعِيُّ حَاصِلَ مَا تَقَدَّمَ بِقَوْلِهِ :

أَصُولُ رِيحٍ أَرْبَعٌ سَمٌ بِالصَّبَا	قَبُولًا أَتَتْ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ شَرْقِيَّةً
دُبُورًا أَتَتْ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَاعِلَةٌ	لَدَا عِنْدَ مَصْرٍ سَمٌ بِالصَّاحِ غَرْبِيَّةً
شَمَالُ تَجِيٍّ مِنْ عَنِّ شِمَالِ مَشْرِقٍ	يَسَارُ بِهَا فِي الْبَحْرِ تَدْعَى بِبَحْرِيَّةً
جَنُوبٌ تَسْمَى بِالْمَرْيَسِ نَسْبَةً	لِبِلْدَانِ سُودَانَ وَتَنْمِي لِقَبْلِيَّةً
وَمَا بَيْنَ رِيحَيْنِ تَهَبُ فَسَمَاهَا	بِنَسْكَاءٍ نَجْرِي كَالْأَصُولِ بِلَا مَرْيَةٍ

وَقَوْلُهُ وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ الْحُ أَيْ وَمَدَّةُ إِطْرَابِ الْعَيْسِ الْحُ فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ رَنَحَتْ

وَالْأَطْرَابُ

ظَرْفِيَّةٌ رَنَحَتْ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالنُّونِ الشَّدِيدَةِ وَالْحَاءُ فَعَلَ مَاضٍ وَتَاءُ تَأْنِيثٌ عَذَبَاتُ بَفَتْحِ

الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالذَّالُ لِلْمَعْجَمَةِ وَالْبَاءُ الْمَوْحَدَةُ وَكُسْرُ التَّاءِ الْقَوِيَّةُ مَفْعُولٌ رَنَحَتْ الْبَانُ بِالْمَوْحَدَةِ مُضَافٌ إِلَيْهِ رِيحٌ بِكُسْرِ الرَّاءِ وَسَكُونِ التَّائِيَةِ التَّحْتِيَّةِ فَاعِلٌ رَنَحَتْ صَبَا بَفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءُ الْمَوْحَدَةُ وَالْقَصْرُ مُضَافٌ إِلَيْهِ مِنْ إِضَافَةِ الْعَامِّ إِلَى الْخَاصِّ وَأَطْرَبَ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسَكُونِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَالْبَاءُ الْمَوْحَدَةُ مَعْطُوفٌ عَلَى رَنَحَتْ الْعَيْسُ بِكُسْرِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسَكُونِ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ مَفْعُولٌ أَطْرَبَ حَادِي بَفَتْحِ الْحَاءِ وَكُسْرُ الذَّالِ الْمَهْمَلَتَيْنِ فَاعِلٌ أَطْرَبَ الْعَيْسُ وَفِي نَسْخَةِ الرُّكْبِ مُضَافٌ إِلَيْهِ بِالزَّمِّ بَفَتْحِ النَّونِ

والإطراب إحداث الطرب وهو خفة تفشاً عن سرور مقتضية للحركة والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون الباء بعدها وإن كان أصلها الفهم وهي إبل بيض غاطها شقرة أي حمرة عديدة وهي من كرام الإبل ويقال لله كرام أعيس وللأشي عيساء والمراد بحادي العيس ساقها فهو من حداث يحدو إذا ساق الإبل وقوله بالنغم متعلق بالطرب والنغم يخرج النون الصوت الحسن وللابل خاصية عظيمة في حصول الطرب لما عند سماع صوت الحادي وكلما كان الصوت أحسن كان طربها أكثر حتى إنها تقطع للسمكة السكرية في الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يخفى أن الترنيع والإطراب المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك أقت الصلاة بهما ويحتمل أنه أراد بذلك التأييد فكأنه قال دائماً وأبداً وإعماخص البان والعيس لأنهما من مألوفات الأحبة وتخصيص ربح الصبا أظهر من ذلك لأنها تصبو إلى باب الكعبة التي هي أعظم مكان في البلد الذي هو مسقط رأس حبيب الله عليه وسلم وقيل بعضهم يحتمل أنه أشار بالعذبات إلى عذبة النبي صلى الله عليه وسلم لتحملها بتأييد صلى الله عليه وسلم عند سماعه المديح وأشار بالبان إلى ذاته الشريفة لطيب رائحتها كطيب رائحة البان بل أعظم وأشار بالعيس إلى أمته لطرهم عند سماع المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادي وأشار بالنغم إلى المديح . وحاصل المعنى في هذا ما عاينت عذبة النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع المديح وأطرب المادح أمته بمدحهم صلى الله عليه وسلم وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام وتسمى حسن القطع وحسن الخاتمة وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لأنه آخر ما ياتي في الإجماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يصرح عليها أحد من الشارحين لكن لا بأس بها وهي :

ثم الرضى عن أبي بكر وعن عمر وعن علي وعن عثمان ذى الكرم
والآل والصحب ثم التابعين فهم أهل التقى والنقا والحلم والكرم
يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ماضى يا واسع الكرم
واغفر الهى لكل المسلمين بما يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم
بجاه من يتيه في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت والحمد لله في بدء وفى ختم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم
فرج الله الكرب عنا وعن سائر المسلمين بجاه سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين .

وكان القراع من جمع هذه الخاتمة المباركة في يوم الاثنين المبارك من أيام شهر
شوال من شهور سنة ألف ومائتين وتسعة وعشرين من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية
والحمد لله رب العالمين

والعين المعجمة متعلق بالطرب والباء للاستعانة .

[ومعنى البيتين] يامن هو الرب اللطيف بعباده أسألك أن تأمر لسحب الصلوات والتسليمات الدائمات على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمعت فيه بين المكارم والخيرات بخداقيها ، وجعلته حائز الفضائل ككبيرها وصغيرها ، مادامت الصبا تمل أغصان البان ، ومادام الحادي يطرب العيس بالنغم والألحان ، ويذكرها العهد بالحلى والأوطان ، فإنك أمرتنا بالصلاة والسلام عليه قديماً ، قمت إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الدين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

القصيدة المضرية

للشيخ البوصيري في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

يا رب صل على المختار من مضر
وصل رب على الهادي وشيخه
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا
وبينوا القرض والمسنون واختصموا
أزكى صلاة وأنماها وأشرفها
معبوقة بنبوق المسك ذاككية
عد الحصى والثرى والرمل يتبعها
وعد وزن مثاقيل الجبال كما
وعد ماحوت الأشجار من ورق
والوحش والطير والأسمالك معنم
والدر والفيل مع جمع الحبوب كذا
وما أحاط به العلم المحيط وما
وعد نعمائك اللاتي مننت بها
وعد مقداره السامي الذي شرفت
وعد ما كان في الأكوان يأسدى
في كل طرفة عين يظرفون بها
ملء السموات والأرضين مع جبل
ما أعدم الله موجودا وأوجد له
تسترق العد مع جمع الدهور كما
لا غاية وانتهاء يا عظيم لها
وعد أضعاف ما قد مر من عدد
كما تحب وترضى سيدي وكما
مع السلام كما قد مر من عدد
وكل ذلك مضروب بحقك في
يا رب واغفر لقاربها وسامعها
يا رب أعظم لنا أجرا ومغفرة
ووالدينا وأهلينا وجيرتنا
والطف بنا ربنا في كل نازلة
بالمصطفى المحتب خير الأنام ومن
صلى وسلم ربنا دائما أبدا
والآل والصحب والأتباع قاطبة

والأنبيا وجميع الرسل ما ذكروا
وصحبه من لطى الدين قد نشروا
وهاجروا وله آووا وقد نصروا
الله واعتصموا بالله وانصروا
يعطر السكون منها نشرها العطر
من طيبها أريج الرضوان ينتشر
نجم السما ونبات الأرض والدر
يليه قطر جميع الماء والمطر
وكل حرف غدا يتلى ويستطر
يلهم الجن والأملاك والبشر
والشعر والصوف والأرياش والوبر
جري به القلم المأمور والقدر
على الخلائق مذ كانوا ومذ حشروا
به النبيون والأملاك واقتخروا
وما يكون إلى أن تبث الصور
أهل السموات والأرضين أويذروا
والفرش والعرش والكرسي وما حصروا
دوما صلاة دواما ليس تنحصر
تخط بالحد لا تبقى ولا تذر
ولا لها أمد يقضى فيعتبر
مع ضعف أضعافه يامن له القدر
أمرتنا أن نصلى أنت مقتدر
رب وضاعفهما والفضل منتشر
أنفاس خلقك إن قلوا وإن كثروا
والسلمين جميعا أينما حضروا
فإن جودك بحر ليس ينحصر
وكلنا سيدي للعفو نفتقر
نظفا عيما به الأهوال تنحصر
جلالة نزلت في مدحه السور
عليه أضعاف ما قد مر ينتشر
واختم بخير لنا إذ ينتهي العمر

تم الكتاب والحمد لله

